السيد حسين نجيب محمد

علم البصيرة والتنوير الروحي

خطوات لفتح البصيرة .

كيف تبني شخصيتك الروحية خلال أربعين يوماً .

قصص أهل البصائر

القوانين الإلهية والسعادة الإنسانية .

مؤسسة البلاغ

علم البصيرة

والتنوير الروحي

* خطوات لفتح البصيرة
* كيف تبني شخصيتك الروحية خلال أربعين يوماً
* قصص أهل البصائر
* القوانين الإلهية والسعادة الإنسانية

السيد حسين نجيب محمد

مؤسسة البلاغ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١
ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ
ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤
إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥
ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ
ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ
عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾

[الفاتحة: ١-٧]

الكتاب الأول

«علم البصيرة»

المقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا للإسلام،
والصلاة والسلام على سادة الأنام محمد وآله الكرام وبعد..

علم البصيرة

يُعتبر علم البصيرة من أشرف العلوم وأرفعها، وذلك لأنه يوصل الإنسان إلى الكمال الذي خُلق له، ولذا جاء في النصوص الدينية ضرورة التحلّي بصفة «البصيرة».

عن العالم عليه السلام أنّ الله جلّ جلاله خصّ رسله بمكارم الأخلاق، فامتحنوا أنفسكم فإن كانت فيكم فاحمدوا الله، وإلا فاسألوه وارغبوا إليه فيها، فقال: وذكرها عشرة: اليقين والقناعة، والبصيرة، والشكر، والحلم، وحسن الخلق، والسّخاء، والغيرة، والشجاعة، والمروءة، وفي خبر آخر زاد فيها الحياء، والصدق، وأداء الأمانة»[1].

---

(١) بحار الأنوار: ج٦٩، ص٣٩٤، ح٧٧؛ ومستدرك الوسائل: ج١١، ص١٩١، ح١٢٧١٧.

فالبصيرة من مكارم الأخلاق التي ينبغي العمل للإتصاف بها، ومن مشى بنور البصيرة وصل إلى الهدف المنشود.

ولكي يتبين أهمية هذا الموضوع إليك هذا المثال:

إعتبروا شخصاً في صحراء مظلمة، وأمامه طريق وعر خطر، يريد سلوكه حتى يصل إلى مقصده، وفي الوقت نفسه هو رجل حادّ البصر، ويسير معه دليل عالم بالطريق، عطوف عليه، واضع يده في يد الرجل، ملتزم بكلامه ويصغى إلى تذكراته، والمصباح يضيء الطريق، فيسير ويطوى الطريق وينتهي إلى مقصده بكل راحة، من دون إضطراب وتشويش. وإذا كان الأمر عكس ذلك تماماً، أي إذا كان الرجل أعمى، وليس معه مصباح مضيء ينتفع منه، ولا يأخذ بكلام الدليل العطوف بالشكل الصحيح، تراه يبتلى بالتشويش والإضطراب من هنا ورد:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «العامل على غير بصيرة كالسائر على السّراب بقيعة لا يزيد سرعة سيره إلا بُعداً»[1].

ويكفي في علم البصيرة أنه يجعل العبد يبصر بما يريه رب العالمين.

عن الإمام علي عليه السلام: «تعلموا العلم فإنّ تعلّمه حسنة.. لأنّ العلم حياة القلوب، ونور الأبصار من العمى..»[2].

---

(١) بحار الأنوار: ج١، ص٢٠٨، س١٤ ووسائل الشيعة: ج٢٧، ص١٦٦، ح٣٣٥٠٤ وج٢٧، ص٢٤، ح٣٣١١٠.

(٢) بحار الأنوار: ج١، ص١٦٦، س١٩.

الفصل الأول

الهدف من علم البصيرة

لماذا علم البصيرة؟

إنَّ الهدف المنشود من الإتصاف بـ«البصيرة» هو ما يلي:

١ - كشف الحُجب عن ظواهر الأشياء حيث الإنسان يرى ببصيرته الحقائق الواقعية، والكشف من الأمور التي يطلبها كل إنسان بفطرته. فمن يجلس في غرفة مظلمة لن يعرف ما فيها وإن لمسه أو شمّه، لكنه إذا كانت لديه بصيره فسيرى الأمور واضحة كما هي:

قيل: جيء بفيل ضخم ووُضع في غرفة مظلمة، فوضع رجل يده على رجله وقال: هذا عامود، ووضع آخر يده على خرطومه وقال: هذا عصا، ووضع ثالث يده على أذنه وقال: إنه مروحة... فلما أضيئت الغرفة رأى جميعهم الحقيقة كاملة.

وهكذا الحال في حقائق الأشياء، فإنها لا تُدرك إلا بالاستمداد من النور المعنوي وهوالبصيرة.

عن الإمام علي عليه السلام: «إن على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نوراً»[1].

---

(١) ميزان الحكمة: باب (النور).

وعن الإمام موسى الكاظم عليه السلام: «من لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه»(١).

وفي دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام: «سيدي لولا نورك عميت عن الدليل، ولولا تبصيرك ضللت عن السبيل»(٢).

قال الشيخ الري شهري: «ومن هنا نرى أولئك الذين فاضت على عيون عقولهم أمداد أنوار الهداية الإلهية، وأشرقت بصائرهم بمصابيح الوحي وأنوار الإمام، بدون أن يتأهلوا بالتحصيلات العالية، قد وجدوا طريق تكامل الإنسان دقيقاً صحيحاً، ووصلوا إلى تفسير للوجود حقيق عميق، حتى أنهم وصلوا إلى ما لم يصل إليه أكبر العلماء والفلاسفة المحرومون من هذه الأنوار.

بينما نشاهد الفلاسفة الكبار يضعون كل يوم نظريات جديدة تنقض ما قدمه سلفهم بشأن تفسير الوجود وتكامل الإنسان، وأنهم ما زالوا رغم القرون المتمادية في أول مراحل الطريق.

نشاهد أفراداً ممن استناروا بمدد الهداية الإلهية، قد عبَروا أقطار العشق السبعة ووصلوا إلى قمة الكمال واستقروا في كنف حضرة الحق: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥].

يروي المرحوم المحدث القمي في كتاب الكنى والألقاب، أن ابن عربي كتب إلى الفخر الرازي يقول:

---

(١) ميزان الحكمة باب ٧١٠.

(٢) بحار الأنوار: ج٩٤، ص١٦١.

«لقد أخبرني مَنْ ألفت من إخوانك ومن له فيك نيّة حسنة، أنه رآك وقد بكيت يوماً، فسألك هو ومن حضر عن بكائك، فقلتَ: مسألةٌ اعتقدتها منذ ثلاثين سنة تبين لي الساعة بدليل لاح لي أن الأمر على خلاف ما كان عندي فبكيتُ، وقلت: لعل الذي لاح لي أيضاً يكون مثل الأول»(١).

إذا كان عالمٌ كالفخر الرازي يفهم بعد المطالعة ثلاثين عاماً أنه كان فيما يرى بالنسبة للمسائل العلمية أو العقائدية مبتلى بمرض اعتبار النفس عالماً، فما بالك بوضع عامة الناس(٢)؟

٢ - الكشف عن الأنوار المعنوية والعجائب والغرائب، فبالبصيرة يتعرف الإنسان على علم الأسرار، والأنوار، ويكتشف الكنوز المخبوءة في النفس والكون.

٣ - اليقين بالسير على الطريق المستقيم، فإن البصيرة تنير درب السالكين إلى رب العالمين، فتعطيهم الدفع والقوة والاطمئنان بأنهم على الصراط المستقيم.

فعن الإمام علي عليه السلام في وصف السالك إلى الله تعالى أنه قال: «قد أحيا عقله، وأمات نفسه، حتى دقّ جليله ولطف غليظه، وبرق له لامع كثير البرق، فأبان له الطريق وسلك به السبيل، وتدافعته الأبواب إلى باب السلامة ودار الإقامة»(٣).

---

(١) الكنى والألقاب: ج٢، ص١٥.
(٢) مباني المعرفة.
(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٠.

وقال عليه السلام في أحب العباد إلى الله: «قد أبصر طريقه وسلك سبيله وعرف مناره»(١).

٤ - **الوصول للقاء رب العالمين**، فبالبصيرة - لا بالبصر - يرى المؤمن ربّه.

فمن كلام أمير المؤمنين عليه السلام في جواب ذعلب بعد ما قال: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟

فقال عليه السلام: أفأعبد ما لا أرى؟

فقال: وكيف تراه؟

فقال عليه السلام: «لا تدركه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان... كبير لا يوصف بالجفاء، بصير لا يوصف بالحاسّة، رحيم لا يوصف بالرقة...»(٢).

عن فاطمة الزهراء عليها السلام قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لما عرج بي إلى السماء صرت إلى سدرة المنتهى فكان قاب قوسين أو أدنى، فأبصرته بقلبي ولم أره بعيني...»(٣).

٥ - **معرفة عيوب النفس**، فمن عرف عيوبه سعى للخلاص منها.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «... وكيف يبصر عيب وجهه من لا ينظر في المرآة؟...»(٤).

---

(١) المصدر نفسه: الخطبة ٨٧.

(٢) نهج البلاغة: خطبة ١٧٩، ص٣٤٤.

(٣) بحار النوار: ج٢٣، ص٢٨٢، ح٢٩.

(٤) بحار الأنوار: ج١٤، ص٣٠٩، س١٧.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أعقل الناس من كان بعيبه بصيراً وعن عيب غيره ضريراً»(١).

٦ - **اليقين بالدين الصحيح**، فإن البصيرة هي نور يرشد الإنسان للدين الذي يرتضيه رب العالمين.

عن أيوب الحر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنَّ رجلاً أتى أبي فقال: إني رجل خصم، أخاصم من أحب أن يدخل في هذا الأمر، فقال له أبي لا تخاصم أحداً، فإنّ الله إذا أراد بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة، حتى أنّه ليبصر به الرّجل منكم يشتهي لقاءه»(٢).

عن قنوة ابنة رشيد الهجري قالت: قلت لأبي: ما أشد إجتهادك؟ فقال: «يا بنيّة سيجيء قوم بعدنا بصائرهم في دينهم أفضل من إجتهاد أوليهم»(٣).

٧ - **الوقوف على الحق في الشبهات والفتن**، فإن الإنسان قد يضيع في خضم الشبهات وخصوصاً الدينية، فمن كانت لديه بصيرة عرف أين يضع نفسه.

عن النبي صلى الله عليه وآله: «فضل العالم على العابد سبعين درجة بين كل درجتين حضر الفرس سبعين عاماً، وذلك أنّ الشيطان يدع البدعة للناس فيبصرها العالم فينهى عنها والعابد مقبل على عبادته لا يتوجّه لها ولا يعرفها»(٤).

---

(١) غرر الحكم: ٣٢٣٣.
(٢) مستدرك الوسائل: ج١٢، ص٢٤٤، ح١٤٠٠٩.
(٣) بحار الأنوار: ج٥٢، ص١٣٠، ح٢٧ وج٤٢، ص١٢٣، ح٦، وج٤٢، ص١٣٩، ح٢٢.
(٤) بحار الأنوار: ج٢، ص٢٤، ح٧٢.

عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن جده، عن علي بن الحسين، عن أبيه عليهما السلام قال: «بينما أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم جالس مع أصحابه يعبّيهم للحرب...

فقال له زيد بن صوحان العبديّ: يا أمير المؤمنين... أي الناس أكيس؟

قال: من أبصر رشده من غيّه، فمال إلى رشده...»(١).

عن الإمام علي عليه السلام انه قال وهو متوجه إلى قتال الخوارج:

«لولا أنّي أخاف أن تتكلّموا وتتركوا العمل لأخبرتكم بما قضاه الله على لسان نبيه صلى الله عليه وآله فيمن قاتل هؤلاء القوم مستبصراً بضلالتهم، وإنّ فيهم لرجلاً يقال له ذو الثدية، له ثدي كثدي المرأة، وهم شر الخلق والخليقة، وقاتلهم أقرب الخلق إلى الله وسيلة، ولم يكن المخدج معروفاً في القوم، فلمّا قتلوا جعل عليه السلام يطلبه في القتلى ويقول: والله ما كذبت ولا كذبت، حتى وجد في القوم وشقّ قميصه وكان على كتفه سلعة كثدي المرأة، عليها شعرات إذا جذبت إنجذبت كتفه معها، وإذا تركت رجع كتفه إلى موضعه، فلمّا وجده كبّر وقال: إنّ في هذا عبرة لمن استبصر»(٢).

٨ - معرفة عواقب الأمور، كمعرفة عاقبة الدنيا، وعاقبة الشر وما أشبه.

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٧، ص٣٨٠، س١٣؛ ومن لا يحضره الفقيه: ج٤، ص٣٨٣، س٥؛ وبحار الأنوار: ج٧٠، س١٠٦، ح١.

(٢) بحار الأنوار: ج٤١، ص٢٨٣، ح٢.

في قصة بلوهر ويوذاسف: قال ابن الملك: أي الرّجال أكملهم في الصلاح؟ قال: أكملهم في العقل وأبصرهم بعواقب الأمور، وأعلمهم بخصومة، وأشدّهم منهم إحتراساً...»(١).

قال عيسى عليه السلام في جواب غلام إنتقله في يومين من حالته الخسيسة إلى الدرجة الرفيعة والملك حيث قال له: «... إنّك إذا قدرت على أن تنقلني من تلك الحالة الخسيسة إلى الدرجة الرفيعة في يومين فلم لا تفعل هذا بنفسك، وأراك في تلك الثياب وفي هذه الحالة؟ فلمّا أحفى في السؤال، قال له عيسى عليه السلام: «إنّ العالم بالله وبدار كرامته وثوابه والبصير بفناء الدنيا وخسّتها ودناءتها لا يرغب إلى هذا الملك الزائل وهذه الأمور الفانية و...»(٢).

عن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام: «... إنّ صاحب الدين... أبصر العاقبة فأمن النّدامة»(٣).

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٨، ص٤٢١، س١٤.
(٢) بحار الأنوار: ج١٤، ص٢٨٢، س٣.
(٣) بحار الأنوار: ج٢، ص٥٣، ح٢٣ وج٦٩، ص٢٧٧، ح١٢؛ ومستدرك الوسائل: ج١١، ص١٧٥، ح١٢٦٧٨ وفيهما: «وأبصر العافية».

البصيرة

إنَّ الهدف من علم البصيرة هو أن يصير الإنسان «بصيراً» والبصير هو كما قال الإمام علي عليه السلام: «... فإنّما البصير من سمع وتفكّر ونظر وأبصر، وانتفع بالعبر، وسلك جدداً واضحاً يتجنب فيه الصرّعة في الهوى، ويتنكّب طريق العمى، ولا يعين على فساد نفسه الغواة بتعسّف في حقّ أو تحريف في نطق أو تغيير في صدق ولا قوة إلا بالله»(١).

والبصير هو الذي يدعو لربه. قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]

وفي زيارة أمير المؤمنين عليه السلام: «... أشهد أنّك كنت على بينة من ربّك، ودعوت إليه على بصيرة وبلّغت ما أمرت به وقمت بحق الله غير واهن ولا موهن...»(٢).

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٧، ص٤٠٩، س٩.

(٢) التهذيب: ج٦، ص٢٩، س١٣؛ والكافي: ج٤، ص٥٧٠، س١١٦ وبحار الأنوار: ج١٠٠، ص٢٩٤، س١٧.

المستبصرون

المستبصرون هم الذين استبصرت قلوبهم، فعرفوا الله تعالى وأوليائه حق المعرفة، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام لسلمان وجندب في حديث معرفتهم بالنورانية: «... يا سلمان ويا جندب قالا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال عليه السلام: من آمن بما قلت وصدّق بما بيّنت وفسّرت وشرحت وأوضحت ونوّرت وبرهنت فهو مؤمن ممتحن إمتحن الله قلبه للإيمان وشرح صدره للإسلام وهو عارف مستبصر قد انتهى وبلغ وكمل...»(١).

عن الإمام الهادي عليه السلام في زيارة الجامعة الكبيرة: «... بأبي أنتم وأمي وأهلي ومالي وأسرتي، أشهد الله وأشهدكم أني مؤمن بكم، وبما آمنتم به، كافر بعدوّكم وبما كفرتم به، مستبصر بشأنكم وبضلالة من خالفكم...»(٢).

عن الصادق وأبي الحسن الثالث عليه السلام قال: «تقول عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام.. جئتك عارفاً بحقّك، مستبصراً بشأنك...»(٣).

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٦، ص٦، س١٥.

(٢) التهذيب: ج٦، ص٩٨، س١٩؛ ومن لا يحضره الفقيه: ج٢، ح٣٢١٣، ص٦٢٤، س٢؛ وبحار الأنوار: ج١٠٢، ص١٣٠، س٢١؛ وبهذا المضمون في بحار الأنوار: ج١٠٢، ص١٦٢، س١٤؛ ومستدرك الوسائل: ج١٠، ص٤٢٢، س١٠.

(٣) التهذيب: ج٦، ص٢٨، ح٢ وج٦، ص٣٠، س١؛ والكافي: ج٤، ص٥٦٩، س٧ وج٤، ص٥٧١، س٢؛ ومن لا يحضره الفقيه: ج٢، ح٣١٩٦، ص٥٨٧، س١٣؛ ووسائل الشيعة: ج١٤، ص٣٩٤، ح١٩٤٥٠؛ وبحار الأنوار: ج١٠٠، ص٢٦٥، س٩، وج١٠٠، ص٢٩٤، س٢٢ وج١٠٠، ص٣٢١، س٢ وج١٠٠، ص٣٣٧، س١١ وج١٠٠، ص٣٤٦، س٢٠.

درجات المستبصرون

إنَّ درجات الإنسان تعلو في الدنيا والآخرة بمقدار ما لديه من استبصار.

قال أبو عبد الله عليه السلام: «يستدل بكتاب الرجل على عقله وموضع بصيرته، وبرسوله على فهمه وفطنته»(١).

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما أنتم والبراءة، يبرأ بعضكم من بعض؟ إن المؤمنين بعضهم أفضل من بعض، وبعضهم أكثر صلاة من بعض، وبعضهم أنفذ بصيرة من بعض، وهي الدرجات»(٢).

الإمام علي عليه السلام نموذج الرجل الكامل المستبصر

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو أكبر مصداق للرجل البصير في كافة الأمور، بل هو سيد وإمام أهل البصائر، فهو على يقين من ربه ودينه، وبصيره من أمره في قيامه وقعوده وحربه وسلمه وسائر أحواله وتصرفاته.

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨] قال: «ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والأوصياء من بعدهم»(٣).

قال علي بن حسان لأبي جعفر عليه السلام: يا سيدي إنَّ الناس

---

(١) بحار الأنوار: ج١، ص١٣٠، ح١٥ وأيضاً ج٧٦، ص٥٠، ح٧.

(٢) بحار الأنوار: ج٦٩، ص١٦٨، ح١٧ والكافي: ج٢، ص٤٥، ح٤.

(٣) الكافي: ج١، ص٤٢٥، ح٦٦.

ينكرون عليك حداثة سنّك، فقال: «وما ينكرون من ذلك قول الله عزّوجلّ لقد قال الله عزّوجلّ لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨] فو الله ما تبعه إلا علي عليه السلام وله تسع سنين وأنا ابن تسع سنين»[١].

من كتاب لأمير المؤمنين عليه السلام إلى أهل مصر مع مالك الأشتر لمّا ولاه أمارتها: «... إني والله لو لقيتهم واحداً وهم طلاع الأرض كلّها ما باليت ولا استوحشت وإني من ضلالهم الذي هم فيه والهدى الذي أنا عليه لعلى بصير من نفسي ويقين من ربي...»[٢].

قال الرضا عليه السلام: «... فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما كان وقت وفاته دعا علياً وأوصاه... فقال له: إنّ الله قد فهّمك ما فهمني، وبصّرك ما بصّرني...»[٣].

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «خرجت ذات يوم إلى ظهر الكوفة وبين يدي قنبر، فقلت له: يا قنبر ترى ما أرى؟ فقال: قد ضوّأ الله لك يا أمير المؤمنين عمّا عمى عنه بصري، فقلت: يا أصحابنا ترون ما أرى؟ فقالوا: لا قد ضوأ الله لك يا أمير المؤمنين عمّا عمى عنه أبصارنا...»[٤].

زيارة أخرى لأمير المؤمنين ولغيره من الأئمة عليهم السلام:

---

(١) الكافي: ج١، ص٢٨٤، ح٨.
(٢) بحار الأنوار: ج٣٦، ص٣٠٩، ح١٤٩.
(٣) بحار الأنوار: ج٤٩، ص٨١، س٢.
(٤) بحار الأنوار: ج٣٩، ص١٩١، ح٢٧.

«... ونصحت لله ولرسوله مجتهداً ومضيت على يقين، لم تؤثر عمى على هدى...»[١].

في غزوة الخندق.. فتقدم عمرو بن عبد ود فدعا إلى البراز مرارا... فقام علي عليه السلام فقال: «يا رسول الله إئذن لي في مبارزته، فقال: إدن، فدنا فقلّده سيفه وعمّمه بعمامته وقال: امض لشأنك، فلمّا انصرف قال: اللهم أعنه عليه فلمّا قرّب منه قال له مجيباً إياه من شعره:

لا تعجلنّ فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز

ذو نيّة وبصيرة يرجو بذاك نجاة فائز[٢]

عمار بن ياسر

عن كفاية الأثر: «... فلمّا كان يوم صفّين خرج عمّار بن ياسر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا أخا رسول الله أتأذن لي في القتال؟... فأعاد عليه ثالثاً فبكى أمير المؤمنين عليه السلام فنظر إليه عمار فقال: يا أمير المؤمنين إنّه اليوم الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وآله؟ ونزل أمير المؤمنين عليه السلام... ثم بكى عليه السلام وبكى عمّار، ثم قال: والله يا أمير المؤمنين ما اتبعتك إلا ببصيرة...»[٣].

---

(١) بحار الأنوار: ج١٠٠، ص٣٢٦، س٣، وج١٠٠، ص٢٩٤، س١٣ وج١٠١، ص١٥٩، س٥ وج١٠١، ص١٨٢، س١٢ وج١٠١، ص٢٦٧، س١ وج١٠٢، ص١٥، س١١ وج١٠٢، ص٥١.

(٢) بحار الأنوار: ج٣٩، ص٥، س٨.

(٣) بحار الأنوار: ج٣٦، ص٣٢٧، س١٠ وج٣٣، ص١٩، س٥.

الشيعة

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنما شيعتنا أصحاب الأربعة الأعين: عين في الرأس، وعين في القلب، ألا والخلائق كلهم كذلك، ألا وإنّ الله فتح أبصاركم وأعمى أبصارهم»[١].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «خرج أمير المؤمنين عليه السلام بالناس يريد صفيّن. . . فلمّا فرغ من الأذان إنفلق الجبل عن هامّة بيضاء بلحية بيضاء ووجه أبيض، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين (فتكلما مدةً فسأل أصحابه عن الرجل). . . فأخبرهم أنّه شمعون بن حمّون وصي عيسى بن مريم، وسمعوا كلامهما فازدادوا بصيرة. . .»[٢].

---

(١) بحار الأنوار: ج٦٨، ص٨١.

(٢) بحار الأنوار: ج٣٩، ص١٣٤، ح٧.

الفصل الثاني

أين موقع البصيرة

البصيرة والعين الثالثة

ذكر أهل الباطن أن للإنسان عين ثالثة - مكانها ما بين العينين - يبصر بها الأنوار المعنوية والأمور الغيبية.

وقالوا إنها واضحة في جسد الإنسان القديم إلا أنها غارت عبر الزمن.

والغدة الأكثر غموضاً في جسم الإنسان هي الغدة الصنوبرية الواقعة في وسط الدماغ (The pineal gland). وقد أدرك الفلاسفة القدماء الأهمية البالغة لهذه الغدة الصغيرة التي تشبه الفطرة (mushroom) في شكلها وكانوا يسمونها «موضع الروح» وأيضاً «موجة الفكر».

قال «أنندا ميترا»: «في الماضي البعيد في أزمنة التطور الأولية كانت لبعض المخلوقات البدائية من الزواحف (مثل السحالي) «عين ثالثة» في أعلى رؤوسها. وكانت هذه العين ذات حساسية شديدة، تنظم الإيقاعات الطبيعية الدورية لأجسامها، وعلى مر ملايين السنين من التطور هبطت هذه العين تدريجياً إلى وسط الدماغ، وتعتبر الغدة الصنوبرية في الإنسان أثراً لهذه العين الثالثة الأولية.

والغدة الصنوبرية تمثل الجزء المادي (الفيزيقي) لما يصفه علماء اليوغا بـ «العين الثالثة ذات البصيرة» (the third eye - of intuition) والتي إذا دربت بمراعاة «وفتحت» عن طريق تدريبات اليوغا، تتمكن من الرؤية في الماضي والحاضر والمستقبل في حالة من الوعي المرتفع المليء بالغبطة (Blissful).

ولقد توصل العلماء حديثاً إلى اكتشاف يدعم هذه الفكرة القديمة، إذ تبين لهم أن الغدة الصنوبرية تفرز هرمونات معينة تؤثر على كافة الغدد السفلى وعلى أعضاء كثيرة في الجسم، ولها ارتباط وثيق بحالات الوعي المختلفة للإنسان.

فإذا توقفت هذه الغدة عن إنتاج أحد هرموناتها المسمى سيراتونين (serotonin)، يخيم على الشخص حالة من الاسترخاء المتزايد، إلى أن يدخل في حالة عالية من الإدراك السامي.

وقال د. «جوزيف مجدلاني»: سر وجود الغدة الصنوبرية يكمن في كونها أداة البصر الباطني في الإنسان. فأنت تدرك الآن أن الإنسان الماضي الغابر، قبل أن يتكون جسده المادي الكثيف كان كياناً هيولياً، وكان يملك أداة للبصر، أشبه بالعين تقع في منتصف ما كان يمثل رأسه... وهي ما صارت تدعى بالغدة الصنوبرية، بعدما غارت داخل رأسه... وقد استطاع الإنسان في تلك الأزمان الأولية بواسطة هذه الغدة الروحية رؤية الأبعاد قاطبة بما فيها العوالم الروحية الماورائية، أو عالم الغيب، لأنه كان على اتصال دائم بها آنذاك. ولما تكثفت طبيعة بنيته، وحاد عن مسار الحق، وسلك درب الشر والسلبيات... غارت هذه «العين الروحية» داخل رأسه، لتظهر بدلاً

منها عينان ماديتان (دليل الازدواجية) لا يرى من خلالهما غير المحيط المادي الذي يعيش ضمنه.

أما «العين الروحية» التي غارت داخل رأسه، فبقيت مطموسة هناك منذ تلك الأزمان، وباتت تعرف بالغدة الصنوبرية التي ما بقيت إلا لتذكر الإنسان بماضيه الروحي المرموق وبحاضره الروحي المحدود»[١].

ويقول علماء الباطن: إنَّ الرؤيا تتجلى بالعين الثالثة أثناء النوم حيث ترتفع العيون إلى الناصية لترى في عالم الروح ما لا تراه أثناء اليقظة.

كما تفتح العين الثالثة أثناء سجود المرء في الصلاة حيث يلامس جبينه الأرض ويضغط عليها، ويرافق هذه الحركة حدوث نوع من الجهد والضغط الداخلي تستنفر معه طاقة المرء العضلية والنفسية... فالضغط على الجبين يحرِّض ويثير ما يدعى بالناصية وينشطها حيوياً... والناصية هي المنطقة الموجودة في مقدمة الدماغ وبالتحديد في منطقة العين الثالثة التي كانت في يوم من الأيام جهاز الاتصال النشط بالعوالم الفوقية قديماً، وهي ما زالت كذلك حتى اليوم إلا أنها الآن أقل نشاطاً وجدوى عما كانت عليه قديماً.. ولإعادة نشاطها بشكل فعال يجب إثارتها وتحريضها بممارسة نوع من الدغدغة عليها، ويتحقق ذلك بالسجود بشكل عفوي، ومن المعلوم أن حقيقة تلك العين هي جهاز يبث ويستقبل عديداً من الأمواج

---

(١) رحلة في مجاهل الدماغ: ص١٦٠.

الكهرطيسية وما فوقها وتكون في أوج نشاطها لدى المواليد حديثي الولادة، ويساعدها في ذلك فتحة اليافوخ الموجودة في جمجمة المولود. وهي على ارتباط وثيق بالغدتين الصنوبرية والنخامية وحركة السجود تنشطهما وتحسن أداؤهما في التعامل مع الحواس الفائقة اللامدركة مثل الحاسة السادسة والسابعة. . . واندفاع الدم بما يحمله من هرمونات إلى تلك المنطقة يبقيها نشطة فعالة يعزِّز نشاط القوى الخفية والفراسة والبصيرة عند الإنسان فيغدو قادراً على اكتشاف أشياء لا يدركها غيره فيحقق ربحاً ومكاسب معنوية ونفسيةً كبيرة كان يظنها أحلاماً لا تتحقق. ففي السجود التعبدي يتحرر العقل الباطن الأثيري وفي سجود الرياضة (اليوغا) يتحرر العقل الباطن الذبذبي فقط ويجعل النفس البشرية مرتعاً للجان والشياطين ومسرحاً لوسوستهم وأزيز أمواجهم وعبثهم فلا ينجز المرء شيئاً مما كان يرنو إليه من أماني. السجود الطويل مع ترديد كلمة واحدة فقط إسم الله (الله) هي الكلمة الوحيدة في الوجود التي لا يحدث معها شرود أو ضلال أو إحلال ضرر لأنها تمنع المحظورات (الخبيث من الأفكار) من دخول الدماغ بسبب الروادع الدينية والنفسية والأخلاقية والاجتماعية وحتى القانونية.

ومما يساعد على الفتح الروحي هو دهن الناصية بالعطر والورود والزيوت كالمسك والورد»[1].

---

(١) البرمجة الروحية ص ١٩٤.

البصيرة وعين القلب

إنَّ القلب أعظم من عين الرأس، فهي عين ثالثة تبصر ما لا تراه العينان، فعن الإمام زين العابدين عليه السلام: «ألا إن للعبد أربع أعين: عينان يبصر بهما أمر دينه ودنياه، وعينان يبصر بهما أمر آخرته، فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح له العينين اللتين في قلبه فأبصر بهما الغيب وأمر آخرته. وإذا به غير ذلك ترك القلب بما فيه»[(١)].

ومن وصية الإمام الصادق عليه السلام: «طوبى لمن جعل بصره في قلبه ولم يجعل بصره في عينيه»[(٢)].

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «خمس لا يجتمعن إلا في مؤمن حقاً يوجب الله له بهن الجنة: النور في القلب؛ والفقه في الإسلام؛ والورع في الدين؛ والمودة في الناس؛ وحسن السمت في الوجه»[(٣)].

وبهذه العين يستطيع الإنسان اكتشاف حقائق الأمور، ويدرك غوامضها وأسرارها، فكما أن المجهر يكبر الأمور الصغيرة التي لا

(١) ميزان الحكمة مادة (القلب).

(٢) التشريع الإسلامي: ج٦، ص٣١٥.

(٣) العالم والحكمة: ص١٤٥.

تُرى بالعين المجردة فإن عين القلب تستخدم ناظوراً معنوياً يكشف خفايا الأمور، وهو المعبر عنه في القرآن بـ«الهدى» و«النور» ففي مناجاة الإمام علي عليه السلام لربه قال: «إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك، وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك، حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلقة بعزّ قدسك».

ولهذه العين أوقات في الانفتاح والانغلاق، فهي تُفتح في حالات التألق الروحاني، في الصلاة والذكر، . . . كما أنها تُفتح عند النوم في الرؤيا الصادقة. . . وهناك تجارب وقصص عديدة تبين حصول المعرفة عند النوم.

وتكون عين القلب مفتوحة لدى الأطفال فيرون ما لا يراه الكبار، إلا أن عيونهم تضعف عن الرؤية تدريجياً مع مرور الأيام وبتأثير التربية الخاطئة حتى تفقد الرؤية تماماً وتصاب بالعمى.

ويقابل انفتاح عين القلب العمى والانغلاق، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «شر العمى عمى القلب»[1].

---

(١) ميزان الحكمة مادة (القلب).

ويصاب الإنسان بالعمى عندما يترك التفكر والتدبر ويكثر عمل المعاصي والخطايا.

عن رسول الله ﷺ أنه قال في القلب المطبوع: «الطابع معلّق بقائمة العرش، فإذا انتُهكت الحرمة وعُمل بالمعاصي واجتُرِىء على الله بعث الله الطابع فيطبع على قلبه فلا يعقل بعد ذلك شيئاً»[(١)].

(١) دراسة في تنبؤات نوستردامس ص ١٤.

الإستبصار

بحث علماء «العلم الروحي الحديث» مسألة الكشف عن البصر وتوصلوا إلى أنَّ لدى بعض الناس قدرة على رؤية الأشياء والناس والحوادث خارج نطاق البصر المادي، وأطلقوا على هذه الحالة «الإستبصار» أو «الجلاء البصري».

يقول الدكتور شرف الدين الأعرجي: «والاستبصار هو الإحساس بحوادث تجري بعيداً ولمسافات قد تطول أو تقصر، ويتم إدراكها من دون استعمال أعضاء حس معروفة، وهي إمّا أن تكون قد حصلت في اللحظة التي تمّ بها إدراكها من جانب الشخص المستبصر، أو أنَّها بعد لم تحصل، ويتمّ حصولها في يوم أو يومين أو أكثر من ذلك من ساعة الإحساس بها... وهناك عدد من التجارب التي أُجريت منذ سنة ١٩٣٠م وإلى اليوم وهي تشير إلى أنَّ الاستبصار هو قدرة بشرية موجودة بالفعل... وقد اكتشفوا في خصوصها عوامل تقويها إلى جانب عوامل أخرى تضعفها، فمن جملة ما يضعفها هو: الملل، انشغال الذهن وشروده، استعمال المواد المخدّرة، الرتابة، كما أنَّ العوامل التي تؤدي إلى شحذ هذه الطاقة وتقويتها هو: إثابة ومكافأة من يمارسها، التعاون معه، ظروف مختبرية مناسبة».

ويقول عن تفسير هذه الظاهرة البشرية: «إنَّ وعي المستبصر وذاته تنشطر إلى شطرين، شطرٌ يبقى مع جسمه وشطرٌ يتسامى ويعلو، وتتمثل في هذا الشطر الثاني القدرة على الاستبصار وعلى استكشاف العالم الخارجي بشكل أوسع وأعمق وأقرب إلى معدن المعرفة. وهو يحسّ في نفس الوقت بأنّ كلا الشطرين يعودان له، وأنّهما ما زالا من الأنا، ومن الحالات التي يعيشها هذا الوعي الثاني العلوي هو أن يكون في حالة يكون فيها الزمان والمكان وحدة واحدة مما يجعله يحسّ بأنّه حر في البعد الزماني للقضاء»(١).

ويقول علماء البحث الروحي في تفسير الجلاء البصري: «إنَّ العين الأثيرية ترى على مسافات بعيدة ولا يعوقها حائط أو غيره من الماديات، ويفسرون ذلك بأن أي جسم مادي يبعث بإشعاع مستمر في جميع الجهات، وهو يشبه الإشعاع الضوئي العادي في طريقة انتقاله ولكنه أرقّ منه كثيراً وبذا يمكنه أن يخترق الحوائط مهما كانت صلبة، وعندما يسقط على العين الأثيرية للإنسان يؤثر عليها ويجعلها ترى، تماماً كما ترى العين المادية عندما يسقط عليها الإشعاع الضوئي المعتاد»(٢).

وينقسم أصحاب الجلاء البصري إلى قسمين:

١ - أصحاب الجلاء البصري القريب.

٢ - وأصحاب الجلاء البصري البعيد.

---

(١) العالم غير المنظور: ص١٥٧.

(٢) الحاسة السادسة: ص٧١.

الجلاء البصري القريب وهو القدرة على الكشف عن الحوادث والأشياء القريبة فقط، فلأصحاب هذا القسم قدرة على اكتشاف ما وراء الجدار، أو ما في العلبة، أو ما في باطن الأرض إلى أمتار عديدة، وما في داخل نفس الإنسان من أفكار ونوايا ومرض جسدي أو نفسي...

فقد حُكي عن رجل روسي من مواليد ١٨٧٣ يدعى «جورجيف» كان يرى ما بداخل العُلب والخزنات، بحيث أنّه كان ينظر إلى الخزانة المقفلة ويعدد محتوياتها فيقول: إنَّ فيها كذا وكذا من الثياب ولونها كذا وكذا.

وقد جاءه عالم ليختبره فقال له: «إنَّ في جيبك ورقة مكتوب عليها كذا وكذا»[1].

الجلاء البصري البعيد وهو القدرة على كشف عن الحوادث والأشياء مهما كانت بعيدة، فبإمكان أصحابه أن يتعرفوا على الحوادث الماضية والمستقبلية.

ومن ذلك ما حصل لدى العالم الفرنسي «نوستراداماس» فقد كانت لديه القدرة على معرفة ما سيجري في المستقبل من خلال الجلاء الذي تمتع به.

وفي كتب التواريخ والسير ما يدل على أنَّ للأئمة عليهم السلام قدرة على الكشف عن أفكار الناس، والكشف عن حقائقهم الباطنية من السعادة والشقاوة والكشف عن عالم الجن والملائكة والعرش

---

(١) معرفة الإمام: ج١٢، ص٦٣.

والآخرة والكشف عمّا حصل في الزمان الماضي، وعمّا سيحصل في المستقبل القريب والبعيد، كما أنَّ لديهم القدرة على كشف ذلك لخُلص أصحابهم وشيعتهم.

رُوي عن الأصبغ بن نباتة أنه قال: «كان أمير المؤمنين علي عليه السلام يوماً جالساً في نجف الكوفة، فقال لمن حوله: من يرى ما أرى؟ فقالوا: وما ترى يا عين الله الناظرة في عباده؟ فقال عليه السلام: أرى بعيراً يحمل جنازة ورجلاً يسوقه ورجلاً يقوده، وسيأتيكم بعد ثلاثة أيام، فلمّا كان اليوم الثالث، قدم البعير والجنازة مشدودة عليه، ورجلان معه، فسلّما على الإمام وعلى الجماعة، فقال لهما أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن حيّاهم: من أنتم؟ ومن أين أقبلتم؟ ومن هذه الجنازة؟ ولماذا قدمتم؟

فقالوا: نحن من اليمن، وأمّا الميت فأبونا، وإنه عند الموت أوصى إلينا فقال: إذا غسلتموني وكفنتموني وصليتم علي، فاحملوني على بعيري هذا فادفنوني هناك بنجف الكوفة.

فقال لهما أمير المؤمنين عليه السلام: هل سألتماه لماذا؟ فقالا: أجل قد سألناه، فقال: يُدفن هناك رجلٌ لو شفع في يوم القيامة لأهل الموقف لشُفع.

فقام أمير المؤمنين عليه السلام وقال: «صدق. أنا والله ذلك الرجل»[1].

عن أبي خالد الكابلي أنّه دخل على الإمام زين العابدين عليه السلام

---

(١) الإمام زين العابدين عليه السلام للمقرّم: ص٥٩.

فقال له عليه السلام: «إن شئت أريتك الجنة التي هي مسكني، قلت: نعم، فمسح على عيني فرأيت كأني في الجنة أنظر إلى قصورها وأنهارها وبقيت مدة أنظر إلى ذلك، ثم مسح على عيني، فإذا أنا بين يديه»(١).

عن أبي بصير أنّه قال للإمام محمد الباقر عليه السلام: ما أكثر الحجيج وأعظم الضجيج.

فقال عليه السلام: «بل ما أكثر الضجيج وأقل الحجيج، أتحبّ أن تعلم صدق ما أقوله وتراه عياناً؟ فمسح بيده على عينيه فدعا بدعوات فعاد بصيراً، فقال عليه السلام: أنظر يا أبا بصير إلى الحجيج، قال: فنظرت فإذا أكثر الناس قردة وخنازير، والمؤمن بينهم كالكوكب اللامع في الظلماء، فقال أبو بصير: صدقت يا مولاي ما أقل الحجيج وأكثر الضجيج ثم دعا بدعوات فعاد ضريراً...»(٢).

عن صالح بن سعيد أنّه قال: دخلت على أبي الحسن الهادي عليه السلام فقلت: جُعلت فداك في كل الأمور أرادوا إطفاء نورك والتقصير بك، حتى أنزلوك هذا الخان الأشنع خان الصعاليك.

فقال عليه السلام: ههنا أنت يا بن سعيد؟

ثم أومأ بيده فقال: أنظر، فنظرت فإذا بروضات آنقات، وروضات ناضرات، فيهن خيرات عطرات، وولدان كأنهنّ اللؤلؤ المكنون، وأطيار، وظباء، وأنهار تفور، فحار بصري والتمع وحسرت عيني.

---

(١) من شواهد المبلغين، للشيخ أكرم جزيني: ص١٦٥.
(٢) أصول الكافي: ج١، ص٤٩٨.

فقال عليه السلام: حيث كنّا فهذا لنا عتيد ولسنا في خان الصعاليك»[١].

وعن أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام أنّه قال: «كان علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام جالساً في مجلسه فقال يوماً في مجلسه: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما أمر بالمسير إلى تبوك، أمر بأن يخلف علياً بالمدينة، فقال علي عليه السلام: يا رسول الله! ما كنت أحب أن أتخلّف عنك في شيء من أمورك، وأن أغيب عن مشاهدتك والنظر إلى هديك وسمتك.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي! أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبي بعدي، تقيم يا علي وإنّ لك في مقامك من الأجر مثل الذي يكون لك لو خرجت مع رسول الله، ولك مثل أجور كل من خرج مع رسول الله موقناً طائعاً، وإنّ لك على الله يا علي لمحبتك أن تشاهد من محمد سمته في سائر أحواله، بأن يأمر جبرائيل في جميع مسيرنا هذا أن يرفع الأرض التي نسير عليها، والأرض التي تكون أنت عليها، ويقوي بصرك حتى تشاهد محمداً وأصحابه في سائر أحوالك وأحوالهم، فلا يفوتك الإنس من رؤيته ورؤية أصحابه ويغنيك ذلك عن المكاتبة والمراسلة.

فقام رجل من مجلس زين العابدين عليه السلام: هذا هو معجزة لمحمد رسول الله صلى الله عليه وآله لا لغيره، لأنَّ الله تعالى إنما رفعه بدعاء محمد صلى الله عليه وآله، وزاد في نور بصره أيضاً بدعاء محمد صلى الله عليه وآله، حتى شاهد وأدرك ما أدرك»[٢].

---

(١) الاحتجاج: ج٢، ص١٩٠.

(٢) دار السلام: ج١، ص٤٠.

حالات فتح البصيرة

إنَّ فتح البصيرة لا يختص بوقت دون آخر، فما على الإنسان إلا أن يكون مهيئاً لذلك وبعدها يصل لحالة التنوير من حيث لا يحتسب.

نعم، هناك حالات يكون فيها الفتح أكثر وأبرز وهي:

١ - حال الصلاة.

٢ - حال النوم، فإنَّ النوم يفتح عين البصيرة فتكون الرؤيا نورانية صادقة.

عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «ذهبت النبوة فلا نبوة بعدي إلا المُبشرات، قيل: وما المبشّرات؟ فقال ﷺ: الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو تُرى له»[١].

وعنه ﷺ: «إنَّ الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزء من أجزاء النبوة»[٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «رأى المؤمن ورؤياه جزء من سبعين

(١) المصدر نفسه: ص٤٠.
(٢) السير إلى الله: ص١٧٩.

جزءاً من أجزاء النبوة، ومنهم من يُعطى على الثلث»[1].

يقول الشيخ جواد المالكي التبريزي رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ: «فيا للمعارف الكثيرة التي انكشفت للسالكين بواسطة الأحلام، وكم كثيرة تلك المقامات التي تلطف بها السالك بواسطة رؤيا الأنبياء والأئمة وعظماء الدِّين.

ويقول: وإنَّ كثيراً من آمال هذا العبد بهذه الرؤيات والأحلام، فإنَّني فيها قد زرت الأئمة المعصومين عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ وحصلت فيها على موارد الرحمات العظيمة، ونتيجة ما حصلت من لذَّة تلك الأحلام فإنني كثيراً ما عندما أنام تعتريني لذة وراحة وأمل ورجاء أن أحصل على تلك الرؤيات.

ويقول: وليلتفت إلى أنَّه من الممكن أن ينزل الله تعالى الجواد عناياته عليه في نومه هذا كما كانت تنزل المواهب العظيمة على الأنبياء وسائر الأولياء والمؤمنين في أثناء النوم، حتى إنِّي أعرف أنَّ بعضهم أعطي معرفة النفس في وسط النهار»[2].

٣ - عند الموت، ففي ذلك الوقت تنكشف الحجب وتظهر الحقائق كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾.

عن علي بن الحسين ومحمد بن علي عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ أنهما ذكرا وصية علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وساقا الوصيّة وفيها: «وأوصيكم بالعمل قبل أن يؤخذ منكم بالكظم، وباغتنام الصحة قبل السقم، وقبل ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١، ص١٤٧، ح٢٢٣ وج١٢، ص١٤١، ح١٣٧٣٠.
(٢) بحار الأنوار: ج٧٧، ص٢٨، س٦.

يَحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الزمر: ٥٦ - ٥٧] وأنّي ومن أين؟ وقد كنت للهوى متبعاً فيكشف له عن بصره، وتهتك له حجبه لقول الله عزّ وجلّ: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أنى له بالبصر؟ ألا أبصر قبل هذا الوقت الضرر؟ قبل أن تحجب التوبة بنزول الكربة، فتتمنّى النفس أن لو ردّت لتعمل بتقواها، فلا ينفعها المنى»[1].

(١) غرر الحكم: ١٣٧٧.

الفصل الثالث

خطوات لفتح البصيرة

خطوات لفتح البصيرة

حديث جامع عن أمير المؤمنين عليه السلام فيما أوحى الله تعالى إلى نبيه ليلة المعراج: «. . . يا أحمد هل تدري أي عيش أهنأ وأي حياة أبقى؟ قال: اللهم لا، قال: أما العيش الهنيء فهو الذي لا يفتر صاحبه عن ذكري ولا ينسى نعمتي ولا يجهل حقي، يطلب رضاي في ليله ونهاره، وأما الحياة الباقية فهي التي يعمل لنفسه حتى تهون عليه الدنيا وتصغر في عينه، وتعظم الآخرة عنده، ويؤثر هواي على هواه ويبتغي مرضاتي ويعظّم حق عظمتي ويذكر علمي به، يراقبني بالليل والنهار عند كل سيئة أو معصية، وينقي قلبه عن كل ما أكره، ويبغض الشيطان ووساوسه ولا يجعل لإبليس على قلبه سلطاناً وسبيلاً، فإذا فعل ذلك أسكنت قلبه حباً حتى أجعل قلبه لي وفراغه واشتغاله وهمّه وحديثه من النعمة التي أنعمت بها على أهل محبتي من خلقي، **وأفتح عين قلبه وسمعه حتى يسمع بقلبه وينظر بقلبه إلى جلالي وعظمتي**. . . يا أحمد ولأزينته بالهيبة والعظمة فهذا هو العيش الهنيء والحياة الباقية وهذا مقام الراضين، فمن عمل برضاي ألزمه ثلاث خصال: أعرفه شكراً لا يخالطه الجهل، وذكراً لا يخالطه النسيان، ومحبّة لا يؤثر على محبتي محبة المخلوقين فإذا أحبني

أحببته و. . . واجعل قلبه واعياً وبصيراً ولا أخفى عليه شيئاً من جنة ولا نار، وأُعرفه ما يمرّ على النّاس في يوم القيامة من الهول والشدة، وما أحاسب الأغنياء والفقراء والجهّال والعلماء. . .»[١].

لفتح البصيرة خطوات عديدة أبرزها:

أولاً: المحبة، فإن العبد إذا أحبّ الله تعالى يصير حبيباً له تعالى فيفتح عين قلبه للرؤية.

ثانياً: ذكر الله تعالى.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الذّكر جلاء البصائر ونور السرائر»[٢].

وعنه عليه السلام: «ذكر الله ينير البصائر ويونس الضّمائر»[٣].

وعنه عليه السلام: «الذكر هداية العقول، وتبصرة النّفوس»[٤].

وعنه عليه السلام: «مَن ذكر الله إستبصر»[٥].

ثالثاً ورابعاً: الخوف والرجاء.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «الخوف رقيب القلب، والرجاء شفيع النفس، ومن كان بالله عارفاًض كان من الله خائفاً وإليه راجياً، وهما جناحا الإيمان، يطير العبد المحقق بهما إلى رضوان الله، وعينا عقله يبصر بهما إلى وعد الله ووعيده. . .»[٦].

---

(١) غرر الحكم: ٥١٦٧.
(٢) غرر الحكم: ١٤٠٣.
(٣) غرر الحكم: ٧٨٠٠.
(٤) بحار الأنوار: ج٧٠، ص٣٩٠، ح٥٨.
(٥) بحار الأنوار: ج٢، ص٥٦، ح٣٦.
(٦) مواهب الرحمن: ج١، ص٢٣٦.

عن الإمام علي عليه السلام: «إنّ من أحبّ عباد الله إليه عبداً أعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن، وتجلبب الخوف، فزهر مصباح الهدى في قلبه، وأعدّ القرى ليومه النازل به، فقرّب على نفسه البعيد، وهوّن الشديد، فنظر فأبصر...»(١).

خامساً: الإخلاص.

والإخلاص هو أن يقصد العبد ربه في كل أعماله وحركاته وسكناته، بلا أي رياء أو عجب أو طلب للدنيا.

ومن أهم موارد الإخلاص هو إخلاص التوحيد لله تعالى، ففي الحديث القدسي:

«قَالَ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ: إنِّي أنَا اللهُ لا إلَهَ إلاَّ أنَا فَاعْبُدُونِي، مَنْ جَاءَ مِنْكُمْ بِشَهَادَةِ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ بالإخْلاَصِ دَخَلَ حِصْنِي، وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أمِنَ مِنْ عَذَابِي»(٢).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله عَنِ اللهِ تَقَدَّسَتْ أسْمَاؤُهُ وَجَلَّ وَجْهُهُ قَالَ: «إنِّي أنَا اللهُ لا إلَهَ إلا أنَا وَحْدِي، عِبَادِي فَاعْبُدُونِي، وَلْيَعلَمْ مَنْ لَقِيَنِي مِنْكُمْ بِشَهَادَةِ أنْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ مُخْلِصاً بِهَ أنَّهُ قَدْ دَخَلَ حِصْنِي، وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أمِنَ عَذَابِي. قَالُوا: يَابْنَ رَسولِ اللهِ، وَمَا إخْلاَصُ الشَّهَادَةِ للهِ؟ قَالَ: طَاعَةُ اللهِ وَرَسُولِهِ وَوِلايَةُ أهْلِ بَيْتِهِ عَلَيهِمُ السَّلاَمُ»(٣).

---

(١) رسالة السير والسلوك: ص٩٦.
(٢) العمى والبصيرة ص ٨٢.
(٣) المصدر نفسه.

كما ان الاخلاص هو ان يكون هدفه الوصول إلى الله تعالى لا إلى الشهرة أو القدرات الخارقة، ففي الخبر قال موسى: «يا رب أين أنت فاقصدك؟ قال تعالى إذا قصدتني فقد وصلت»[١].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «عند تحقق الإخلاص تستنير البصائر»[٢].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «ما أخلص عبد الإيمان بالله أربعين يوماً أو قال: ما أجمل عبد ذكر الله أربعين يوماً إلا زهّده الله في الدنيا، وبصّره داءها ودواءها، وأثبت الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه...»[٣].

سادساً: ولاية آل محمد صلى الله عليه وآله.

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨] قال: «ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والأوصياء من بعدهم»[٤].

قال الإمام أبو محمد العسكري عليه السلام في جواب رسالة محمد بن الحسن بن ميمون: «... إنَّ الله عزّ وجلّ يخصّ أولياءنا إذا تكاثفت ذنوبهم بالفقر، وقد يعفو عن كثير منهم، كما حدثتك نفسك: الفقر معنا خير من الغنى مع عدوّنا، ونحن كهف لمن التجأ إلينا، ونور

(١) رسالة السير والسلوك: ص٩٦.
(٢) المحبة: ص٣٢٧.
(٣) غرر الحكم: ٦٢١١.
(٤) بحار الأنوار: ج٧٠، ص٢٤٠، ح٨.

لمن استبصر بنا، وعصمة لمن اعتصم بنا، من أحبّنا كان معنا في السنام الأعلى، ومن انحرف عنّا فإلى النار»[١].

عن الشيخ المفيد بإسناده إلى محمد بن السائب الكلبي قال: «لما قدم الصادق عليه السلام العراق، نزل الحيرة، فدخل عليه أبو حنيفة وسأله عن مسائل - إلى أن قال - قال أبو حنيفة: أخبرني جعلت فداك عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨] قال: فما هو عندك يا أبا حنيفة؟ قال: الأمن من السّرب، وصحة البدن، والقوت الحاضر، قال: يا أبا حنيفة لئن وقفك الله وأوقفك يوم القيامة، حتى يسألك عن كل أكلة أكلتها، وشربة شربتها، ليطولنّ وقوفك، قال: فما النّعيم جعلت فداك؟ قال: النّعيم نحن الذين أنقذ الله الناس بنا من الضلالة، وبصّرهم بنا من العمى، وعلمهم بنا من الجهل»[٢].

ومن كتاب لأمير المؤمنين عليه السلام إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكة: «أما بعد، فإن عيني - بالمغرب - كتب إليّ يعلمني أنه وجّه إلى الموسم أناس من أهل الشام العمى القلوب، الصمّ الأسماع، الكمه الأبصار، الذين يلبسون [يلتمسون] الحق بالباطل، ويطيعون المخلوق في معصية الخالق و...»[٣].

عن الإمام علي عليه السلام: «ما لكم والدنيا فمتاعها إلى انقطاع،

---

(١) الكافي: ج١، ص٤٢٥، ح٦٦.
(٢) بحار الأنوار: ج٥٠، ص٢٩٩، س٥.
(٣) مستدرك الوسائل: ج١٦، ص٢٤٩، ح١٩٧٥٨.

وفخرها إلى وبال، وزينتها إلى زوال، ونعيمها إلى بؤس، وصحّتها إلى سقم أو هرم، ومآل ما فيها إلى نفاد وشيك وفناء قريب، كل مدّة فيها إلى منتهى، وكل حيّ فيها إلى مقارنة البلى، أليس لكم في آثار الأولين وآبائكم الماضين عبرة وتبصرة إن كنتم تعقلون، ألم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون، وإلى الخلف الباقين، منكم لا يبقون...»(1).

ثامناً: التوبة.

في وصية مولانا الباقر عليه السلام لجابر بن يزيد الجعفي: «... إنّ المؤمن معني بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها، فمرّة يقيم أودها ويخالف هواها في محبة الله، ومرّة تصرعه نفسه فيتبع هواها فينعشه الله فينتعش ويقيل الله عثرته فيتذكّر، ويفزع إلى التوبة والمخافة فيزداد بصيرة ومعرفة لما زيد فيه من الخوف، وذلك بأن الله يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾..»(2).

تاسعاً: الجوع.

عن أمير المؤمنين عليه السلام في ما أوحى الله تعالى إلى النبي صلى الله عليه وآله ليلة المعراج قال الله تبارك وتعالى: «.. يا أحمد إنّ العبد إذا أجاع بطنه وحفظ لسانه علّمته الحكمة وإن كان كافراً، تكون حكمته حجة عليه ووبالاً، وإن كان مؤمناً تكون حكمته له نوراً وبرهاناً وشفاء

---

(1) نهج البلاغة: كتاب ٣٣، ص١٥٥٧ وبحار الأنوار: ج٣٣، ص٤٩١، ح٦٩٧.

(2) بحار الأنوار: ج٧٨، ص١٩، ح٧٨.

ورحمة، فيعلم ما لم يكن يعلم، ويبصر ما لم يكن يبصر، فأول ما أبصره عيوب نفسه حتى يشتغل عن عيوب غيره، وأبصره دقائق العلم حتى لا يدخل عليه الشيطان...»[١].

إنَّ قلَّة الطعام والشراب أنفع للصحة الجسدية والعقلية والروحية.

عن رسول الله ﷺ: «حسب ابن آدم لقيمات يُقمن صلبه»[٢].

عن الإمام الصادق عليه السلام: «قلّة الأكل محمودة في كلّ حال، وعند كل قوم، لأنَّ فيه المصلحة للباطن والظاهر»[٣].

عن رسول الله ﷺ: «من قلّ طعمه صح بدنه وصفا قلبه، ومن كثر طعمه سقم بدنه وقسا قلبه»[٤].

عن الإمام علي عليه السلام: «من قلَّ طعامه قلَّ آلامه»[٥].

فمن الناحية الجسدية فإنَّ قلَّة الطعام تُعطي النشاط والقوَّة والحيوية، وهذا ما نجده في الفقراء دون الأغنياء.

ولذا ليس غريباً إن وجدنا أنَّ قوت جيش المسلمين في كثير من الغزوات كان التمر والماء.

وعن الإمام علي عليه السلام: «... وكأنّي بقائلكم يقول: إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران ومنازلة

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٨، ص١٦٣، س٤.
(٢) بحار الأنوار: ج٧٧، ص٢٩، س١٥.
(٣) المحجة البيضاء: ج٣، ص٩.
(٤) المصدر نفسه: ص٩.
(٥) طب المعصومين: ص٣٩.

الشجعان، ألا وإنَّ الشجرة البرية أصلب عوداً والروائع الخضرة أرقّ جلوداً، والنباتات العذبة أقوى وقوداً وأبطأ خموداً»(١).

وأمّا من الناحية العقلية والنفسية والروحية فإنَّ قلّة الطعام تُصفي الذهن فيزداد الذكاء وتُصفى النفس والرُّوح فيزداد الإشراق.

فعن رسول الله ﷺ: «نور الحكمة الجوع»(٢).

وعنه ﷺ: «اشربوا وكلوا في إنصاف البطون فإنَّه جزءٌ من النُّبوَّة»(٣).

من هنا فقد كان العُبَّاد يوصون مريدهم الذين يريدون السير إلى الله تعالى، ويريدون العلم النوراني، بقلّة الطعام والشراب والمنام.

ففي وصية الإمام الصادق عليه السلام: «... فإيّاك أن تأكل ما لا تشتهيه فإنَّه يورث الحماقة والبله، ولا تأكل إلا عند الجوع، وإذا أكلت فكل حلالاً وسمِّ بالله وأذكر حديث رسول الله ﷺ: «ما ملأ آدمي وعاءً شرّاً من بطنه، فإنْ كان ولا بُدَّ، فثلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ لنفسه»(٤).

وعنه عليه السلام: «قلّة الأكل محمود في كلِّ حال وعند كلِّ قوم، لأنَّ فيه المصلحة للباطن والظاهر، والمحمود من الأكل أربعة: ضرورة، وعدَّة، وفتوح، وقوت: فالأكل بالضرورة للأصفياء، والعدَّة للقوام الأتقياء، والفتوح للمتوكّلين، والقوت للمؤمنين، وليس شيء أضرَّ

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) نهج البلاغة: كتاب ٤٥.

(٣) طب المعصومين: ص١١٥.

(٤) المصدر نفسه: ص٣٠.

لقلب المؤمن من كثرة الأكل، وهي مورثة شيئين: قسوة القلب وهيجان الشهوة، والجوع إدام للمؤمن وغناء الرُّوح، وطعام القلب، وصحّة البدن، قال النبيُّ ﷺ: «ما ملأ ابن آدم وعاء أشر من بطنه»، وقال داود عليه السلام: «ترك اللقمة مع الضرورة إليها أحبُّ إليَّ من قيام عشرين ليلة»، وقال النبيُّ ﷺ: «المؤمن يأكل بمعي واحد والمنافق بسبعة أمعاء»، وقال النبيُّ ﷺ: «ويلٌ للناس من القبقبين فقيل: وما هما يا رسول الله؟ قال: الحلق والفرج»، وقال عيسى بن مريم عليه السلام: «ما مرض قلب بأشدَّ من القسوة وما اعتلَّت نفس بأصعب من نقص الجوع، وهما زمامان للطرد والخذلان»(١).

رُوي أن عيسى عليه السلام أوصى الحواريين بالجوع، وقال لهم: «كونوا كالحية»، فلمّا رُفع عيسى عليه السلام، قالوا: لا نبرح حتى نعلم تأويل كلامه عليه السلام.

فقال أحدهم: كونوا كالحيّة إذا تطوّقت والتفّت جعلت رأسها في جسدها؛ لأنّها تعلم أنّ ما أصابها من الألم في جسدها لا يضرّها إذا سلم رأسها فيقول لكم روح الله: احفظوا الدين، فإنّه رأس مال الدنيا والآخرة، ومهما أصابكم من الفقر والضرّاء لم يضرّكم مع سلامة دينكم.

وقال آخر: إنّ روح الله قال لكم: كونوا كالحيّة؛ لأنّ الحية لا تأكل إلا التراب، حتى لا يخرج السمّ من جوفها، فكذلك لا تنتفعون بما تسمعون من الحكمة لطلب الآخرة ما دام حبّ الدنيا في قلوبكم.

---

(١) تزكية النفس: ص١٧٠.

وقال آخر: قال لكم روح الله: كونوا كالحيّة؛ لأنّ الحية إذا حسّت من نفسها الوهن جوّعت نفسها أربعين يوماً، ثم دخلت حجراً ضيّقاً ورجعت شابّة أربعين سنة، فيقول لكم روح الله: جوّعوا أنفسكم في الدنيا اليسيرة لبقاء المدة الطويلة، كما جوّعت الحيّة نفسها أربعين يوماً لبقاء أربعين سنة، فأجمعوا على قوله أنه أراد هذا[١].

وكان ميقات موسى عليه السلام أربعين يوماً، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّه ما أكل وما شرب ولا نام ولا اشتهى شيئاً من ذلك في ذهابه ومجيئه أربعين يوماً شوقاً إلى ربّه»[٢].

وروي في تفسير الإمام العسكري عليه السلام: «كان موسى بن عمران عليه السلام يقول لبني إسرائيل: إذا فرّج الله عنكم وأهلك أعداءكم آتيكم بكتاب من ربكم يشتمل على أوامره ونواهيه ومواعظه وعبره وأمثاله.

فلمّا فرّج الله تعالى عنهم أمره[٣] الله عزّ وجلّ أن يأتي للميعاد، ويصوم ثلاثين يوماً عن أصل الجبل، وظنّ موسى أنّه بعد ذلك يعطيه الكتاب.

فصام موسى ثلاثين يوماً... إلى أن قال: فأوحى الله عزّ وجلّ إليه... صم عشراً أخر، ولا تستاك عند الافطار، ففعل

---

(١) بحار الأنوار: ص٣٣٧.

(٢) النجم الثاقب: ج٢، ص٣٥٥.

(٣) راجع جنة المأوى (النوري): ص٣٢٧.

ذلك موسى عليه السلام، وكان وعد الله عزّ وجلّ أن يعطيه الكتاب بعد أربعين ليلة فأعطاه إياه»[١].

عاشراً: الصمت.

عن أمير المؤمنين عليه السلام في ما أوحى الله تعالى إلى النبي صلى الله عليه وآله ليلة المعراج قال الله تبارك وتعالى: «.. يا أحمد إنّ العبد إذا أجاع بطنه وحفظ لسانه علّمته الحكمة وإن كان كافراً تكون حكمته حجة عليه ووبالاً، وإن كان مؤمناً تكون حكمته له نوراً وبرهاناً وشفاء ورحمة، فيعلم ما لم يكن يعلم، ويبصر ما لم يكن يبصر، فأول ما أبصره عيوب نفسه حتى يشتغل عن عيوب غيره، وأبصره دقائق العلم حتى لا يدخل عليه الشيطان...»[٢].

كثرة الصمت من العوامل المساعدة على قوة الفكر وذلك كما يقول آية الله الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: «لأن القوى الفكرية تفقد التوحد والانسجام ويصيبها حالة من التشتت والانقلاب في حالات الكلام الزائد، فعندما يتخذ الإنسان السكوت جلباباً له تتمركز قواه الفكرية مما يعينه على التفكير الصحيح. وبالتالي انفتاح أبواب الحكمة بوجهه»[٣].

وذكر العلامة الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي أن أحد السادة سأل العلامة الطباطبائي رحمه الله عن طريقة لحضور القلب في الصلاة فقال له: «قلل كلامك»[٤].

---

(١) تفسير الإمام الحسن العسكري: ص٢٤٨ - ٢٥٠.

(٢) بحار الأنوار: ج٧٧، ص٢٩، س١٥.

(٣) الأخلاق في القرآن.

(٤) السير على درب الحبيب: ص١٩١.

قال العالم الشيخ حسن زاده آملي: «وقد وقعت حادثة طريفة لأحد الموالين كانت تربطنا به علاقة حميمة، وهي أنه فاز ذات مرة بمصداق للقاء «من رآني فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي»، فطلب منه عليه السلام أن يعلمه ذكراً فقال عليه السلام: عليك بذكر السكوت!

وقال: وقعت للمؤلف حادثة عجيبة، سجلها في ديوان «دفتر القلب» على هذا النحو:

أغلقتُ الباب على نفسي ليلة وجلستُ في زاوية من الدار.

كنتُ أفكر - بحيرةٍ وعمق - في المبدأ والمعاد حتى ذهلتُ تدريجياً عن نفسي!.

فرأيتهم يخيطون بالإبرة والخيط شفتي وأنا أتحرّق جسماً وروحاً.

قالوا: إن هذا «جزاءً وفاقاً» لمن يطلق للسانه حرية قول ما يشاء فإذا سيطرت عليه فلا حاجة لخياطة شفتيك!

لقد آذتني تلك الحالة وذقت اللظى منها.

لقد جعلتني أرى جهنم وأذوق العذاب البرزخي»(١).

فعندما يستغرق الإنسان في الصمت، يُفتح قلبه لأنوار الحكمة وتُفتح عينه لرؤية الغيب وتُفتح أذنه لاستماع صوته. فيسمع حفيف أوراق الشجر، وصوت الأنفاس، ودقات القلوب، وصوت الأفكار والنوايا، ويسمع صوت الضمير، وصوت العقل الباطني، وصوت

---

(١) نور على نور: ص٦٨.

الملائكة، وصوت الحياة... فلكل شيء لغة وصوت، أما الصمت فصوته وأذنه وسمعه أقوى.

الحادي عشر: التعقل.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «دعامة الإسلام العقل، ومنه الفطنة والفهم والحفظ والعلم، وبالعقل يكمل، وهو دليله ومبصره ومفتاح أمره، فإذا كان تأييد عقله من النور، كان عالماً حافظاً زاكياً فطناً فهماً، فعلم بذلك كيف ولم وحيث؟ وعرف من نصحه ومن غشّه، فإذا عرف ذلك عرف، مجراه وموصوله ومفصوله، وأخلص الوحدانية لله والإقرار بالطاعة، فإذا فعل ذلك كان مستدركاً لما فات وارداً على ما هو آت، فعرف ما هو فيه، ولأي شيء هو هاهنا؟ ومن أين يأتي؟ وإلى ما هو صائر؟ وذلك كلّه من تأييد العقل»(١).

وعن الإمام الكاظم عليه السلام: «يا هشام إن ضوء الجسد في عينه فإن كان البصر مضيئاً استضاء الجسد كله، وإنّ ضوء الروح العقل، فإذا كان العبد عاقلاً كان عالماً بربّه، وإذا كان عالماً بربّه أبصر دينه، وإن كان جاهلاً بربّه لم يقم له دين، وكما لا يقوم الجسد إلا بالنفس الحيّة فكذلك لا يقوم الدين إلا بالنيّة الصادقة، ولا تثبت النيّة الصادقة إلا بالعقل»(٢).

جاء في النصوص الدينية الشريفة أن الله تعالى خلق في الملكوت من نور مخزون مكنون أول خلق روحاني هو «العقل»، ففي الحديث:

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١١، ص٢١٠، ح١٢٧٦٦.

(٢) بحار الأنوار: ج١، ص١٥٣، س٦ وج٧٨، ص٣١٢، س١.

عن رسول الله ﷺ: «إنَّ الله تبارك وتعالى خلق العقل من نور مخزون مكنون في سابق علمه الذي لم يطّلع عليه نبي مرسل ولا ملك مقرّب»(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ الله عزّ وجلّ خلق العقل وهو أول خلقٍ من الروحانيين عن يمين العرش من نوره، فقال له: أدبر فأدبر، ثم قال له: أقبل فأقبل، فقال الله تبارك وتعالى: خلقتك خلقاً عظيماً وكرّمتك على جميع خلقي»(٢).

الثاني عشر: التفقه في الأحكام الشرعية

قال الكاظم عليه السلام: «تفقهوا في دين الله، فإنّ الفقه مفتاح البصيرة، وتمام العبادة، والسبب إلى المنازل الرفيعة، والرّتب الجليلة في الدين والدّنيا...»(٣).

إنَّ الفقه هو الفهم... وهو ضروري في الأمور العلمية والفكرية وسائر مجالات الحياة، فلا ينفع علم بدون فهم...

ولفهم العلم وفقهه لا بد من التفكر فيه، فعن الإمام علي عليه السلام: «من أكثر الفكر فيما تعلم أتقن علمه وفهم ما لم يكن يفهم»(٤).

وعنه عليه السلام: «ألا لا خير في علم ليس فيه تفهم»(٥).

---

(١) العقل والجهل: ص١١.
(٢) الإنسان: ص١٤٦.
(٣) بحار الأنوار: ج١٠، ص٢٤٧، س١ وج٧٨، ص٣٢١، ح١٩.
(٤) العلم والحكمة: ص٢٤٣.
(٥) المصدر نفسه.

وبالفقه يصل الإنسان إلى أعلى المراتب المعنوية... ويقطع مسافات روحية قلّما يصل إليها من يمارس العبادات البدنية، ولذا ورد عن رسول الله ﷺ: «قليل الفقه خير من كثير العبادة»(١).

وعنه ﷺ: «فقيه واحد أشدّ على إبليس من ألف عابد»(٢).

إنّ ما يحتاجه الإنسان في حياته الدنيا هو فهم الدين بقسميه:

١ - العقيدة، ويُقال لها: الفقه الأكبر.

٢ - الشريعة، ويُقال لها الفقه الأصغر.

قال تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

الثالث عشر: التفكر والتدبر.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «دوام الإعتبار يؤدي إلى الإستبصار، ويثمر الإزدجار»(٣).

عن الإمام موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال علي عليه السلام: «خطب بنا رسول الله ﷺ فقال: ... فإنّ التفكّر حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور، والنّور يحسن التخلّص ويقلّ التربّص»(٤).

---

(١) ميزان الحكمة مادة (الفقه).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) غرر الحكم: ٥١٥٠.

(٤) بحار الأنوار: ج٧٧، ص١٣٧، س٥ وج٩٢، ص١٧، ح١٧.

قال الحسن بن علي عليه السلام: «عليكم بالفكر، فإنّه حياة قلب البصير ومفاتيح أبواب الحكمة»[(١)].

في وصية أمير المؤمنين إلى الحسن عليه السلام: «... ومن تفكّر أبصر...»[(٢)].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من طال فكرته حسنت بصيرته»[(٣)].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «رأس الإستبصار الفكرة»[(٤)].

التفكّر من أهم الأمور العقلية التي تساهم في بناء الإنسان وتكامله في الدنيا والآخرة، فعن الإمام علي عليه السلام: «أصل العقل الفكر»[(٥)].

بل نستطيع القول: إنَّ الهدف من الصلاة والذكر والحج وبقية العبادات هو الوصول إلى مرتبة الذكر التي لا تحصل إلا بالتفكر، قال تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤].

وفي حديث للإمام علي عليه السلام عن علّة الركوع والسجود قال: «... وليشغل قلبه وذهنه بذكر الله ولم يذهب به الفكر والأماني غير الله»[(٦)].

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٨، ص١١٥، ح١٢.

(٢) نهج البلاغة: كتاب ٣١، ص٥٥١، س٢؛ وبحار الأنوار: ج٧٧، ص٢٢٩، س٦ وج٧٧، ص٢١٨، س٤.

(٣) غرر الحكم: ٨٣١٩.

(٤) غرر الحكم: ٥٢٣٢.

(٥) العقل والجهل: ص١٠٤.

(٦) الصلاة: ص٩٨.

قال الشيخ البهائي رحمه الله: «قال بعض الأكابر: إنما كان الفكر أفضل لأنه عمل القلب، وهو أفضل من الجوارح فعمله أشرف من عملها، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ فجعل الصلاة وسيلة إلى ذكر القلب، والمقصود أشرف من الوسيلة»[1].

فبالتفكر يصل الإنسان إلى معرفة ربّه والقرب إليه.

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «أفضل العبادة إدمان التفكر في الله وفي قدرته»[2].

وعنه عليه السلام: «إنما أولوا الألباب الذين عملوا بالفكرة حتى ورثوا منه حب الله»[3].

قال السيد الخميني: «إعلم أن أول شروط مجاهدة النفس والسير باتجاه الحق تعالى هو التفكر»[4]، وهو «مفتاح أبواب المعارف وخزائن الكمالات والعلوم، وهو مقدمة لازمة وحتمية للسلوك الإنساني»[5].

وبالتفكر يصل الإنسان إلى مقامات معنوية عالية بوقت قصير، فبدل أن يمضي عشر سنوات بالصلاة والذكر حتى يصل إلى بعض المقامات الروحية، فإنه يستطيع الوصول لذلك بالتفكر بضعة أشهر.

---

(١) الأربعون حديثاً الحديث الثاني.
(٢) الأربعون: ص١٨٦.
(٣) العقل والجهل: ص١٢٤.
(٤) الأربعون: ص٢٣.
(٥) المصدر نفسه: ص١٨٦.

ولهذا ورد: «تفكّر ساعة خير من عبادة سنة»(١).

وعن الإمام علي عليه السلام: «فكر ساعة قصيرة خير من عبادة طويلة»(٢).

وفي حديث: «تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة».

وفي رواية: «سبعين سنة» وعن بعض علماء الفقه والحديث «ألف سنة»(٣).

فهذا النبي إبراهيم عليه السلام وصل إلى مقام النبوة بعد التفكر في السموات، قال تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٥ - ٧٩].

وهذا النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله كان يتفكر في غار حراء حتى نزل عليه الوحي.

فعن الإمام علي عليه السلام: «... ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء»(٤).

---

(١) ميزان الحكمة مادة «الفكر».

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الأربعون حديثاً: ص١٨٦.

(٤) نهج البلاغة الخطبة: ص١٩٢.

قال السيد هاشم معروف الحسيني: «ووجد في غار حراء ما ينشده من الوحدة والخلوة مع نفسه، فكان يذهب إليه في شهر رمضان من كل عام يقيم فيه الشهر بكامله، مكتفياً بالقليل من العيش تحمله إليه زوجته خديجة الكبرى، يطلب الحقيقة وحدها في خلواته مع نفسه ومن تأملاته في السماء...»[1].

وكذلك كانت سيرة الإمام علي عليه السلام فلقد كان يذهب إلى حديقة «بني النجار» ويخلو بربّه قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً، يقلب طرفه في السماء متأملاً عظمة الكون متفكراً في خلق السموات والأرض مردداً «ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار»[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «كان أكثر عبادة أبي ذر - رحمة الله - التفكر والاعتبار»[3].

وسُئلت زوجة أبي ذر عن عبادة زوجها فقالت: «كان نهاره أجمع يتفكر في ناحية عن الناس»[4].

ويُروى أن لقمان الحكيم كان يطيل الجلوس لوحده، فيمّر به مولاه فيقول له: يا لقمان إنك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك، فيقول: إن طول الوحدة أفهم للفكرة، وطول الفكرة دليل على طريق الجنة.

وجاء في ربيع الأبرار للزمخشري قال: «قُرّب إلى الإمام زين

---

(١) سيرة المصطفى: ص١٠٣.
(٢) الإستغفار أمان أهل الأرض، ص١٦١.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) الإستغفار أمان أهل الأرض: ص١٦١.

العابدين عليه السلام طهوره في وقت ورده فوضع يده في الإناء ليتوضأ، ثم رفع رأسه فنظر إلى السماء والقمر والكواكب فجعل يفكّر في خلقها حتى أصبح وأذّن المؤذن ويده في الإناء»[(١)].

ولا قيمة للأعمال العبادية البدنية إذا لم تكن بتفكر.

ولهذا نجد الكثير من الناس يمضون عمرهم وهم يصلون ويصومون بلا نتيجة سوى إسقاط الواجب الشرعي، عن الإمام الكاظم عليه السلام: «ليست العبادة كثرة الصلاة والصوم، إنما العبادة التفكر في أمر الله»[(٢)].

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «... وإنما يُكتب للعبد من صلاته ما عقل منها»[(٣)].

وعنه صلى الله عليه وآله: «ركعتان خفيفتان في تفكّر خير من قيام ليلة»[(٤)].

وبالتفكر يتعرف الإنسان على عيوبه النفسية.

فعن الإمام علي عليه السلام: «فكر المرء مرآة تريه حسن عمله من قبحه»[(٥)].

وبالتفكير يُلهم الإنسان، فالإلهام هو نوع من الاستقبال العقلي للمعارف والحقائق الموجودة في العقل الكلي والمنطوية في الكون الأكبر والأصغر، فعندما يستغرق العقل بالتفكير العميق تبدأ

---

(١) القطرة: ج١، ص٥٥٧.
(٢) ميزان الحكمة مادة «الفكر».
(٣) الصلاة: ص٨٢.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) ميزان الحكمة مادة «الفكر».

الفيوضات والومضات النورانية تدخل إليه، فيتلقى ما لم يخطر على باله، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٧ - ٨]. فالآية المباركة تذكر أن الإنسان يتلقى معلومات وأفكار وإلهامات ووساوس من خارج نفسه فيزداد روحانية.

عن الإمام علي عليه السلام في وصف سالك الطريق إلى الله سبحانه: «قد أحيا عقله، وأمات نفسه، حتى دق جليله، ولُطف غليظه، وبرق له لامعٌ كثير البرق، فأبان له الطريق، وسلك به السبيل، وتدافعته الأبوابُ إلى باب السلامة، ودار الإقامة، وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمن والراحة، بما استعمل قلبه، وأرضى ربه»[1].

وعنه عليه السلام: «وما برح لله عزّت آلاؤه في البرهة بعد البرهة وفي أزمات الفترات عباد ناجاهم الله في فكرهم وكلّمهم في ذات عقولهم»[2].

وعنه عليه السلام: «ظن العاقل كهانة»[3].

وفي الدعاء: «اللهم اجعلنا من المصلين الذين يناجونك وتناجيهم، ويكلمونك وتكلمهم في ذات عقولهم حتى نستصبح بنور يقظةٍ في الأبصار والأسماع والأفئدة»[4].

والإلهامات الفكرية تأتي من مصادر عديدة، منها: القرآن الكريم، وعالم العقل، وأرواح المعصومين عليهم السلام... فعن الإمام

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٠.
(٢) نهج البلاغة خطبة: ١١٧.
(٣) العقل والجهل: ص١٠١.
(٤) نهج البلاغة الخطبة ٢٢٢.

محمد الباقر عليه السلام: «ما من عبد أحبنا وزاد في حبنا وأخلص في مودتنا وسألنا مسألة إلا أجبناه ونفثنا في روعه جواباً لتلك المسألة»(١).

فبالتفكير يتحوّل عقل الإنسان إلى جهاز لالتقاط الذبذبات العقلية الموجودة في الكون، ألسنا نرى بالوجدان أن الإنسان يضع يده على جبهته أثناء التفكير ليلتقط فكرة، كما نرى المتعبدين يتأملون في السماء لينتظروا الأسرار والكرامات، فما علينا إلا فتح هذا الجهاز وانتظار الومضات النورانية.

قال السيد عبد الأعلى السبزواري رحمه الله حول الفكر: «والمعروف بين الفلاسفة أنه توجه النفس بمبادىء معلومة ليستنتج منها نتائج مطلوبة تترتب عليها قهراً، وهل هذا الترتب من قبيل الأسباب التوليدية أو أنّه من مجرد الاقتضاء كما في جميع المقتضيات، أو أنّه عملية كيماوية كما يدعيها الماديون، أو أنّه من مجرد الاتفاق من دون دخل للأسباب في البين، أو أنه من الإفاضات الغيبية حفظاً للنظام وتسهيلاً على الأنام؟

قال بكل جمع من الفلاسفة وإن كان الحق هو الأخير فتكون النتائج الفكرية كالمصابيح الكهربائية التي لا تضيء إلا مع الاتصال بأسلاك تربط بالمحل المولد لتلك القوة وبذلك لا بد من اتصاله بالمبدأ الأعلى»(٢).

---

(١) الروح: ص١٠٧.
(٢) مواهب الرحمان: ج٧، ص١٩١.

وبالتفكر في المطالب العلمية يصل الإنسان إلى الإبداع والابتكار.

فما هذه الابتكارات العلمية والتطور الإنساني إلا من خلال التفكر، عن الإمام علي عليه السلام: «لا علم كالتفكر».

وفي التاريخ نماذج من العظماء الذين، فكّروا فتوصلوا إلى نتائج صنعت الحضارة الإنسانية، فمثلاً اكتشف «نيوتن» جاذبية الأرض بعد أن نظر إلى تفاحة تسقط من الشجرة ففكّر واستنتج، واكتشف قانون «الجاذبية»، وهكذا اكتشف «غاليلو» كروية الأرض، و«أينشتاين» النسبية.

وبالتفكر في أمور الحياة يصل إلى النتائج الحسنة وإلى النجاح في الحياة.

عن الإمام علي عليه السلام: «الفكر في العواقب ينجي من المعاطب»(١).

وعنه عليه السلام: «إذا قدمت الفكر في جميع أفعالك حسنت عواقبك»(٢).

وعنه عليه السلام: «ألا وإن اللبيب من استقبل وجوه الآراء بفكر صائب ونظر في العواقب»(٣).

وقد أثبتت التجارب العلمية أن كثرة التفكير في شيء ما يؤدي إلى تجلي الأمر المطلوب في عالم الرؤيا.

---

(١) ميزان الحكمة مادة «الفكر».
(٢) المصدر نفسه.
(٣) العقل والجهل: ص١٢٣.

فمن أراد أن يرى أحد المعصومين عليهم السلام في الرؤيا فعليه أن يكثر التفكير في ذلك وخصوصاً قبل النوم.

عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام: «من كانت له إلى الله حاجة، وأراد أن يعرف موضعه من الله فليغتسل ثلاث ليال يناجي بنا فإنه يرانا»[١].

وقد فسّر كلامه بـ «يناجي بنا» أي يحدّث نفسه بنا أو يتوسل بنا.

وكم من معضلات علمية وطبية قد حُلت من خلال الأحلام بعد كثرة التفكير فيها؟! فقد حُكي في أحوال ابن سينا أنّه كان يحل مسائله العلمية وهو نائم، وذلك أنّه كان يتوضأ قبل النوم ثم يصلّي ركعتين ويأوي إلى فراشه فيرى الحل في عالم الرؤيا، وقد جاء في ترجمة حياته بقلمه: «وكنت أرجع بالليل إلى داري وأضع السراج بين يدي وأشتغل بالقراءة والكتابة، ومهما أخذني أدنى نوم أحلم بتلك المسائل بأعيانها حتى أن كثيراً من المسائل اتضح لي وجوهها في المنام».

وقال جالينوس في كتابه «الفصد»: «إنّي أُمرت في منامي بفصد العرق الضارب الذي بين السبابة والإبهام من اليد اليمنى، فلمّا أصبحت فصدت هذا العرق وتركت الدم يجري إلى أن انقطع من تلقاء نفسه لأني كذلك أُمرت في منامي... وأعرف إنساناً شفاه الله من وجع مزمن كان في جنبه بفصد العرق الضارب في كفّه والذي دعا ذلك الرجل أن يفعل ذلك رؤيا رآها».

---

(١) الأحلام: ص١١٦.

أما (الياس هاو) فقد أمضى سنوات وهو يحاول إتقان صنع ماكينة الخياطة وذات ليلة حلم أن قبيلة بدائية أسرته وحكمت عليه بالموت طعناً بالرماح إن لم يخترع ماكينة خياطة في غضون ٢٤ ساعة، وأجهد هاو دماغه بحثاً عن الحل الصحيح ولكن من دون جدوى، وعندما انتهى الوقت المحدد له أحاط المحاربون به ورفعوا رماحهم ليقتلوه وفجأة استيقظ هاو ونهض قافزاً من الفراش وأسرع إلى مختبره، لقد لاحظ أن في كل رمح ثقباً على شكل عين قرب طرفه المدبب، وأدرك أن مشكلته قد حلت، فلكي يصنع ماكينة خياطة تعمل بنجاح يجب أن يكون الثقب في طرف الإبرة وليس في رأسها أو وسطها.

ولذا جاءت الخطابات القرآنية وأحاديث الرسول ﷺ وأحاديث أهل بيته عليهم السلام زاخرة بالمفردات الداعية إلى التفكير والتعقل: كالتفكر والتذكّر والتدبّر والتعقل والتفقّه والذكر واللبّ والنهى، وجعلت هذه المحاور مداراً، وأكدت عليها في توجهاتها أكثر من أي شيء آخر؛ حيث تكررت في القرآن الكريم كلمة العلم ومشتقاتها ٧٧٩ مرة، وكلمة الذكر ٢٧٤ مرة، والعقل ٤٩ مرة، والفقه ٢٠ مرة، والفكر ١٨ مرة، واللبّ ١٦ مرة، والتدبّر ٤ مرات.

ومدح الله تعالى الذين يتفكرون، ويعقلون ويتدبرون، فقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥].

والمتوسمون هم المتفكرون الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته.

كما ذمّ الله تعالى الذين لا يتفكرون ووصفهم بأنهم جاهلون وغافلون.

قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩].

ومصير الغافلين هو شقاء الدنيا والآخرة ولهذا فإنهم يقولون يوم القيامة: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [الملك: ١٠ - ١١].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

ولذا كانت النصوص الشريفة تدعو الناس للاستيقاظ من غفلة التفكير.

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: نبّه

بالتفكر قلبك، وجاف عن الليل جنبك، واتقِ الله ربك»(١).

الرابع عشر: تلقين النفس.

من كلام أمير المؤمنين عليه السلام: «إنَّ هذا القرآن فيه مصابيح النور وشفاء الصدور، فليجل جال بضوئه وليلجم الصفة، فإنّ التلقين حياة القلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنّور»(٢).

إنَّ لتكرار الكلام تأثير كبير في الفكر وذلك لأمور:

١ - يوجب تثبيت الفكر وتركيزه، فكما ذكرنا أن الفكر لا يهدأ ولا يستقر، وعلاجه كثرة تكرار الذكر...

٢ - يفتح العقل لاستقبال الروحانيات، فكما أن كثرة الضرب بالأرض تفتح عين الماء فكذلك يفعل الذكر في العقل، وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «اعلموا أن أسماء الله كنوز، والأعداد ذراعها، إذا قصر الذراع لم يصل إلى الأرض، وإذا طال الذراع دخل في الجوف»(٣).

٣ - تتحول الكلمات إلى جزء من العقل الباطني، فيكون الذكر أفضل تلقين روحاني للعقل الباطني.

قال السيد الخميني رحمه الله: «إن الإنسان يعدّ قلبه في أول الأمر كطفل ما انفتح لسانه وهو يريد أن يعلّمه كلا من الأذكار والأوراد والحقائق وأسرار العبادات بكمال الدقة والسعي ويفهم القلب الحقيقة

---

(١) الأربعون: ص١٨٤.

(٢) بحار الأنوار: ج٧٨، ص١١٢، س١٥.

(٣) ميزان الحكمة مادة «الذكر».

التي أدركها في أي مرتبة هو فيها، ونتيجة هذا التفهيم هو أنه بعد المواظبة بمدة ينفتح لسان القلب ويكون القلب ذاكراً ومتذكراً. ففي أول الأمر كان القلب متعلماً واللسان كان معلماً والقلب كان ذاكراً بذكر اللسان وتابعاً له في الذكر، وأما بعدما انفتح لسان القلب فيكون الأمر معكوساً فيكون القلب ذاكراً أولاً ويتبعه اللسان في الذكر والحركة.

بل بما يتفق أن الإنسان في حالة النوم يكون لسانه ذاكراً تبعاً للذكر القلبي لأنّ الذكر القلبي لا يختصّ بحال اليقظة فإذا كان القلب متذكّراً يكون اللسان التابع له أيضاً ذاكراً ويسري الذكر من ملكوت القلب إلى الظاهر «قل كل يعمل على شاكلته».

وبالجملة ففي أول الأمر لا بد أن يلاحظ الإنسان هذا الأدب: أي التفهيم حتى ينفتح لسان القلب الذي هو المطلوب الحقيقي وعلامة انفتاح لسان القلب أن يرتفع تعب الذكر ومشقته ويحصل النشاط والفرح ويرتفع الملل والألم - كشأن الإنسان إذا أراد أن يعلّم الطفل الذي لم يشرع في التكلّم، فما دام الطفل لم يتعلم التكلّم فإن المعلم يكون في تعب وملالة فإذا انفتح لسان الطفل وأدى الكلمة التي علّمها له ارتفعت ملالة المعلم. ويؤدي المعلم الكلمة تبعاً لأداء الطفل لها من دون ألم وتعب - .

فالقلب أيضاً في أول الأمر طفل ما انفتح لسانه بالكلام ولا بدّ له من التعليم وأن تلقّن له الأذكار والأوراد فإذا انفتح لسان القلب يكون تابعاً له وترتفع مشقة الذكر وتعب التعليم وملالة الذكر، وهذا الأدب بالنسبة إلى المبتدئين ضروري.

وليعلم أن من أسرار تكرار الأذكار والأدعية ودوام الذكر والعبادة انفتاح لسان القلب فيكون القلب ذاكراً وداعياً وعابداً وما دام لم يلاحظ الأدب المذكور لا ينفتح لسن القلب، وقد أشير إلى هذا المعنى في الأحاديث الشريفة كما في الكافي الشريف عن الصادق عليه السلام أن علياً عليه السلام قال في ضمن بيان بعض آداب القراءة: «ولكن اقرعوا به قلوبكم القاسية ولا يكن هم أحدكم آخر السورة». وفيه أيضاً أن أبا عبد الله الصادق عليه السلام قال لأبي أسامة: «يا أبا أسامة أوعوا قلوبكم ذكر الله واحذروا النكت».

وقد كان أولياء الله يلاحظون هذا الأدب حتى الكمل منهم كما في الحديث أن مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام كان في صلاته فغشي عليه فلمّا أفاق سُئل عن سببه فقال: ما زلت أردد هذه الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته»[1].

قال العلامة السيد حسن الأبطحي:

عندما كنّا في قم كان لنا أستاذٌ علامة كان يساعد الطلبة كثيراً في حلّ المشكلات الروحية.

لم يكن في ذلك الوقت، الوضع المادي والظرف المحيط مناسباً لطلاب الحوزة العلمية، ولذا كانوا غالباً ما يصابوا ببعض الحالات العصبية والنفسية حتى أن الكثير منهم كان يظن أنه مبتلى ببعض الحالات المرضية المزاجية المزمنة كالوسواس والهستريا وقد ظن

---

(١) المصدر نفسه.

بعضهم أنه ابتلي بمرض السل الذي كان علاجه في تلك الفترة صعباً بل مستحيلاً.

ومن بين هؤلاء «شاب» شاعرٌ، ذكي، كان يعتقد للأسف أنه مبتلى بمرض السل، وقد يكون ذلك واقعياً إذ أنه كان أحياناً عندما يسعل تخرج قطعاً من الدم المتخثر من فمه، وكان ضعيفاً جداً، وقد أيد بعض الأطباء وجود هذا المرض في هذا الشاب.

ولكن التفكير والخوف من المرض كان قد أثرّ في هذا الشاب أكثر من تأثير المرض نفسه ذات يوم سمعتُ الأستاذ العلامة يقول لذلك الشاب: أنك لست مبتلى بأي مرض، ولكن الخوف من المرض هو الذي أثر فيك إلى هذه الدرجة، ولذا عليك أن تقسم بأن تعمل بنصائحي لتتخلص من هذه الحالة.

فقال الشاب: وكيف لا أكون مصاباً بهذا المرض في حين أرى تلك القطع الدموية تخرج من حلقي بين الحين والآخر، وإن الهزال قد اعتراني إلى هذه الدرجة؟

فقال الأستاذ: على آية حال، إذا كنت طالباً سلامتك وصحتك فعليك الاستماع إلى نصائحي والعمل بها بدقة.

والنتيجة أن الأستاذ أقنع الطالب بالعمل بنصائحه وإرشاداته وكان من بين تلك النصائح:

١ - أن يشغل الطالب نفسه بالأعمال التي يهواها، وينصرف عن التفكير في المرض.

٢ - أن يخرج يومياً إلى خارج المدينة ويجلس على تلّ ويقول في نفسه مائة مرة يومياً: «إني سالم».

عندما سمعت هذه النصيحة الثانية من الأستاذ ضحكت مقهقهاً لأني تصورت بأن الأستاذ يمزح مع ذلك الشاب، ولكن وجدت أن الأستاذ يؤكد على هذا الأمر الثاني كثيراً ولذا فقد طلب من الشاب أن ينذر وأن يتعهد بهذا العمل. وقد رأيت الشاب ذات صباح وقد خرج من المدينة وبيده مسبحة وهو جالس على تل خارج قم يردد الورد الطبي.

والحاصل، بعد فترة حصل ما لم يخطر ببال أحدنا، حيث رأينا بأنفسنا كيف تخلص ذلك الشاب من تلك الحالة النفسية ومن ذلك المرض وقد التقيت به بعد سنة من تلك الواقعة، وكان سالماً صاحياً، فقال لي: أنا مدين على شفائي لنصائح الأستاذ العلامة.

يقول المرحوم آية الله الكوهستاني: عندما رجعت من النجف الأشرف إلى مازندران لأداء وظيفة تبليغ الدين، أحسست أني مبتلاً بوسوسة مرض صعب العلاج، ولكن ولأني لم أكن أرى علائم وآثار ذلك المرض، عرفت أن ذلك ليس إلا وسوسة وتخيلاً وإن علي أن أتخلص من هذه الحالة النفسية بأي شكل ممكن ولذا فقد أخذت بتلقين نفسي بأني سالم من كل مرض وأخذت أشغل نفسي بالأعمال والأمور التي تصرفني عن التفكير في تلك الحالة، وقد نجحت في التخلص من ذلك الابتلاء بحمد الله تعالى[1].

الخامس عشر: تلاوة القرآن الكريم

قال علي بن الحسين عليه السلام: «من قرأ سورة الممتحنة في فرائضه

---

(١) المصدر نفسه.

ونوافله إمتحن الله قلبه للإيمان، ونوّر له بصره، ولا يصيبه فقر أبداً، ولا جنون في بدنه، ولا في ولده»[١].

عن منافع القرآن، المنسوب إلى الإمام الصادق عليه السلام: «... ﴿ٱلْقَدْرِ﴾ من شرب ماءها، وهب الله له نوراً في بصره، واليقين في قلبه، ورزق الحكمة و...»[٢].

السادس عشر: الدعاء.

عن الإمام الرضا عليه السلام في آداب الإكتحال: «اللهم نوّر بصري واجعل فيه نوراً أبصر به حقّك، واهدني إلى طريق الحقّ وأرشدني إلى سبيل الرّشاد اللهم نوّر علي دنياي وآخرتي»[٣].

وكان من دعاء زين العابدين عليه السلام إذا سأل الله العافية وشكرها: «... وامنن عليّ بالصحة والأمن والسلامة في ديني وبدني، والبصيرة في قلبي...»[٤].

في الدعاء: «... اللهمّ اجعل غناي في نفسي، واليقين في قلبي، والإخلاص في عملي، والبصيرة في ديني، والنّور في بصري، ومتّعني بجوارحي، واجعل سمعي وبصري الوارثين منّي و...»[٥].

---

(١) تسبيح الزهراء: ص٣٠.
(٢) الآداب المعنوية للصلاة: ص٦٥.
(٣) عالم الأرواح العجيب: ص١٠٠.
(٤) بحار الأنوار: ج٨٥، ص٣٧، س٣، وج٩٢، ص٣١٠، س١٢، ووسائل الشيعة: ج٦، ص١٤٢، ح٧٥٦٠، ومستدرك الوسائل: ج٤، ص٢١٦، ح٤٥٢٥.
(٥) مستدرك الوسائل: ج٤، ص٣١٢، ح٤٧٦٦.

السابع عشر: الخلوة.

الإبتعاد عن الناس والخلوة مع الذات مسألة ضرورية للتفكر، وذلك لأن كثرة اشتغال الفكر بأمور الدنيا ومشاكلها وهمومها يمنع العقل من الهدوء والتركيز والتفكير.

فقد ثبت من خلال التجارب والاختبارات أن العقل بحاجة إلى الابتعاد عن المثيرات الخارجية لاستقبال الرسائل الفكرية.

ففي التجارب المصممة خصيصاً بهدف «إيقاظ نشاط الأعضاء العشرة»، يسبح الأشخاص المشتركين في أحواض كبيرة مليئة بالماء الدافىء، بنفس درجة حرارة الجسم، فلا يشعر الجلد بأي ملامسة، ويثبت المشتركون أيديهم وأرجلهم فلا يمكنهم التحرك (الأعضاء الحركية مثل الأيدي والأرجل موقوفة عن العمل).

وأعينهم معصوبة (العيون موقوفة). لا يأكلون ولا يفرزون شيئاً أثناء التجربة (أعضاء التذوق والإفراز موقوفة)، لا يتكلمون (الحبال الصوتية موقوفة)، لا يمارسون أي نشاط ذو طابع جنسي (الأعضاء التناسلية موقوفة)، الغرفة عازلة للصوت تماماً (الأذان موقوفة)، (أنوفهم موقوفة) ولا يدخلها أي روائح، أي أن جميع نشاطات الأعضاء العشرة للحس والحركة تكون متوقفة تماماً (مؤقتاً)، أثناء القيام بهذه التجربة.

ثم يأتيهم النعاس فينامون.

أحياناً ينامون لمدة طويلة تصل إلى ٢٤ ساعة، فعند غياب أي نوع من الإثارة التي قد تنشط الأعضاء الحسية والحركة، يتوقف

العقل الواعي عن العمل، ويفقدون الشعور بالزمن، فماذا يحدث معهم عندما يستيقظون بعد أخذ ما فيه الكفاية من راحة؟

في العقل الباطن: هلوسات، ورؤى، وأحلام يقظة، يمرون بتجارب تفوق في الخيال كل ما سبق لهم من تجارب. وحتى هؤلاء منهم الذين يعتبرون أنفسهم قليلي الخيال، تفاجئهم الرؤى المدهشة التي تذهلهم بشدّتها، وتجعلهم منجذبين في مشاهدة هذه الأفلام الداخلية.

فعندما تكون الأعضاء الحسية والحركية مرفوعة عن العمل ويكون بالتالي قائدها وموجهها، العقل الواعي أيضاً مرفوع عن العقل، يغوص الشخص في أعماق العقل الباطن، وهي الطبقة التي تحوي الأحلام، والذكريات والصور المخزونة. وعند غياب أي نوع من التدخل أو الإزعاج الخارجي، تتجمع هذه الصور مرة بعد مرة في تشكيلات مدهشة متعددة.

إن وظائف العقل الباطن الرئيسية هي الذاكرة والتفكير المتعمق. وعندما يعطي له الحرية الكاملة عن طريق إيقاف نشاط العقل الواعي، يعيش الشخص ذكرياته مرة أخرى، ويرى صوراً من خياله وكأنها حقيقة.

ما بعد العقل الباطن: هذا هو البعد الذين تمكن أغلب المشتركين في هذه التجربة من الوصول إليه، متجاوزين حدود العقل الواعي عن طريق عوامل خارجية اصطناعية لقطع نشاطات أعضائهم الحسية والحركية مؤقتاً، ولكن لم يستطيعوا النفاذ إلى حيز ما وراء العقل الباطن المكتظ بالأحاسيس الداخلية المخزونة من مدة طويلة،

إلا أن قلة قليلة من المشتركين تمكنت من المرور من حيز العقل الباطن وإلى ما ورائه، وأغلبهم غيروا من طريقة حياتهم بعد انتهائهم من هذه التجارب(١).

قال آية الله السيد البروجردي: «أما العزلة والصمت فالمقصود منهما دفع الشواغل الخارجية وضبط السمع والبصر الذين هما دهليز القلب عن الواردات الشاغلة له عما ينبغي الاشتغال به، ولذا قيل: إن القلب بمنزلة حوض تنصّب فيه مياه كدرة قذرة من الحواس، والمقصود من الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل فيه لينحصر أسفل الحوض، فيتفجر منه الماء الطاهر. فلا بد من ضبط الحواس إلا عن الضرورة»(٢).

ومن طرق عزل الحواس: الخلوة.

لذا يقول علماء الروحانيات: «إنَّ الاتصال مع عالم الأرواح يقتضي أن يوضع العقل في حالة تفرّغ وأن يُصقل من الأفكار الأرضية حتى يسهل عليه التقاط وتسجيل الأفكار القادمة إليه»(٣).

فالخلوة الجسدية هدفها الخلوة الفكرية.

ولذا ورد: عن رسول الله ﷺ: «الدنيا ساعة فاجعلها طاعة، وباب ذلك كلّه ملازمة الخلوة بدوام الفكر»(٤) وعنه ﷺ: «العزلة عبادة»(٥).

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٦، ص٩٥، ح٦.

(٢) الصحيفة السجادية: دعاء ٢٣.

(٣) بحار الأنوار: ج٩٧، ص٣١٧، س٢١.

(٤) ما بعد العقل اللاواعي: ص٦٣.

(٥) تفسير الصراط المستقيم: ج٢، ص٧٩.

عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ما أحقّ بالإنسان أن تكون له ساعة لا يشغله عنها شاغل»[١].

وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ملازمة الخلوة دأب الصالحين»[٢].

ولذا نجد أن الأولياء والعظماء وصلوا إلى المقامات العالية بعد الخلوة والعزلة.

قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾ [الكهف: ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾﴾ [مريم: ٤٨ - ٤٩].

وفي التاريخ الإسلامي أن النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كان يحب الخلوة بنفسه[٣]، وكانت له خلوة في غار حراء في شهر رمضان قبل البعثة وكان يعتكف في المسجد في العشر الأواخر من شهر رمضان.

وروي أن لقمان الحكيم عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يديم الجلوس لوحده فقيل له: إنك تديم الجلوس لوحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك فيقول: «إن طول الوحدة أفهم للفكرة، وطول الفكرة دليل على طريق الجنة»[٤].

---

(١) حياة محمد الروحية: ص٢٥.
(٢) الذكر معراج الروح: ص٢٢٦.
(٣) ميزان الحكمة مادة «العزلة».
(٤) غرر الحكم.

وقيل للإمام الصادق عليه السلام: خلوت بالعقيق وتعجلت الوحدة، فقال عليه السلام: «لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت من الناس»[١].

ومن أهم التجارب العملية ما حصل مع الفيلسوف الكبير «صدر المتألهين» فقد أفيض عليه أنوار عالم الملكوت بعد اعتزاله عن الناس وإليك بعض كلماته: «. . . هي من الواردات الكشفية على قلب أقل العباد عند انقطاعه عن الحواس والمواد»[٢].

وقال: «فلمّا رأيت الحال على هذا المنوال من خلو الديار عمّن يقدّر قدر الأسرار وعدم الأحرار، وأنه قد اندرس العلمُ وأسرارهُ، وانطمس الحق وأنواره. . . ضربتُ عن أبناء الزمان صفحاً، وطويتُ عنهم كشحاً فألجأني خمود الفطنة وجمود الطبيعة لمعاداة الزمان، وعدم مساعدة الدوران، إلى أن انزويت في بعض نواحي الديار، واستترت بالخمول والانكسار. منقطع الآمال، منكسر البال، متوفراً على فرض أوديه وتفريط في جنب الله أسعى في تلافيه. لا على درس ألقيه أو تأليف أتصرّف فيه. إذ التصرف في العلوم والصناعات، وإفادة المباحث، ودفع المعضلات وتبيين المقاصد ورفع المشكلات مما يحتاج إلى تصفية الفكر، وتهذيب الخيال عما يوجب الملال والاختلال. . . فتوجّهت توجهاً غريزياً نحو مسبب الأسباب، وتضرّعت تضرّعاً جبليّاً إلى مسهّل الأمور الصِعاب. فلما بقيتُ على هذا الحال من الاستتار والانزواء، والخمول والاعتزال زماناً مديداً،

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) سنن النبي: ص١٣٣.

وأمداً بعيداً، اشتغلت نفسي بطول المجاهدات اشتعالاً نورياً، والتهب قلبي لكثرة الرياضات التهاباً قوياً. ففاضت عليها أنوار الملكوت، وحلت بها خبايا الجبروت، ولحقتها الأضواء الأحديّة، وتداركتها الألطاف الإلهية. فاطلعت على أسرار لم أكن أطلع عليها إلى الآن، وانكشفت لي رموز لم تكن منكشفه هذا الانكشاف من البرهان، بل كل ما علمته من قبل بالبرهان عاينته مع زوائد بالشهود والعيان...»[(١)].

ويقول الشيخ الغزالي في تجارب حياته: «فآثرت العزلة... حرصاً على الخلوة وتصفية القلب للذكر... وانكشفت لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها»[(٢)].

ملاحظات:

١ - إنَّ الخلوة التي يدعو إليها الإسلام هو الخلوة المؤقتة وليست الخلوة الكلية، إذ «لا رهبنة في الإسلام»، كما أن ترك الواجبات الاجتماعية والاعتزال خطأ من وسوسة الشيطان.

٢ - إن الخلوة المؤقتة ضرورة للسائر إلى الله تعالى، وبعد وصوله إلى المقامات العالية يستغني عنها.

يقول العارف السيد الخميني رحمه الله: «... على الإنسان في بدايات السير والسلوك وأواسطه وأوائل نهاياته أيضاً أن يستفيد من

---

(١) مقدمة الأسفار الأربعة.

(٢) المصدر نفسه.

المشايخ وعظماء أهل القلوب الحية، فإذا بلغ نهايات السير والسلوك فعليه أن يتفرّغ لنفسه مدة ويشتغل بالحق تعالى وذكره، وإذا لم يكن ممكناً له في تلك الأوقات الجمع بين الخلوة بالحق تعالى وبين معاشرة الخلق فليعتزل حتى يُفاض عليه الكمال اللائق به من الملكوت الأعلى، فإذا وجد في نفسه حال الطمأنينة والاستقرار والاستقامة وأمن من الحالات النفسانية والوساوس الإبليسية، فعليه بمعاشرة الخلق بهدف إرشاد عباد الله وتعليمهم وتربيتهم، ويهيىء نفسه لخدمة عباد الله بكل ما استطاع...»[1].

٣ - ينبغي لمن أراد التفكر أن لا يكون ممتلىء البطن بالطعام فإن البطنة تُذهب الفطنة كما تقدم في الفصل الثاني. ونضيف في هذا الحديث القدسي عن الله تعالى: «يا داوود حذّر وانذر أصحابك أكل الشهوات، فإن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها محجوبة عني»[2].

تدريب الخلوة:

ينبغي قبل الاختلاء بالذات أن يفرّغ فكره من الأفكار والهموم، فإن بعض الناس يختلي بنفسه ليستعرض الذكريات الأليمة وهذا خطأ فادح.

ثم ابدأ تنقية الفكر بالطريقة التالية:

١ - استمع أو اقرأ القرآن الكريم.

---

(١) الأربعون حديثاً.

(٢) مقدمة الأسفار الأربعة.

٢ - أغمض عينيك واسترخ.

٣ - أدع الله تعالى أن يلهمك وينوّر قلبك.

٤ - تصوّر النور يحيط بك.

٥ - اختر أمراً روحياً وتفكّر به مستعيناً بالله تعالى.

الاعتكاف دعوة للتفكر:

الإعتكاف هو اللبث في المسجد عدة أيام بقصد العبادة، وهو عمل مستحب لقوله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

وكان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من شهر رمضان(١).

وللاعتكاف أحكام مفصّلة في كتب الفقهاء ومن أهمها:

١ - وجوب المكث في المسجد.

٢ - أن لا يقل المكث عن ثلاثة أيام.

٣ - الصوم.

وبالتأمل في هذه الشروط نجد أن الاعتكاف طريقة فعّالة للتفكر الروحاني، وذلك لخصوبة المكان الذي يضفي روحانية خاصة، ولتأثير الصيام الذي ينقي الجسم والروح والعقل، ولخصوصية المكث الذي يساعد على تثبيت الفكر، فإن أكثر ما يشتت الذهن هو انشغال الإنسان بهموم الحياة فيأتي الاعتكاف ليبعد المعتكف عن معوقات التفكير.

---

(١) حياة محمد الروحية: ص١٨.

وزيادة عن الآثار الروحية للاعتكاف فإن له آثار نفسية وعقلية..

يقال: إن ابن سينا كان إذا أشكل عليه أمر ما يعتكف في المسجد لتسمو روحه ويصفو ذهنه فلا يلبث إلا وقتاً يسيراً حتى يهتدي إلى الأمر المشكل.

الخلوة في البيت:

نظراً لصعوبة الخلوة في أماكن بعيدة عن الناس خصوصاً لأهل المدن فمن المناسب أن يختار مكاناً في منزله يخصصه للتفكر ويضفي عليه الأجواء الروحانية كالعطور والبخور والطهارة، فبذلك يصبح لهذا المكان روحانية عالية تساعد على الارتقاء الروحي.

عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «كان علي عليه السلام قد اتخذ بيتاً في داره ليس بالكبير ولا بالصغير فكان إذا أراد أن يصلي من آخر الليل أخذ معه صبياً لا يحتشم منه ثم يذهب إلى ذلك البيت فيُصلي»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه كتب إلى بعض أصحابه: «إني أحب لك أن تتخذ في دارك مسجداً في بعض بيوتك ثم تلبس ثوبين طمرين غليظين ثم تسأل الله أن يعتقك من النار وأن يدخلك الجنة ولا تتكلم بكلمة باطل ولا كلمة بغي»[2].

---

(١) الأربعون حديثاً: ص٣٨٧.

(٢) تفسير الصراط المستقيم: ج٢، ص٧٧.

وضعية الجلوس:

ينبغي الاهتمام براحة الجسد أثناء الخلوة وذلك لأمرين:

الأول: راحة الجسم فإذا كانت الجلسة غير صحيحة فذلك يعيق انسياب الدم إلى الدماغ ويتعب الفكر والجسم.

الثاني: استقرار الفكر فإذا سمحت لنفسك بالجلوس دون حراك بصورة منتظمة فإن ذلك يهدىء الفكر، فإذا أخذت قنينة فسكبت فيها ماءً وأضفت إليه الرمل والطين وحركتها فإنك تحصل على صورة لحالة الذهن ولكنك إذا تركت القنينة جامدة فإن الكلس يبدأ بالترسب، ويصبح الماء نقياً وصافياً وهكذا حال الجلوس والفكر.

وينصح في الجلوس بما يلي:

١ - أن يكون باتجاه القبلة فقد ورد: «إن خير المجالس ما استقبل به القبلة».

٢ - عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: «من أراد أن يشتغل بالذكر فيغتسل ويتوب عن جميع المعاصي، ويغسل ثيابه، ويجلس في الخلوة مربعاً، مستقبل القبلة، واضعاً يديه على ركبتيه، غامضاً عينيه، شارعاً بالتعظيم والقوة بحيث يطلع «لا إله إلا الله» من تحت السرّة، ويضرب على القلب بحيث يصل تأثيره على الأعضاء، مختفياً صوته كما قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: ٢٠٥] متفكراً معناه في القلب حتى يحيط الذكر بجميع الأعضاء ويستغرق فيها، فإن ورده وارد فينفيه بلا إله إلا الله ويقطع محبته

ويثبت الله، ويفرغ القلب عن الخيالات النفسانية، ويشتغل بالمشاهدات الروحانية».

ويعتبر السجود لله تعالى من الحالات المفيدة للتفكير. وذلك لأنه يساعد في وصول الدم إلى الدماغ بشكل طبيعي، كما أنه يمنع الحواس من الاشتغال بالأمور الخارجية.

الثامن عشر: الاعتبار.

قال الله تعالى: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ [النور: ٤٤].

العبرة والاعتبار من الأمور التي أمرنا بها في القرآن الكريم وكلمات الأولياء والمعصومين عليهم السلام، قال تعالى: ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ [الحشر: ٢].

والعبرة في اللغة: تجاوزٌ من حال إلى حال، وهي تصدق على المكان فيُقال: عبر الماء بالسباحة أو عبر الحاجز، كما تصدق على الأفكار وذلك بأن يتوصل الإنسان من معرفة المُشاهد إلى معرفة الغائب، قال تعالى في شأن الأمم العابرة: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [يوسف: ١١١].

عن الإمام علي عليه السلام: «رحم الله أمرأ تفكر فاعتبروا واعتبر فأبصر»[1].

وعنه عليه السلام: «من قوى عقله أكثر الاعتبار»[2].

---

(١) مهذب الأحكام: ج٥، ص٤٨٠.

(٢) المصدر نفسه.

حقيقة العبرة:

في كل شهر ظاهر وباطن، ففي الأشياء الخارجية - كزينة الحياة الدنيا وشهواتها وملذّاتها - ظاهر وباطن، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

وفي الأفعال البشرية - كالصلاة والصدقة أو الكفر والكذب - ظاهر وباطن، ومنه قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٠].

ومنه قول الخوارج: «لا حكم إلا لله» فظاهره حق وباطنه باطل.

والإنسان العاقل هو الذي لا يقف على ظواهر الأشياء، وإنما يعبر من خلال الظاهر إلى الباطن، وكما قيل: «إنّ طريق المعقولات يمرُّ بالمحسوسات».

بماذا نعتبر؟

ما من شيء في الوجود إلا وفيه العبرة، وكما في الحديث: «ما أكثر العبر وأقلَّ الاعتبار»(١) إلا أن أكثر ما يثمر الاعتبار أمور:

١ - الاعتبار بالتاريخ: وأحوال الأمم الماضية، كيف كانت وإلى أين صارت؟

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

من وصية الإمام علي عليه السلام لولده الحسن عليه السلام: «أحي قلبك

---

(١) لآلئ الأخبار: ج١، ص١٩٨.

بالموعظة وبصرّه فجائع الدنيا، وحذّره صولة الدهر، وفحش تقلُّب الليالي والأيام، وأعرض عليه أخبار الماضي، وذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين، وسر في ديارهم وآثارهم فانظر فيما فعلوا وعمّا انتقلوا، وأين حلّوا ونزلوا؟ فإنَّك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبّة وحلوا ديار الغربة، وكأنّك عن قليل قد صرت كأحدهم، فأصلح مثواك ولا تبع آخرتك بدنياك»[1].

٢ - الاعتبار بأحوال الناس: كيف يصبحون وهم أغنياء ويمسون وهم فقراء... ويصبحون أصحاء ويمسون مرضى أو موتى...

٣ - الاعتبار بأحوال الدُّنيا: كتقلُّب الليل والنهار... وتقلُّب أحوال الناس...

قال تعالى: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النور: ٤٤].

قصة وعبرة:

يقول الشيخ محمد جواد مغنية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عدت مريضاً مع ثلّة من الإخوان فوجدناه على حال دونها كل حال... عرفت هذا المريض منذ أربعين سنة على التحقيق وكان شاباً فقيراً يسكن مع زوجته في غرفة في إحدى قرى جبل عامل، وكانت الغرفة أشبه بالكوخ، سقفها وأرضها من طين، لا نوافذ لها إلا باب صغير وطيء للدخول والخروج، أما محتوياتها من أدوات وطعام فتتلاءم تماماً مع وضعها، ويستطيع رجل واحد أن يحمل كل ما فيها على ظهره، وكان في أول

---

(١) العلم والحكمة: ص١٣١.

أمره يشتغل حمّالاً في بيروت ينقل أمتعة الناس على ظهره بأجر زهيد، ثم فتح حانوتاً صغيراً في القرية، وتدرّج في التجارة شيئاً فشيئاً، وكان ذا خبرة بها ومهارة، وله عقل وتدبير، ولما تقدمت تجارته، وتحسنت حالته نقل تجارته إلى مدينة «صور» فتدفقت عليه الأرباح، واشترى بناية في بيروت، وأنشأ بستاناً في صور، وأصبح من الأغنياء وأهل الثراء، ومن أبرز صفاته الحرص على المال، والولوع بتحصيله وكنزه، ولا يخرج القرش من يده إلا لضرورة ماسة وحاجة لا مناص منها ولا خلاص، وكان في الوقت نفسه أميناً على حقوق الناس، ولا يعتدي على أحد، ولا يتدخل فيما لا يعنيه، ويؤدي الصوم والصلاة على أكمل الوجوه.

وفجأة وقع طريح الفراش فريسة للسرطان، وحين عدته شاهدت صورة يعجز عن وصفها القلم واللسان، فقد كان قبل أحزانه وسرطانه معتدل القامة، وسيم الوجه، مفتول الساعدين، ممتلىء الجسم، قوياً نشيطاً في ذهابه وإيابه، تطفح الحياة على وجهه، وفي عينيه، وحين دب الدّاء في جسمه أصبح رسماً بدون جسم، وخيالاً بلا حقيقة، ولو كان هذا وحده لكان فيه سعادته وهناؤه بالقياس إلى آلامه وأوجاعه، فلقد رأيته يقضم اللحاف بأسنانه تارة، ويعضّ يده أخرى، وهو يبكي ويقول: أواه يا حبذا الموت... عشرة أشهر لا أعرف فيها النوم، ولا الطعام إلا بعض العصير، ثم يلتفت إلى إبنه، ويقول بصوت باكٍ حزين: اشتروني، لا أريد مالاً ولا عقاراً... يا ليتني أعمى كسيح أرعى نبات الأرض عارياً كالحيوانات، ولا أتألم ألمي

هذا. إني أحس عظام ظهري تُنشر بالمناشير، وأمعائي تُقطع بالسكاكين، وكأنَّ في خاصرتي مياسم من حديد...

خرجت من بيته، وأنا أقول: كلنا مُعرض لموضعه ومضجعه، ومن الذي يضمن لنفسه السلامة والعافية، ولكن لا نحس بألم الضرب قبل وقوعه، ولا يلذع الحريق قبل أن تمسنا النار، وهنا يكمن سرّ الإهمال والتقصير، وإلى الله نعتذر ونفزع من كل مكروه.

وما زالت تلك الصورة المرعبة ماثلة أمام عيني تؤثر في نفسي أثرها المخيف، ولا أخالها تتوارى عني ما دمت حياً، وما وجدت شيئاً أشرح به كلمات الإمام أوضح منها، وهو القائل عليه أفضل الصلاة والسلام: «فاتعظوا بالعِبر، واعتبروا بالغير، وانتفعوا بالنذر»[1].

التاسع عشر: التنفس. وذلك لأنه يُدخل إلى الجسد طاقة الأوكسجين التي تساعد على الفتح الروحي.

العشرون: الصبر على البلاء كما سنذكر في أحوال الذين فتحت بصيرتهم بعد البلاء، فإن الملاحظ أن أكثر حالات الفتح الروحي بعد تحمل البلاء.

---

(١) العقل والجهل: ص١٢٦.

الفصل الرابع

قصص الذين فتحت بصيرتهم

صحابي جليل

عن أبي عبد الله عليه السلام: «إستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله حارثة بن مالك بن النعمان الأنصاري فقال له: كيف أنت يا حارثة بن مالك النعماني، فقال: يا رسول الله مؤمن حقاً، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: لكل شيء حقيقة فما حقيقة قولك؟ فقال: يا رسول الله!... و:اني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون في الجنّة، وكأنّي أسمع عواء أهل النار في النار، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: عبد نوّر الله قلبه أبصرت فأثبت...»[1].

(١) نهج البلاغة: حكمة ٢٩٧.

شاب في حرم الحسين عليه السلام

نقل عن الشيخ «حسين مشكور» أنّه قال: «في إحدى الليالي رأيت في المنام وكأنّي في حرم الإمام الحسين عليه السلام وإذا بشاب يُسلّم على الإمام الحسين عليه السلام ويبتسم ورأيت الإمام عليه السلام يرد عليه السلام، ثمّ استيقظت من النوم.

وفي الليلة التالية وكانت ليلة جمعة تشرفت بزيارة الإمام الحسين عليه السلام ووقفت في زاوية من الحرم لأقرأ الدُّعاء والزيارة، وإذا بي أرى الشاب الذي رأيته في المنام يدخل ويسلّم ويبتسم لكني لم أر الإمام الحسين عليه السلام ثم تبعت الشاب وحدّثته بالمنام وسألته عن السرّ في رد السلام عليه من الإمام عليه السلام.

فقال: إنّي أسكن مع أبوين عجوزين في ناحية قريبة من كربلاء وفي كل ليلة جمعة أُركب أحدهما على الحمار وآتي به للزيارة وفي الأسبوع الثاني أُركب الآخر وهكذا، وفي إحدى الليالي الماطرة أركبت والدي على الحمار بقصد الزيارة، فقالت والدتي: أرجوك يا ولدي أن تأخذني معكما للزيارة، فقلت لها: إنّ الطقس بارد وممطر والحمار لا يتحمّل الاثنين، لكنّها أصرّت وقالت: أخاف أن أموت هذه الليلة ولم أزر الإمام الحسين عليه السلام.

يقول الشاب: فأركبت والدي على الحمار وحملت والدتي على كتفي ووصلت إلى الضريح الشريف بعد تعب وعناء، وعندما سلّمت على الإمام عليه السلام رأيته أمامي وهو يردُّ السلام ويبتسم، ومنذ ذلك اليوم وأنا أراه عند السلام عليه»[1].

---

(١) نهج البلاغة.

العناية بالوالدة

ويُحكى أن السيد محمد حسين الطهراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ التقى بشاب نوراني وسأله عن سرّ العناية الإلهية به، فقال الشاب:

كان لي والدة عجوز مريضة ومقعدة وكنتُ أخدمها بنفسي وكانت حادة المزاج وتشتمني أحياناً، فأبتسم في وجهها، ولم أتزوج من أجلها مع أنّي تجاوزت الأربعين لعلمي بصعوبة الحياة الزوجية مع وجود والدتي، وكان يومض في قلبي إثر تحملي للمشاكل إشعاع نور لكنه سريعاً ما يخبو، حتى كان أحد أيام الشتاء وكان الجو بارداً وقد بسطت فراشي قريباً من والدتي كي لا تبقى لوحدها ولا تحتاج لندائي بصوت عالٍ إن أرادت شيئاً، وكنت في تلك الليلة قد أعددت إناء الماء بجانبي كي أناولها الماء عندما تطلبه منّي، فنادتني في الليل وطلبت الماء فأسرعت وسكبت الماء في الإناء وقدّمته لها وقلت:

خذي يا أماه فدتك روحي، فظنت أنّي تأخرت في إحضار الماء، فشتمتني وضربت بالإناء على رأسي، فأعدت ملء الإناء وقلت:

خذي يا أماه العزيزة واعفي عنّي فأنا أرجو غفرانك، ثم لم أفهم ما حدث، فجأة وباختصار فقد تحقق ما كنت أصبو إليه وتبدّلت تلك

الومضات إلى عالم نوراني يضيء كالشمس، لقد كلمني حبيبي ومعيني وإلهي وحبيبي ولم يقطع نجواه عنّي(١).

(١) نهج البلاغة: خطبة ١٤٩.

نال العلم جزاء الإحسان

نُقل عن المرحوم الحاج ميرزا خليل رحمه الله تعالى أنه قال: إنني لم أدرس الطب ولم أتتلمذ على يد أحدٍ من الأطباء، ولكن هذه الخبرة والإبداع في الطب حصلت عليها من بركة التصدق برغيف خبز وكان ذلك في أيام شبابي عندما تشرفت بزيارة حضرة المعصومة بنت الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وهناك وفي كل مكان كان ارتفاع شديد في الأسعار والحصول على الخبز أمر غير يسير، وفي تلك الأيام كان هناك نزاع بين إيران وروسيا، وقد أسروا من الروس رجالاً ونساءً بمعية أطفالهم وقد تفرقوا في البلاد، وكان محل سكني في إحدى غرف دار الشفاء وهي إحدى طبقات عمارة فوقها مدرسة متصلة بالصحن الشريف للسيدة المعصومة، وهناك توجد غرف ينزل فيها الزوار والغرباء الذين يترددون على «قم».

ويوماً ذهبت إلى السوق لشراء الخبز، وبعناء ومشقة استطعت الحصول على رغيف خبز وقفلت راجعاً إلى حجرتي، وفي الطريق صادفتني امرأة من الأسرى الروس المسيحيين وهي تحمل طفلاً بين يديها وقد اصفر وجهها من الجوع، وعندما وقع نظرها عليّ قالت لي: أنتم المسلمون لا توجد رحمة في قلوبكم، أسرتمونا وتركتمونا

نموت جوعاً، فانكسر قلبي من كلامها هذا فأعطيتها رغيف الخبز الذي كان بيدي، ولم آكل في ذلك اليوم إلى الليل حيث لم يكن عندي شيء، وبينما كنت في الغرفة جالساً لوحدي وإذا بشخص يدخل عليّ وقال لي: لقد حل بجدتي ألم لا يُطاق، أرجو منك أن تدلنا على طبيب يتولى علاجها.

وفجأة جرى على لساني بأن تستفيد من فلان شيء وهو دواء جيد، وظن أني طبيب فذهب. بعدها رجع إليّ فقال لي: لقد تناولت الدواء الذي وصفته لها وتحسن حالها على الفور. وبعد ساعة جاء ذلك الرجل مع مجموعة ومعه ألوان من الأطعمة دفعها إليّ مع سكة ذهبية وسيل من الشكر والثناء.

وأخذت تقص المرأة لمعارفها قصة مرضها وكيفية شفائها بهذه السرعة على يدي، وكان البعض ممن سمع الحديث هذا قد ابتلي ببعض الأمراض فأخذوا يراجعون منزلي للعلاج وكنت أصف لهم الأدوية بالصورة التي وصفتها لتلك المرأة فيشفون من أمراضهم وآلامهم، وذاع خبري، وازدحم المرضى على منزلي وكنت أصف لهم الدواء فيشفون في الحال واستفدت كثيراً، وحصلت على كتاب (تحفة الحكيم المؤمن) وهو كتاب في الطب وذلك لكي أتعرف على الأمراض وطرق علاجها وأسماء الأدوية المستخدمة في علاجها، وبقيت مدة في قم، بعدها رجعت إلى طهران وانشغلت بمطالعة الكتب الطبية وبوقت قصير وقياسي صار اسمي من أشهر الأطباء وسجل اسمي في سجل الأساتذة المعروفين وكل ذلك كان من بركة الإيثار بذلك الرغيف والله العالم.

كرامة الشيخ رجب الخياط رحمه الله

قال العارف الشيخ رجب الخياط: «في أيام شبابي أعجبت بي فتاة جميلة من أقاربنا، وبسبب هيامها بي ومكرها إياي استطاعت أن تلتقيني في يوم من الأيام بعيداً عن الأنظار، فقلت في نفسي: «يا رجب علي، إن الله قادر أن يختبرك في مواقف كثيرة، فلو تختبر ربك مرة واحدة وتمتنع عن ارتكاب الحرام المهيأ لك على ما فيه من لذّة».

ثم دعوت الله وقلت: «اللهمَّ إني أمتنع عن اقتراف هذا الإثم امتثالاً لأمرك، فربّني يا رب، كما تحب».

ثُمَّ إنه قاوم تلك المعصية بكل شجاعة مثلما فعل النبي يوسف عليه السلام، وأبى تدنيس ثوبه بتلك المعصية، وفرَّ على وجه السرعة من ذلك الفخ الخطير الذي كان قد نصب له.

فكانت نتيجة اجتنابه المعصية سبباً لبصيرته وحصوله على رؤية بعض مواقف البرزخ؛ فصار يرى ويسمع ما لا يراه ولا يسمعه الآخرون، بحيث إنّه حينما كان يخرج من البيت كان يرى الأشخاص على صورهم الحقيقية وتنكشف له بعض الأسرار[1].

---

(١) الكافي: ج٢، ص٥٤، ح١٣ وبحار الأنوار: ج٦٧، ص٢٨٧، ح٩ وج٢٢، ص١٢٦، ح٩٨.

قصة ابن سيرين

يحكى عن إبن سيرين أنه كان يبيع القماش وكان جميلا ؛ فعشقته امرأة وأرسلت إليه أن يأتي إليها لتشتري منه قماشاً، فلما دخل إلى دارها راودته عن نفسها وغلّقت الأبواب، وقالت: هيت لك، فرفض ذلك وصار يعظها، فلم تستمع له، فقال لها: حسناً انتظري قليلاً حتى أهيىء نفسي، ودخل إلى بيت الخلاء فلطخ بدنه بالقذرات، فلما رأته المرأة بذلك المنظر نفرت منه وأخرجته من دارها وبعد هذه الحادثة رزقه الله تعالى علم تعبير الرؤيا.

قال الشيخ عباس القمي رحمه الله: «وليس هذا لكرامة ابن سيرين بل هو أثر عمله فقد حكى شيخنا المحدث المتبحر النوري نوّر الله مرقده في «دار السلام» ما يدل على ذمه بل نصبه»[١].

---

(١) كرامات الإمام الحسين عليه السلام: ج٢، ص٨١.

السيد هاشم الحداد

قال السيد - أعلى الله مقامه - : «أمُّ زوجتي آذتني كثيراً وكنت منها في بلاءٍ شديد، حتى قلّ ما رأيتها لا تشتمني فأستريح من كلماتها اللاذعة».

وقال - بعد ما انكشفت له الحقائق بسبب تعامل أم زوجته، بحيث كان ما يظهر من كلامها إلا يؤثر عليه - : «في هذا الموقع يكون الإنسان في سلام مع كل العالم».

وفي الروح المجرّد قصة دركه المقام، وشق حجب الظلام من التحمّل والأذى، فحصل له التجرُّد التام، قال أعلى الله مقامه: «لقد حصل لي التجرّد للمرة الأولى في كربلاء..».

يقول العلامة الطهراني: «وتفصيل ذلك أنه كان يعيش مدفوعاً بعُسر المعيشة في بيت أبي زوجته وأمها، فكان أولئك يعيشون في جانب من البيت وهؤلاء في جانب في غرفةٍ أعطاها إياه أبو زوجته مجاناً، ودام ذلك اثني عشر سنة.

وكان أبو زوجته حسن أبو عمشة يحبُّه كثيراً، لكن حماته كانت على العكس من ذلك، ولم تكن لتفتقد فقط مشاعر العطف والمحبة

نحوه، بل كانت لا تتورَّع عن إيداء أنواع الأذى في القول والفعل. . . وكان السيد يقول: كان يفصل بين غرفتهم وغرفتنا في هذا الجانب أكياس الرُّز ذو رائحة العنبر وظروف السِّمن المعدنيَّة مكدسة على بعضها، لكنَّهم لم يكونوا ليعطونا منها شيئاً، بل كانت أمُّ زوجتي واسمها نجيبة تتعمد أن ترانا في شدَّةٍ وعُسرٍ، وكأنَّها كانت تسعد بذلك وتسرُّ.

وكنت وزوجتي نفتقد الفِراش والغطاء، وكُنَّا نسحب نُصف الحصير من أسفلنا أحياناً فنلقيه علينا من شدَّة البرد.

وبالرُّغم من أنَّني كنت أذهب للعمل بصورة منتظمة، لكنَّ أكثر المراجعين كانوا من الفقراء الذين يعرفونني، والذين كانوا يأخذون مني نسيئة، وكان بعضهم لا يدفع الثمن، كما أنَّ معاوني كان يأخذ ما يحتاج من مصارف، فلم يكن ليبقى لي شيئاً غالباً، إلا مائة فلس أو خمسون فلساً كانت بالكاد تغطي نفقات شراء الخبز والنفط وفتيلة المصباح وأمثالها، وكانت الأشهر تتصرَّم فأعجز عن شراء قليل من اللحم خلالها لأحمله لعائلتي. وكان سبب نفور هذه المرأة منِّي مسألة الفقر الذي كان في نظرها أمراً قبيحاً، ومع هذا الوضع الذي كانت تلمسه والذي كان يتوجب عليها فيه أن تُمدَّ إلينا يد المساعدة، فقد كانت في غاية التمكن والثروة، ولكنَّها كانت على العكس تسعى إلى أن يتلف لدينا شيء ليزداد ضيقنا وتزداد محنتنا.

ومن جهةٍ أخرى فلم تكن شدَّة الحالات الرُّوحية والاستفادة من محضر سماحة المرحوم القاضي لتسمح لي بجمع المال وتكديسه،

أوردّ الفقير والمحتاج، أو رفض إعطاء شيءٍ نسيئة وقرضاً، وكانت حالتي بهذه الكيفيَّة التي لم يكن يسعني أن أمتلك غيرها.

وكانت زوجتي تتحمّل وتصبر، لكنَّ صبرها وتحمُّلها كان محدوداً، ولذا فقد عرضتُ للمرحوم القاضي أنَّ أذى حماتي لي بالقول والفعل قد بلغ حدَّه الأقصى ولقد عيل صبري في الحقيقة فلم أعد أمتلك الصَّبر والحلم والتَّحمل على أذاها، وأُريد منكم أن تمنحوني الإذن في طلاق زوجتي.

فقال المرحوم القاضي: بغضِّ النظر عن هذه الأُمور، فهل تحبُّ زوجتك؟ رددتُ نعم!.

قال: افتحبُّك زوجتك؟ قلت: نعم!.

قال: لا آذن لك في الطلاق أبداً! فاذهب واصبر فإنَّ تربيتك تكون على يد زوجتك، وبهذا الشكل الذي بيَّنته فإنَّ الله سبحانه قد قرّر أن يكون تأديبك على يد زوجتك، فعليك بالتحمُّل والمداراة والحلم!.

ولم أكن لأتخطى وأتجاوز تعليمات المرحوم القاضي أبداً، وكنت أتحملُ ما تضيفه حماتي هذه فوق مصائبنا، حتى كانت ليلة من ليالي الصيف، عدت فيها إلى المنزل من الخارج بعد أن مرّ جزء من الليل تعباً مرهقاً وجائعاً وعطشاناً وأنا ذاهب إلى الغرفة رأيت حماتي جالسةً قرب الحوض في ساحة المنزل وحين علمت أنني قد دخلتُ المنزل شرعت في كيل كلمات التجريح والسباب والشتائم التي تخاطبني بها، ولم أدخل إلى الغرفة، بل اتجهتُ نحو السلم وصعدت

إلى السطح لأستلقي فيه، فرأيت أنها رفعت صوتها وزادت نبرات صراخها بحيث صار الجيران يسمعونه فضلاً عني، وهكذا فقد كالت لي سيل الشتائم والسباب واستمرت تُعدِّد وتُعدِّد حتى عيل صبري، فهبطت الدرج بدون أن أنتهرها أو أرد عليها بكلمة واحدة، وخرجت من باب البيت فهمتُ على وجهي بلا هدف وظللتُ أسير في الشوارع بلا قصد ولا التفات، بل هكذا أسير في الشوارع دون أن أعرف إلى أين أذهب فقط أسيرُ.

وفجأة رأيت في تلك الحال أنني صرت اثنين: أحدهما: السيِّد هاشم الذي اعتدت عليه حماته وسبَّته وشتمته والآخر هو أنا مجرد ومتسامٍ عن كل أذىً، لم ينلني سبابها وشتائمها، فلم تكن أساساً تسبُّ السيِّد هاشم هذا، ولم تكن لتسبني أو تشتمني، بل كان السيِّد هاشم ذاك هو الجدير بكلِّ أنواع القبيح. من القول أما السيِّد هاشم هذا، الذي هو أنا، فلا يستحق أن يُسب، بل إنها كلما سبت وشتمت، فإنَّ ذلك لن يصل إلي وانكشف لي في تلك الحال أنَّ تلك الحالة الرائعة التي تبعث على السرور والبهجة قد حصلت لي، فقط أثر تحمُّل تلك الشتائم والألفاظ القبيحة التي كالتها لي، حيث إطاعة الأستاذ المرحوم القاضي قد فتح لي هذا الباب، فلو لم أطعهُ ولم أتحمّل أذى حماتي لبقيتُ إلى الأبد السيِّد هاشم المحزون المغموم الضعيف المشتت الفكر والمحدود.

ولله الحمد فأنا الآن السيِّد هاشم هذا، حيث أتربعُ في مكانٍ رفيعٍ ومقامٍ كريمٍ وعزيزٍ لا تنالني غبار جميع الهموم والأحزان،

والغموم الدنيويّة بذرّة منها ولا تتمكن من أن تنالني بشيءٍ من ذلك، وهكذا فقد عدت فوراً من هناك إلى البيت، فانكببت على يدي حماتي ورجليها أُقبّلهما وأقول: لا تتخيلي أنّني انزعجت من كلامك ذلك، فقولي بعد الآن في ما شئت فإنّها مفيدة لي»[١].

(١) عارف في الرحاب القدسية ص ١١٨.

قصة البطل الحقيقي

«بورياي ولي» وقد كان هذا من كبار أبطال المصارعة في العالم، وكان يعتبر نموذجاً للبطولة والرجولة والعرفان في آن واحد، يروى أن هذا البطل كان قد سافر مرة إلى إحدى المدن للتباري مع بطلها في المصارعة وعُين موعد للمباراة، وذلك في ليلة الجمعة، وخلال تجواله في تلك المدينة، شاهد «بورياي ولي» إمرأة عجوزاً كانت توزع الحلوى على الناس وتطلب منهم الدعاء، ولم تكن تعرف «بورياي ولي» من قبل، فقدمت له الحلوى وسألته الدعاء، ولكنه سألها عن حاجتها ما هي؟ فقالت: «إن ابني هو بطل مدينتنا في المصارعة، وقد جاءنا منافس له من مدينة أخرى لمنازلته، وسيلتقيان خلال الأيام القليلة القادمة، وأنا أخشى أن يخسر ولدي المباراة، فخسارته لا تعني إنتكاسة شخصية له وحسب، بل تعني إنقطاع مورد رزقنا الوحيد الذي يأتينا من الراتب الذي يقدم لولدي في هذه اللعبة، ولذلك فإن فشله في المباراة يعتبر تدميراً لحياتنا، وأنا إمرأة عجوز لا أقوى على شيء، عندما سمع بورياي ولي حديث المرأة، قال لها: «إطمئني سأدعو لك» ثم استغرق هذا الرجل في التفكير مع نفسه محدثاً إياها عما سيفعله في المباراة «هل أصرعه إذا كنت أقوى منه

أم لا؟» هنا تذكر هذا البطل مقولة أن: «أشجع الناس من غلب هواه» وفي اليوم المقرر للمباراة، صعد إلى الحلبة فوجد منافسه أضعف منه كثيراً ويستطيع أن يطرحه أرضاً بحركة واحدة، لكنه ومن أجل أن يجعل المباراة تجري وكأنها حقيقة - كي لا يفهم المشاهدون القرار الذي اتخذه بعدم التغلب عليه - راح يكثر من الدوران ويطيل المصاولة والمجاولة مع منافسه ثم مكنه بعد ذلك من أن يصرعه، وهنا يذكرون عن هذا البطل، أنه وفي تلك اللحظة التي صرع فيها، أحس وكان قلبه انفتح لله وكأنه يرى بقلبه عالم الملكوت، هذا الرجل - لأنه جاهد نفسه وانتصر عليها في تلك اللحظة - قد أصبح من أولياء الله، لماذا؟ لأن: «المجاهد من جاهد نفسه» ولأن: «أشجع الناس من غلب هواه» ولأنه أظهر شجاعة فاق بها كل الأبطال[١].

---

(١) الهجرة والجهاد ص٨.

هندي

سنة ١٨٨٨ ولد في جنوب الهند «رامانوجا» وكان عالم رياضيات منذ الولادة ولم يقبله أحد في أي مدرسة ولكنه كتب إلى جامعة كمبريدج وإلى أستاذها في علم الرياضيات وأرسل له حلاً لنظريات لا حلّ لها. تعجب العالم هاردي ودعاه إلى الجامعة وتعجب من هذه الظاهرة الفريدة الأبعد من حدود العقل والمنطق. . . كان هذا الشاب يجيب على الاسئلة قبل أن يفكر بها. . . أي لا يستخدم الفكر أو العقل أو أي وسيلة علمية. . . لقد حيّر العلماء ولكنه كان متصلاً بالسر الإلهي. . . توفي بداء السل وهو في الثلاثين من عمره. . . وقبل وفاته زاره العالم هاردي وكان رامانوجا ينظر من الشباك ورأى سيارة هاردي وقرأ رقم اللوحة وكانت من أربعة أعداد وقال له بأن الأرقم مميزة ولها أربعة أسرار في حياتك وتوفي الهندي ولم يعرف أحد معنى هذه اللوحة. . . وبعد ٢٢ سنة من وفاة العالم هاردي اكتشفوا السر المؤلف من أربعة أعداد على سيارة العالم. . .

من أين أتت هذه العلوم إلى هذا الشاب الهندي الأمي؟

كيف كان يرى ويشاهد ويشهد للحق؟

عندما تسأله أي سؤال حسابي عددي يرفع عينيه إلى الأعلى ويقرأ الجواب... وكأنه يرى من باب البصيرة أو العين الثالثة الموجودة بين الحاجبين... تماماً كما نفعل نحن عندما نريد أن نرى الشمس... نفتح الشباك ونتطلع إلى السماء... هو ينظر من هذه النافذة ويرى سماء الأسرار ويأتيك بالأخبار... من هذه الفتحة يرى الفسحة الفسيحة الواسعة والمشعة بالأنوار وبالأسرار... العلم لا يعرف حتى الآن ما هي هذه القوة الخفية[١]...

(١) الخفايا ص ٨٢.

أمريكي

في أمريكا حالة مشابهة اسمها إدغار كايسي Edgar Cayce توفي عام ١٩٤٥ وترك كتباً وجامعات تعلّم علمه الذي أتى إليه من عالم الغيب... كان عمره ٨ سنوات لما ابتدأ يقرأ أي كتاب دون أن يفتحه ويعلّم أسرار الماضي والحاضر والمستقبل وله مواقع عديدة على شبكة الإنترنت...

سنة ١٩٠٥ مرض إدغار كايسي وغاب عن الوعي وقرر الأطباء أنه سيموت خلال أيام ولكنه تكلّم في الغيبوبة وقال لهم أن يعطوه العشبة الفلانية الموجودة في أرض فلان وإلا سيموت بعد ست ساعات... تعجب الأطباء كيف يتحدث والدماغ أصيب بتلف كامل... إنسان ميت ويتحدث؟ أعطوه العشبة كما طلب وخلال ساعات قليلة عاد إلى حياته الطبيعية وابتدأ يعالج البشر من كل العالم وترك كتباً تستطيع أن تشتريها وكرّمت أمريكا هذا العالم في عدة جامعات... هو نفسه لا يعرف من أين يأتي بهذه المعلومات... عالج مئات الألوف من البشر وشفيت أكثر الحالات... كان يدخل في غيبوبة واعية ويسأله السائل فلان مريض... يصف له الدواء من الأرض أو من أي صيدلية ويأتيه بالدواء حتى ولو كان في أقصى

الشرق أو الغرب وبطرفة عين أو بسرعة البرق... في البداية كانت الكنيسة تقول بأنه شيطان وحاولت أن تسجنه ولكنها عادت واعتذرت وساعدته واعترف العلماء بأنه نعمة من الله...

كان ينتقل من عالم الأرض إلى عالم الروح... ويرى بالعين الثالثة... يرفع عيونه إلى البصيرة ويرى ما لا يُرى إلا بهذه الطريقة... لم يعد هو نفسه بل تدخل إليه أرواح من عالم الخير ويأمرون بالمعروف والإحسان... هو وسيلة لا غير... على سبيل المثال... امرأة غنية جداً كانت مريضة وبحالة ميؤوس منها أتت إليه ووصف لها دواءً خاصاً لم يكن موجوداً في أمريكا ولكنه وجده في سويسرا وحدد الموقع وصاحب هذا الدواء مات منذ عشرين سنة، ولده في الصيدلية لم يعرف بوجود هذه الزجاجة من الدواء... استحضرها إدغار بلمحة بصر وشفيت المرأة وحوّلت ثروتها لبناء مدرسة خاصة بتقوية البصيرة ولا تزال المدرسة في ولاية فرجينيا بإشراف ولده... ولكن البصيرة لا تُعلم ولا تُعلب. إنها نعمة من الله إلى عباده الصاحين... إلى أصحاب الأمانة...

أي إنسان لم ينشط هذا المقام سيبقى عبداً وأسيراً لشهواته الآن وفي الحياة المقبلة... هذا هو مركز الحرية... لا حرية بدون تنشيط هذه الطاقة... إنها البصيرة التي لا تزول... «أجعلك أميراً على بصيرتك التي لا تزول»... حرية الاقتصاد والسياسة حرية فكرية للاستعباد... سنبقى عبيداً بشكل أو بآخر... إن لم تكن سيداً على نفسك ستكون عبداً للدنيا بشتى الطرق...

إنّ الطرق لتوعية هذه الطاقة مختلفة حسب الطبيعة الجسدية

والمنطقة التي يسكن فيها الساكن والسكن... الهند تستخدم العطر من الصندل واللون الخمري... أهل اليوغا بالتأمل على هذه الزاوية... السجود في أمة الوسط، العمليات الخارجية في أهل العلم... علينا أن نختار الوسيلة التي تتناغم مع رنين الإنسان والطبيعة... للأسف الشديد إن جميع عمليات التجميل شوّهت الطاقة وانحرفت إلى مقام الشهوة والغريزة والإثارة... إن النامصة والمتنمصة غير مستحبة في الإسلام وفي شريعة أهل الفطرة، إن كثرة الشعر في الحواجب واتصال الشعر بين الحواجب هي من عدم توازن الطاقة بين الذكر والأنثى... الشعر الزائد في جسد المرأة غير مستحب وغير صحي... إنه طاقة ذكر.

إذا كانت طاقة السجود نشيطة ستكون الناصية هي مصدر للوقار وللاستقامة.

إنَّ مركز البصيرة متصل بالطاقة السفلى والعليا وطاقة اليمين واليسار... من هنا تتوحد المقامات ويفتح باب القرب إلى الله... يشتغل العقل الكلي من صحوة الناصية.

في السويد وقع رجل من الترام ونقل إلى المستشفى وهو يسمع موسيقى صاخبة التقطها من مئات الأميال بعيداً عن الترام.

في البداية اعتقد الأطباء أنه أصيب بشلل دماغي أو خلل في توازن الفكر... ولكنه أكد لهم بأنه يسمع حديثاً لأحد الشيوخ في مجلس الشعب البريطاني... وأنه يسمع أسراراً في البيت الأبيض... تأكدوا من صحة حديثه وأجروا له عملية جراحية لتوقيف المذياع الداخلي المتصل بالمحطات البعيدة ألوف الأميال... ومن

جراء هذه الحادثة تأكد علماء الصوت بأن الأذن عندها الطاقة الكامنة لالتقاط الصوت مهما كان بعيداً... فإذاً الحقيقة «وفينا انطوى العالم الأكبر» أبعد من حدود العلم وحدود الجسم... والمؤذن يفتح أذنيه قبل الأذان حتى يتصل بالموجة الكونية التي تحمل وتتحمل وتوصل وصلة الصوت والصمت أبعد من حدود القمر..

(لماذا سمع رائد الفضاء الأذان في القمر؟

لماذا رأى الرائد الروسي إنساناً من نور على القمر؟

لماذا حواس بعض الناس أكثر حساسية وشفافية من غيرهم؟؟؟)

أحد الجنود جرح ودخل في غيبوبة وعندما عاد إلى وعيه رأى نجوم النهار أكبر من الشمس وأكثر نوراً وضياءً. كيف رأى هذه الحقيقة؟

رأى هذه الحقيقة بالطاقة الموجودة في الناصية... عندنا في حواسنا إمكانيات هائلة لا تزال راقدة وراكدة ولا تصحو إلا بالذكر وبالعبادات...

لنتذكر معاً هذه الحادثة سنة ١٩٢٤ عندما أسسوا في ألمانيا مركزاً للعلوم النووية وللطاقة الذرية... وفجأة وفي الصباح الباكر دخل عليهم رجل ادعى بأنه فالكانلي Falkaneli وأعطاهم ورقة واختفى... كتب إنذاراً قال فيه:

«نحن جماعة من علماء الذرة نحذركم من أعمالكم... إنها دمار للعالم... هنالك علماء من قبلنا دمروا العالم بالذرة... توقفوا عن هذا الدمار»... حاولوا أن يبحثوا عنه لكنهم لم يجدوه... لقد اختفى الرسول وبقيت الرسالة... وفي سنة ١٩٤٠ هايزنبرغ

Heisenberg عالم ألماني آخر حاول اكتشاف الطاقة الذرية وإذا بالرجل يعود إليه ويعطيه نفس الإنذار واختفى. . .

سنة ١٩٤٥ عندما استخدمت أمريكا القنبلة الذرية على هيروشيما اعترف العلماء جميعهم بأنهم استلموا الرسالة نفسها ومن هذا الرجل Falkaneli وعاد ثانية يحذرهم من عدم استعمالها مرة ثانية لأنها ستدمر العالم.

إنَّ الناصية هي نقطة الانطلاق إلى الإدراك الواعي الأبعد من حدود المادة. . . من هنا نتجاوز الحدود المرئية وندخل في النفس التي تسير بالله سبحانه وتعالى، عالمها كثرة في وحدة ووحدة في كثرة، حملها الخفاء وحالها البقاء. . . نورها ليس له لون وصفاتها جميع الصفات الحسنة والله أعلم من علوم العلماء. . . ولكن الاختبار أقوى. . .

علماء الغرب وحتى الشرق يشجعون العمليات الخارجية لفتح طاقة الناصية. . . هذه طريقة سلبية وخطيرة. . . من القاع إلى القمة وتدمر الدماغ والعقل الواعي واللاوعي.

أفضل طريقة هي التأمل واليوغا والسجود. . . الوعي يبدأ من الداخل. . . من ولادة الضمير إلى المصير. . .

تصور رجلاً فتح البصيرة من الخارج. . . رأى رجلاً في البئر أو في حفرة ويطلب النجاة ولكنه رأى كنزاً من ذهب تحت التراب. . . يفضل الذهب ويستخدم الرجل لمصلحته.

كأنك أعطيت سيفاً للولد. . . الولد ولد ولو حكم بلد. . . يقتل

الناس ونفسه لأن القوة أتت إليه من الخارج: ليس بالنمو وبالنضوج بل بالهوس والطمع وحب السلطة والتسلط...

أكثر علماء الفكر أكدوا بأن الإنسان خادم فكره إلا إذا قوى نقطة الإدراك... وعلامة الناصية هي الذاكرة لحالات الفرح... وفي الإسلام كلمة الحمد لله... مهما حصل من ألم فرح نحمد الله وكأننا حمّلنا الناصية الفرح... هي خزان السعادة... الحسنة بعشرة أضعاف والسيئة بمثلها وهذه ثابتة علمية بأن الناصية تدور عشر مرّات أثناء الفرح ومرّة أثناء الحزن. العالم Pavlov أثبت هذه الحقيقة عندما استخدمها على الحيوانات ومن ثم على البشر... ذكرى الفرح غير ذكرى الألم...

تذكر عندما تكون متوتراً ماذا تفعل بالجبين؟

يا عاقد الحاجبين!!!!

لماذا هذا الشعور؟

الضغط على نقطة الناصية... إنتبه إلى مركز التوتر... ضع القليل من زيت الزيتون أو زيت الغار... البعض من الأطفال يولدون وعلى جبينهم علامة تشير إلى مقام حياتهم السابقة ودورهم في الحياة الحاضرة... المكتوب على الجبين تقرأه العين... ولكن أنت تستطيع أن تقرأ وجهك في المرآة أو في الرؤية... أنت العالِم بنفسك والحاكم بأمر الله على حياتك... راقب جسدك وأفكارك وصلاتك وانتبه إلى إشارات الله لك... كن مع الله ولا تخف... البصيرة هي الدليل إلى عيش اللحظة في يقظة... وانتبه أن لا تؤذي نفسك أو أي أحد من المخلوقات... إسمع هذه الحقيقة...

اختبار من عالم فرنسي شاركو Charcot. إنه يستخدم طاقة النظر على الجبين... حدِّق نظرك على الشخص المواجه لك على جبينه دون أن ترمش جفونك... هذه النظرة تثير فيه التوتر والغضب ويوجه إليك هذه الانعكاسات السلبية... فعل وردة فعل... اختبار ثانٍ... أنظر إلى أي شخص على رأسه من الوراء باتجاه الناصية الخلفية ولا ترمش جفونك واطلب منه أن يلتفت إلى جهة اليمين... خلال ثواني سيلتفت إليك وهو لا يعرفك... إذا تمرنت على هذه التمارين تقوى عندك طاقة الأمر... من هنا النهي عن المنكر والأمر بالمعروف... إنتبه... لا توجه الإساءة... يمكنك أن ترسل نوايا سلبية وستعود إليك أضعافاً[١].

(١) الخفايا ص ١٠٢.

الكتاب الثاني

كيف تبني
شخصيتك الروحية
خلال أربعين يوماً

برنامج عملي لتزكية النفس والارتقاء الروحي
مع تجارب وقصص أهل السير والسلوك

المقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين

لماذا الكتاب؟

من الطبيعي أن كل كاتب عندما يكتب موضوعاً ما، فإنه يرغب في تقديم فائدة معينة إلى القارىء.

ولا شك أن أعظم الفوائد هي ما يتعلق ببناء شخصية الإنسان وكماله وسعادته في الدنيا والآخرة.

وهذا ما يتم من خلال بناء الجانب الروحاني، فعن رسول الله ﷺ أنه قال: «في الإنسان مضغة إذا هي سلمت وصحّت سلم بها سائر الجسد، وإذا هي سقمت سقم بها سائر الجسد وفسد وهي القلب»[1].

(١) تهذيب النفس: ج١، ص ٧.

من هنا أحببت أن أكتب برنامجاً عملياً للبناء الروحاني من خلال ما ورد في النصوص الشريفة وتوجيهات العلماء والعرفاء، وقد حددت العمل به لمدة لا تقّل عن الأربعين يوماً كما هو معروف بين أهل العرفان والسير والسلوك.

ولكن لماذا تحديد التحول الروحاني بـ «الأربعين» فهذا ما سيُعرف في الفصل الأول.

والله ولي التوفيق

الفصل الأول

تأثير الأعداد

تأثير الأعداد

جاء في الروايات الشريفة تحديد بعض الأذكار والأدعية بمقدار معين في عدد معين من الأيام، وهذا يدل على أهمية الأعداد، وأن الزيادة عن المقدار المعين أو النقصان لا تعطي الثمرة المطلوبة.

فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «إعلموا أن أسماء الله بمنزلة الكنوز المدفونة، والعدد بمنزلة مقدار المسافة التي ينبغي قياسها بالضبط للوصول إلى تلك الكنوز، فإذا لم تلتزموا به فلن تصلوا، زدتم في العدد أو نقصتم»[١].

وعندما نطالع في كتاب الله تعالى نجد أن هناك سرّاً في الاعجاز العددي فمثلاً:

العدد سبعة ينطبق على السمٰوات السبع، والسبع المثاني، والبحور السبعة، وأيام الأسبوع، والطواف حول الكعبة، والمساجد السبعة.

والعدد اثني عشر ينطبق على الأشهر، والأئمة عليهم السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، والأسباط.

---

(١) نور على نور: ص ٩١.

وهذا يدل على أن للأعداد مدخلية خاصة في الكون والإنسان والحياة، فإن كل شيء قائم بقدر وعدد.

بل ثبت من خلال التجارب أن للأعداد تأثير في أحوال الإنسان كقضاء حاجاته ومعرفته للأمور الخفية، وشفاء الأمراض.

ومن أبرز الأعداد رقم «الأربعين».

عدد الأربعين

عندما نقرأ في النصوص الدينية الشريفة نجد أن لعدد «الأربعين» إمتيازاً من بين الأعداد.

فالإنسان يبلغ أشده بعد أربعين سنة، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

والأنبياء عليهم السلام بعثوا بالنبوة بعد أربعين عام، كما في بعثة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله عند بلوغه سنّ الأربعين.

وحضور أربعين شخصاً للدعاء يؤثر في الاستجابة، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما من رهط أربعين رجلاً اجتمعوا فدعوا الله عز وجل في أمر إلا استجاب لهم»(١).

كما أن الدعاء لأربعين مؤمناً مؤثّر في الاستجابة، فعن الإمام

---

(١) الأربعون حديثاً: ص ٨.

الصادق عليه السلام قال: «من قدّم في دعائه أربعين من المؤمنين ثم دعا لنفسه استُجيب له»[(١)].

وحضور أربعين مؤمناً في الجنازة وشهادتهم بالخير يؤدي إلى نزول الرحمات الإلهية، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا مات المؤمن فحضر جنازته أربعون رجلاً من المؤمنين» فقالوا: «اللهم لا نعلم منه إلا خيراً وأنت أعلم به منّا» قال الله تعالى: «قد أجزت شهادتكم وغفرت له ما علمت مما لا تعلمون»[(٢)].

والتشرف بلقاء الإمام المهدي عليه السلام يقتضي الذهاب إلى مسجد السهلة أربعين ليلة أربعاء كما هو فجرّب ومعروف في القصص الكثيرة.

والخروج معه بعد ظهوره الشريف ممكن بعد قراءة دعاء العهد «أربعين صباحاً».

ولما أراد الله تعالى أن يعطي «الكوثر» لرسوله صلى الله عليه وآله أمره باعتزال زوجته خديجة عليها السلام، أربعين يوماً ففي الحديث: «بينا النبي صلى الله عليه وآله جالس بالأبطح ومعه عمّار بن ياسر، والمنذر بن الضحضاح، وأبو بكر، وعمر، وعلي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وحمزة بن عبد المطلب، إذ هبط عليه جبرئيل عليه السلام في صورته العظمى، قد نشر أجنحته حتى أخذت من المشرق إلى المغرب.

فناداه: يا محمد العلي الأعلى يقرأ عليك السلام، وهو يأمرك

---

(١) الأربعون حديثاً: ص ٨.

(٢) المصدر نفسه.

أن تعتزل عن خديجة أربعين صباحاً، فشق ذلك على النبي ﷺ، وكان لها محبّاً وبها وامقاً.

فأقام النبي ﷺ أربعين يوماً، يصوم النهار ويقوم الليل، حتى إذا كان في آخر أيامه تلك، بعث إلى خديجة بعمّار بن ياسر، وقال قل لها: يا خديجة لا تظنّي أن انقطاعي عنك هجرةً ولا قِلىً. ولكن ربّي عزّ وجلّ أمرني بذلك لينفذ أمره، فلا تظنّي يا خديجة إلا خيراً، فإنّ الله عزّ وجلّ ليباهي بك كرام ملائكته كل يوم مراراً، فإذا جنّك الليل فأجيفي الباب، وخذي مضجعك من فراشك، فإنّي في منزل فاطمة بنت أسد، فجعلت خديجة تحزن في كل يوم مراراً لفقد رسول الله ﷺ.

فلمّا كان في كمال الأربعين هبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد العلي الأعلى يقرؤك السلام، وهو يأمرك أن تتأهّب لتحيّته وتحفته».

إلى أن نقل هبوط ميكائيل مع طبق من العنب، والرطب فأفطر ﷺ في تلك الليلة بذلك، وذهب إلى خديجة بأمر الله عزّ وجلّ قبل الصلاة، وقد انعقدت نطفة الصديقة الطاهرة عليها السلام في تلك الليلة(١).

وورد أن النبي ﷺ أمر أن يعتزل خديجة عليها السلام أربعين يوماً قبل بعثته.

ومما ذُكر أيضاً في عدد الأربعين:

١ - حفظ الأربعين حديثاً، فعن رسول الله ﷺ أنه قال: «من

---

(١) النجم الثاقب ج ٢ ص ٥٥٥.

حفظ عني من أمتي أربعين حديثاً في أمر دينه يريد به وجه الله عزّ وجلّ والدار الآخرة بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً»(١).

٢ - التوبة من الذنوب بعد الأربعين سنة.

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «إذا أتت على الرجُلِ أربعونَ سنةً قيلَ له: خُذْ حِذْرَكَ فإنَّكَ غَيْرُ مَعْذُورٍ..».

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إنَّ العَبْدَ لَفِي فُسْحَةٍ مِنْ أَمْرِهِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَإِذَا بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً أَوْحَى اللهُ عزّ وجلّ إِلَى مَلَكَيْهِ أَنِّي قَدْ عَمَّرْتُ عَبْدِي عُمْراً، فَغَلِّظَا وَشَدِّدَا وَتَحَفَّظَا وَاكْتُبَا عَلَيْهِ قَلِيلَ عَمَلِهِ وَكَثِيرَهُ وَصَغِيرَهُ وَكَبِيرَهُ»(٢).

وعنه أيضاً: «إِذَا بَلَغَ العَبْدُ ثَلاثاً وَثَلاثِين سَنَةً فَقَدْ بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَإِذَا بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَقَدْ بَلَغَ مُنْتَهَاهُ، فَإِذَا طَعَنَ فِي إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ فَهُوَ فِي النُّقْصَانِ، وَيَنْبَغِي لِصَاحِبِ الخَمْسِينَ أَنْ يَكُونَ كَمَنْ كَانَ فِي النَّزْعِ»(٣).

وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «أَبْنَاءُ الأَرْبَعِينَ زَرْعٌ قَدْ دَنَا حَصَادُهُ»(٤).

وروي: «إِذَا بَلَغَ الرَّجُلُ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَلَمْ يَتُبْ مَسَحَ إِبْلِيسُ وَجْهَهُ وَقَالَ: بِأَبِي وَجْهٌ لا يُفْلِحُ أَبَداً»(٥).

---

(١) الأربعون حديثاً: ص ١٠.
(٢) الخصال: ص ٥٤٥.
(٣) الخصال: ص ٥٤٥.
(٤) جامع الأخبار: الفصل ٧٦، ص ١٤٠.
(٥) سفينة البحار: ج١، ص ٥٠٤.

وفي تعليقه على حديث: «من بلغ الأربعين ولم يأخذ العصا فقد عصى». قال العلامة السيد مهدي بحر العلوم: «تأويل العصا هو الإستعداد لسفر الآخرة والتهيؤ للرحيل وكما أنّ الجسم يبلغ كماله في هذه المدّة، فإن مرتبة السعادة أو الشقاء تكتمل خلالها. ولذا ورد في الحديث بأنّ الرجل إذا بلغ الأربعين فلم يُفلح بالتوبة، فإنّ الشيطان يمسح وجهه ويقول: **بَأَبِي وَأُمِّي وَجْهٌ لا يُفْلِحُ أَبَداً**[1]. ويقول له: لقد سُجّل اسمُك في جُندي. وأمّا ما ورد في الأخبار مِن أنّ من قادَ أعمى أربعينَ قَدَماً فدلّه على الطريق وجبت له الجنّةُ، فإنّ المراد بظاهره عمى البصر، وتأويله عمى البصيرة. ذلك أن أعمى البصيرة لم يخطُ تمام أربعين قدماً من مرحلة القابلية ليدخل في مرحلة الفعليّة، حتى لو كان قد اقترب منها، فإن تُرِكَ ذلك الأعمى وسبيله لعاد إلى حيث كان. وتمام الإحسان وحصول الهداية في إتمام الأربعين، وبهذه الحيثيّة تجب له الجنّة»[2].

سر الأربعين:

إن سر الأربعين يكمن في كونه مرحلة التغيير والتحّول، فالنطفة تتحول بعد أربعين يوماً إلى علقة، والعلقة تتحول إلى مضغة بعد اربعين يوماً. فمن أراد أن يدعوا للحبلى ليكون ما في بطنها ذكراً فإنه يدعو فيما بينه وبين الأربعة أشهر تلك.

---

(١) ورد هذا الحديث في «سفينة البحار» ج١، ص ٥٠٤. وجاء في «إحياء العلوم» ج٣، ص٢٥: إِذَا بَلَغَ الرَّجُلُ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَلَمْ يَتُبْ، مَسَحَ الشَّيْطَانُ وَجْهَهُ بِيَدِهِ وَقَالَ: بِأَبِي وَجْهٌ مَنْ لا يُفْلِحُ.

(٢) رسالة السير والسلوك ص ٣٢.

والعنب يتحول إلى خلّ بعد أربعين يوماً.

والتفاح يتحول إلى خلّ بعد أربعين يوماً.

من هنا كان الأمر الإلهي بـ «تيه» بني إسرائيل أربعين عاماً حيث تم استبدال جيل بجيل آخر وتحوّل بنو إسرائيل من حال إلى حال، قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦].

قال المحدّث الشيخ عباس القمي رحمه الله: «لعل خصوص الأربعين لأن الله جعل انتقال الإنسان في أصل الخلقة من حال إلى حال... ولذا يتوقف قبول توبة شارب الخمر إلى أربعين يوماً»(١).

وهكذا يكون الحال في التحول الروحي، فإن بعض الأعمال تؤدي إلى فساد فطرة الإنسان أربعين يوماً، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «من اغتاب مسلماً أو مسلمة لم يقبل الله تعالى صلاته ولا صيامه أربعين يوماً وليلة إلا أن يغفر له صاحبه»(٢).

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «من شرب الخمر لم تحتسب له صلاته أربعين يوماً»(٣).

فاحتاج الأمر إلى التطهير من هذه الآثار إلى أربعين يوماً.

عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه سئل: أنّا روينا عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «من شرب الخمر لم تحتسب صلاته أربعين يوماً».

---

(١) سفينة البحار، مادة «أربع».

(٢) رسالة السير والسلوك: ص ٢٧.

(٣) المصدر نفسه.

فقال عليه السلام بعد عدّة كلمات: «فهو إذا شرب الخمر بقيت في مشاشه أربعين يوماً على قدر انتقال خلقته»(١) ثم قال عليه السلام: «وكذلك جميع غذائه أكله وشربه يبقى في مشاشه أربعين يوماً»(٢).

فبعد مرور أربعين يوماً على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى يتم تحول الإنسان من مرحلة إلى مرحلة.

وقد ذكر القرآن الكريم أن موسى عليه السلام بقي أربعين يوماً في الميقات، قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥١].

وقال تعالى: ﴿۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢].

ولذا كان العرفاء يوصون بـ «الأربعينيات» في الأعمال العبادية للانتقال من مرحلة إلى مرحلة في طي الطريق إلى الله تعالى.

فيقول آية الله السيد مهدي بحر العلوم رحمه الله: «وقد شاهدنا عياناً وعلمنا بأن هذه المرحلة الشريفة من مراحل العدد لها خاصية وتأثير متفردين في ظهور القابليات وتتميم الملكات وفي طي المنازل وقطع المراحل»(٣).

وسنذكر فيما يلي طرق التغيير والتحول خلال أربعين يوماً، وهي:

---

(١) «يعني في جميع أعضائه».

(٢) «يعني تطورات نطفته، وعلقته، ومضغته».

(٣) راجع الكافي - الفروع - (الكليني) ج٦، ص ٤٠٢.

الفصل الثاني

البرنامج العملي

أولًا: ترك المعاصي والذنوب

إن ترك المعاصي هي الخطوة الأولى في التحول الروحاني، فإن كثرة العبادات لا تؤتى الثمار المطلوبة مع المعاصي، كحال العامل الذي يبني ثم يهدم، فالأولى له أن لا يهدم ثم يبني ولو قليلاً، من هنا ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنكم لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالأوتار ما ينفعكم ذلك إلا بورع»[(١)].

وعن الإمام علي عليه السلام: «إجتناب السيئات أولى من اكتساب الحسنات»[(٢)].

قال مفضل بن عمر: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فذكرنا الأعمال، فقلت أنا: ما أضعف عملي، فقال: مه استغفر الله، ثم قال لي: إن قليل العمل مع التقوى خير من كثير العمل بلا تقوى، قلت: كيف يكون كثير بلا تقوى؟

قال: نعم مثل الرجل يطعم طعامه ويرفق جيرانه ويوطيء رحله، فإذا ارتفع له الباب من الحرام دخل فيه، فهذا العمل بلا تقوى،

---

(١) رسالة السير والسلوك: ص ٢٤.

(٢) بحار الأنوار: ج٧٤، ص ٨٧.

ويكون الآخر ليس عنده فإذا ارتفع له الباب من الحرام، لم يدخل فيه»[1].

تجربة: ثبات القدم إزاء المعصية

قال أحدهم: في أوان شبيبتي كان الشيطان والنفس الأمّارة قد قعدا لي على قارعة الطريق وكلّما كنت أحاول النأي عن دوّامة المعصية فإني أجدني وقد قذفا بي في وسطها. كنت أجدُ فيّ شيئاً من الضعف إزاء الشيطان والنفس. وبالتدريج كان يداخلني اليأس من أن أغدو عبداً لله وأن أترك الذنب. قصدت مرّة جليلاً من الأساتذة وحكيت له، فقال: لو أنّك أولَيْتَ اهتمامك لمسألتين لوجدت لك عزماً لترك الذنب.

الأولى: أن تعرف ماذا يعني الذنب.

الثاني: أن تنظر إلى عظمة الذات الإلهية المقدسة بعين الاعتبار!

وتفصيل هذا أنّ على الإنسان أن يُعنى بروحه - في الأقل - كما يُعنى بجسده، وأن يدرك أنّ المعصية بالقياس إلى الروح كالسمّ بالنسبة إلى البدن، وأنّ أدنى ذنب يرتكبه المرء إنّما هو كقطرة سم يتجرّعها فتسمّ البدن وتذهب بسلامته. وربما تقضي المعاصي على روحه إلى الأبد إذا أقام عليها ولم يبرح. ومتى ما استحضر الإنسان هذا المعنى في وعيه.. فإنّه لن يقرب الذنب ولن يجترحه.

أو لو أنّ الإنسان - من جهة أخرى - يقدر الله في الأقلّ كما

---

(١) تزكية النفس ص ٣٢.

يقدّر مُضيفاً كريماً قد دعاه إلى ضيافته وأسبغ عليه أنواع النعم بكلّ توقير وتكريم.. فكما أنّه لا يُقدِم - والحالة هذه - على اقتراف عمل من شأنه أن يُغضب مضيّفه ويغيظه فعليه على الأقلّ أن يقدّر نِعَم الله (تعالى) وأياديه وأفضاله عليه، فلا يقترف أي معصية تُغضب الله عليه.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «مَنِ استقامَ فإلى الجنّة. ومَن زَلَّ فإلى النار»(١). أي أنّ مَن جَهِد في ترك المعاصي، وقاوم تسويلات النفس ووساوس الشيطان.. فإنّ منتهاه إلى الجنّة. وأمّا من زلّت به قدمه إلى العصيان فإنّما يزلّ إلى النار.

واعلم أنّ الله تعالى يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثّر: ٣٨]. وإذا كان الأمر كذلك فعلى الإنسان - من أجل آخرته، من أجل هناءته في حياة الأبد، من أجل نجاته من عذاب الله، من أجل ألا يموت قلبه - أن يهجر المعاصي والآثام، وأن يعظّم صغار الذنوب. يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تُحَقِّروا شيئاً من الشر وإن صَغُر في أعينكم»(٢).

إنّ على الإنسان - صيانةً لنفسه من أخطار المعاصي، وتبرُّؤاً من الاستهانة بعظمة أمر الله، وتحقيقاً للوفاء وشكر النعم الإلهية، وإنجاءً لنفسه من عذاب النار - أن ينزّه نفسه عن الذنوب والآثام، وأن يراعي التقوى مراعاة دقيقة على كل حال. يقول أمير المؤمنين

---

(١) أصول الكافي، ٢/٧٦، الحديث ٧.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١١٩.

علي عليه السلام يوصي ولده الإمام الحسين عليه السلام: «يا بُني.. أوصيك بتقوى الله في الغِنى والفقر»(١).

ثم قال لي الأستاذ: لو تعلم ما يكون من غضب الله تعالى إزاء الذنب لما عصيتَ أبداً، إنَّ الذنب - في حقيقة أمره - تسرّع إلى غضب الله وسخطه. وأنَّ المعصية لتغضب الحق جل وعلا إلى حدّ أن قال جلّ جلاله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النّساء: ١٤].

وهذا برنامج منظّم هيّأته لك، لن تقترف - إذا التزمت به - ذنباً ولن تقرب معصية بإذن الله.. فترضي الله سبحانه وتعالى عنك على الدوام.

الأول: أن تواظب على ذكر «يا رحمٰن يا رحيم» مدة خمس عشرة دقيقة على الأقل.. متوجّهاً إلى رحمة الله، وذاكراً نعمه وآلاءه.

الثاني: أن تلتزم بذكر «يا ديّان» مدّة لا تقل عن عشر دقائق.. مستذكراً ما أعدّه الله تعالى من العذاب للعصاة، وموقناً أنّ الله لا تخفى عليه خافية مما تجترح من الذنوب مهما صغُرت وخَفِيَت. فإذا رأيت أنك بدأت تدخل في حالة من الخوف، والخشية تجري فيها من عينيك الدموع.. فعليك أن تبادر إلى الاستغفار مئة مرة على الأقل قائلاً: «أستغفرُ الله ربي وأتوبُ إليه»، على أن تصمم أن لو قُطّعتَ إرباً إرباً لما اقترفتَ ذنباً من الذنوب. وعليك أن تجدد هذا العمل -

---

(١) بحار الأنوار ٧٣: ٢٥٥.

كحد أدنى - مرّة في الأسبوع، ليسهل عليك ترك المعصية ويحالفك التوفيق.

وَلْتَعلمْ أن قيمة المرء مرهونة بإرادته؛ إذ ترتفع قيمته وإنسانيته بإرتفاع درجة همّته وإرادته. فإذا ما فاز أمروٌ بإرادة صُلبة فإنّه يُرغم فيها نفسه على مفارقة الإثم... مستمسكاً بهذه الإرادة وسائلاً الله عزّ وجلّ أن يعينه في هذا السبيل[١].

سبل مواجهة المعاصي

إنّ ترك المعاصي بحاجة إلى مقومات أهمها:

١ - المراقبة:

وهي مراقبة النفس في كل حركاتها وسكناتها لئلا تقع في الحرام، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

وعن الإمام علي عليه السلام في صفة العاقل أنّه قال: «راقب في يومه غده، ونظر قدماً أمامه»[٢].

وعنه عليه السلام: «ينبغي أن يكون الرجل مهيمناً على نفسه مراقباً قلبه حافظاً لسانه»[٣].

وذلك لأنّ مراقبة الإنسان لنفسه تحفظه من تلويثها بالمعاصي

---

(١) سير إلى الله ص ١٨٦.
(٢) بحار الأنوار ٧٧: ٢٣.
(٣) بحار الأنوار: ج٨، ص ٢٥.

والخطايا فيكون حاله كحال الذي يملك جوهرة ثمينة ويخاف عليها من السرقة أو الضياع فهو لا يغفل عنها لحظة واحدة، والنَّفس أغلى من كل شيء فلا بدَّ من مراقبتها لئلا يسرقها شياطين الجنّ والإنس، عن الإمام علي عليه السلام: «إنَّ النَّفس لجوهرة ثمينة، مَن صانها رفعها، ومَن ابتذلها وضعها»(١).

وتتحقق مراقبة النفس من خلال التدقيق بكل ما يصدر من أعمال الجوارح - كالعين واليد واللّسان والرجل ومن الأفكار والنوايا فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «عوِّدوا قلوبكم الترقُّب، وأكثروا التفكُّر والاعتبار»(٢).

وممَّا يساعد على ذلك:

أ - **الشعور بالرقابة الإلهيَّة**: قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العَلق: ١٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النّساء: ١].

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «الإحسان أن تعبد الله كأنَّك تراه فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك»(٣).

ولعلَّ من أعظم الآيات في هذا المجال قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

---

(١) غرر الحكم.

(٢) كيف تحاسب نفسك: ص ٢٢.

(٣) المصدر السابق.

ولذا كان النبي ﷺ إذا قرأ هذه الآية بكى بكاءً شديداً.

وفي الدُّعاء: «كيف أنساك ولم تزل ذاكري، وكيف ألهو عندك وأنت مراقبي».

ب - الشعور برقابة الملائكة: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

وقال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

عن الإمام الصادق عليه السلام: «... ومن خلا بعمل فلينظر فيه فإن كان حسناً جميلاً فليمض عليه وإن كان سيّئاً قبيحاً فليجتنبه، فإنَّ الله أولى بالوفاء والزيادة، ومن عمل سيّئة في السّر فليعمل حسنة في السّر، ومن عمل سيّئة في العلانية فليعمل حسنة في العلانية»[(١)].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «انظر ما تقطع به يومك، فإنَّ معك ملكاً موكلاً يحفظ عليك ما تعمل، فلا تحتقر سيّئة وإن كانت صغيرة، ولا تحتقر حسنة، فإنَّه ليس شيء أشد طلباً ولا أسرع دركاً من الحسنة، إنَّها لتدرك الذَّنب العظيم القديم فتذهب به وقال الله في كتابه: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]»[(٢)].

٢ - المحاسبة:

عن الإمام علي عليه السلام: «على العاقل أن يُحصي على نفسه مساوئها في الدّين والرأي والأخلاق والأدب، فيجمع ذلك في صدره أو في كتاب، ويعمل في إزالتها»[(٣)].

---

(١) كيف تحاسبك نفسك: ص ٢٢.
(٢) الوسائل: ج١١، ص ٣٨٣.
(٣) نور الثقلين: ج٢، ص ٤٠٢.

عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال: «ليس منّا من لم يُحاسب نفسه في كل يوم، فإن عمل حسناً استزاد الله، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه».

وفي وصيَّة النبي صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «يا أبا ذر حاسب نفسك قبل أن تُحاسب فإنَّه أهون لحسابك غداً، وزن نفسك قبل أن تُوزن، وتجهَّز للعرض الأكبر يوم تُعرض لا تخفى على الله خافية»(١) إلى أن قال: «يا أبا ذر لا يكون الرَّجل من المتقين حتّى يحاسب نفسه أشدَّ من محاسبة الشريك شريكه، فيعلم من أين مطعمه، ومن أين مشربه، ومن أين ملبسه، أمن حلال أو من حرام؟ يا أبا ذر من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين أدخله النَّار»(٢).

فكما أنَّ الشريكين في تجارة مالية يراجعان حساباتهما في كل يوم أو أُسبوع ليعرفا الخسائر والأرباح، كذلك المؤمن فإنَّه يُحاسب نفسه أشدّ من محاسبة الشريك لشريكه لأنَّها العدو اللدود والأمَّارة بالسوء. فقد ورد: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك».

عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «جاهد نفسك وحاسبها محاسبة الشَّريك شريكه، وطالبها بحقوق الله مطالبة الخصم خصمه، فإنَّ أسعد الناس من انتدب لمحاسبة نفسه»(٣).

---

(١) ميزان الحكمة.

(٢) في هذا الحديث عناوين متعددة: المحاسبة على ما صدر من الأفعال والموازنة بين ما وصلت إليه النفس من مستوى عالٍ، وبين ما كانت عليه وما صارت إليه لكي يُعرف النقص. والتجهز للعرض الأكبر يوم القيامة.

(٣) الوسائل: ج١١، ص ٣٧٧.

٣ - المجاهدة:

فإن «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك» كما في الحديث عن رسول الله ﷺ.

فكما أنَّ العدو يتربص بنا الدوائر ليقضي علينا فإنَّ النَّفس عدو تأمر بالسوء لتقضي علينا معنوياً، وخطرها أكبر من خطر العدو الخارجي، لذلك ورد أنَّ الجهاد الأكبر هو جهاد النَّفس، فقد رُوي أنَّ النبي محمَّد ﷺ قال لقومٍ عادوا من الحرب: «مرحباً بكم، قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»، فقيل: وما الجهاد الأكبر؟ فقال ﷺ: «جهاد النَّفس»[1].

---

(١) المستدرك: ج١٢، ص ١٥٢.

ثانياً: التوبة إلى الله تعالى

وهي بداية التغيير الروحي وتبديل الأخلاق السيئة بأخلاق حسنة فالمؤمن الذي يستيقظ من غفلته ويريد العودة إلى ربّه يبدأ بالتوبة والإنابة إلى الله تعالى...

ومن رحمة الله تعالى أنه فتح باب التوبة لكل إنسان مهما ارتكب من خطايا وذنوب.

قال تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزُّمَر: ٥٣]. ففيها كلمة «يا عبادي» التي تُشعر الإنسان بالمحبة والرحمة والعتاب؛ ثم تقول له: يا أيُّها الإنسان مهما بعدت عن الله تعالى وأسرفت في المعاصي والخطايا فلا تيأس من رحمة الله تعالى وعفوه وغفرانه فإنَّه تعالى يغفر الذُّنوب جميعاً.

وروي عن جابر أنّه قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا نبيّ الله، إنَّ امرأة قتلت ولدها بيدها هل لها من توبة؟

فقال لها: والذي نفس محمَّد بيده لو أنَّها قتلت سبعين نبياً ثم تابت وندمت ويعرف الله من قلبها أنَّها لا ترجع إلى المعصية أبداً

لقبل الله توبتها وغفر لها، فإنَّ باب التوبة مفتوح ما بين المشرق والمغرب، وإنَّ التائب من الذَّنب كمن لا ذنب له»(١).

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبَّه الله فستر عليه في الدنيا والآخرة».

قال الراوي: فقلت: وكيف يستر عليه؟

قال: «يُنسي مَلَكَيْهِ ما كتبا عليه من الذُّنوب ويُوحي إلى جوارحه: اكتمي عليه ذنوبه، ويوحي إلى بقاع الأرض: اكتمي ما كان يعمل عليك من الذُّنوب، فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذُّنوب»(٢).

ومن عظيم لطف الله تعالى ورحمته بالعصاة أنَّه لا يمحو الذُّنوب فحسب بل يبدلها بالحسنات كما في الدُّعاء: «إنك ماحي السيئات إنك مبدلها بأضعافها من الحسنات».

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: اعرفوا صغار ذنوبه، وتُخبأ كبارها فيقال: عملت يوم كذا وكذا وهو يقرّ ليس بمنكر وهو مشفق من الكبائر أن تجيء، فإذا أراد الله خيراً قال: اعطوه مكان كل سيئة حسنة فيقول: يا ربّ لي ذنوب ما رأيتها ههنا؟ ثم ضحك رسول الله صلى الله عليه وآله حتى بدت نواجذه وتلا: ﴿إِلَّا مَن تَابَ

---

(١) تهذيب النفس: ج١، ص ٦١.
(٢) التوبة إلى الله: ص ٦٩.

وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

حقيقة التوبة

روي أنه قال أمير المؤمنين عليه السلام لرجل سمعه يقول استغفر الله فقال له: «ثكلتك أمّك، أتدري ما الإستغفار؟ إن الإستغفار درجة العلّيين، وهو اسم واقع على ستة معان:

١ - الندم على ما مضى.

٢ - العزم على ترك العودة إليه أبداً.

٣ - تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله ليس عليك تبعة.

٤ - تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها.

٥ - أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالاحزان حتى يلصق الجلد بالعظم، وينشأ بينهما لحم جديد.

٦ - أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية. فعند ذاك تقول: أستغفر الله»[1].

برنامج عملي لمدة أربعين يوماً

١ - أن يقرأ كل يوم في الأقل خمسين آية من القرآن:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «القرآن عهد الله إلى خلقه، فقد ينبغي

---

(١) بحار الأنوار: ج٦، ص ٣٧.

للمرء المسلم أن ينظر في عهده، وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية»[١].

٢ - أن يستغفر لكل واحدةٍ من جوارحه الأساسية:

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتوب إلى الله ويستغفره في اليوم والليلة مئة مرة من غير ذنب، إن الله يخص أولياءه بالمصائب ليؤجرهم عليها من غير ذنب»[٢]، وعنه عليه السلام: «إذا أكثر العبد من الاستغفار رفعت صحيفته وهي تتلألأ»[٣].

٣ - أن يغتسل غسل التوبة:

قارف شخص الذنوب، فأمره الإمام الرضا عليه السلام بأن يغتسل غسل التوبة.

٤ - أن يصلي صلاة التوبة والاستغفار:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما من عبدٍ أذنب ذنباً فقام فتطهر وصلى ركعتين واستغفر الله إلا وغفر له، وكان حقيقاً على الله أن يقبله، لأنه سبحانه قال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]»[٤].

٥ - أن يقرأ مناجاة التائبين ودعاء التوبة:

وعليه أن يخصص ثلاثة أيام - من هذه الأربعين يوماً - للتضرع والإنابة إلى الله حتى يطمئن بأن الله قد غفر له ذنوبه.

---

(١) أصول الكافي: ٢/٦٠٩، الحديث ١.
(٢) وسائل الشيعة: ١٦/ ٨٥، ٢١٠٥١.
(٣) أصول الكافي: ٢/٥٠٤، الحديث ٢.
(٤) إرشاد القلوب: ١/٤٦.

وبإمكانه في هذه الأيام الثلاثة أن يصلي صلاة الإمام الحجة عليه السلام، وأن يناجي الحجة حتى يشفع له عند الله.

وأن يخصص ساعة من اليوم والليلة للتوسل بأهل البيت عليهم السلام، وأن يذرف الدمع على مصائبهم، وأن يذكر على الخصوص مصيبة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وأن يذهب إلى مجالس ذكر المصيبة، حتى يتمكن بواسطتها من استعطاف الله ويضمن قبول توبته واستغفاره.

عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: «فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، فإن البكاء عليه يحط الذنوب العظام»[(١)].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «من ذكرنا عنده ففاضت عيناه ولو مثل جناح الذباب غفر له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر»[(٢)].

تجربة:

قال أحد التلاميذ:

في بداية تردّدي على الأستاذ أدرك ما بي من ظمأ إلى طيّ مراحل السلوك، فقال لي: عليك أن تتوب عائداً إلى الله، ولا يكن همّك إلا العودة إلى الله وتنقية باطنك.. وهذا يستغرق منك وقتاً. فاعمل بالوصايا.. عسى الله أن يتوب عليك. قلت له: أعمل - إن شاء الله - بما توصي.

في البداية شخّص دائي - كما يفعل الطبيب - ثمّ حدّد لي الدواء. ووُفّقتُ بعدئذ للتوبة ولله الحمد.. ورأيت آثار القبول.

---

(١) بحار الأنوار: ٤٤/ ٢٨٤.

(٢) بحار الأنوار: ٤٤/ ٢٨٥.

ولعلّك تسألني الآن عن هذه الوصايا، ومدّة أدائها، وكيف علمت بقبول توبتي، وعن آثار هذا القبول.

وأقول لك: إنّ الوصفة الطبية التي حدّدها لي الأستاذ كانت خاصّة بحالتي ولا يصحّ أن يعمل بمقتضاها الآخرون. . . أرأيت مريضاً يمكن أن يتناول دواء قد كتبه الطبيب لمريض غيره؟!

ثمّ إني لا أخبرك بتفصيل هذه الوصايا لئلا تتكاسل فلا تقصد أستاذاً وتعمل وفق ما يوصيك به. لكنّ الموضوع الأهم الذي أوصى به وكان له الأثر البالغ في هذا الشأن أنّه قال لي:

ينبغي أن تكون حالتك الآن كمن يريد «تعزيل» داره وتنظيفها. . لا همّ لك إلا التوجّه إلى التوبة وكنس بيت قلبك وغسله، فلا يشغلك في هذه المدة كلّها شاغل عن طلب التوبة والعفو من الله تعالى. . على ألا تقلّ مدة التوبة عن أربعين يوماً؛ فإنّ من فوائد طول أمد التوبة أن تتعوّد فيها على ترك الذنوب. . ثمّ إنك لن يهون عليك أن تنقض توبتك بسرعة بعد عنائك وترويضك نفسك كل هذه المدّة. فإذا ما جاءك الشيطان يزيّن لك نقض التوبة كان بإمكانك أن تواجه نفسك بالقول: أبَعْدَ هذا العَناء الصعب، وبعد هذا النقاء من قذر المعاصي. . أفرّط بتوبتي إلى الله وأعود مرة أخرى إلى أرجاس الشيطان؟!

وفي هذه المدة لا بدّ من التركيز الذهني على التوبة والإنابة. . في الصلوات وفيما بعد الصلوات، وفي مواضع استجابة الدعاء. . ثمّ في جوف الليل وفي أوقات السّحر. . ليكن همّك دائماً أن يقبل الله متابك.

لو كنت تقوم بعمل من الأعمال، تريد أداءه على أكمل وجه. فإنّ عليك أن تركّز فكرك في أدائه ولا تسمح لذهنك بالشرود إلى غيره.. وكذلك عليك في مرحلة التوبة أن تنصرف عن أي شيء، وعن أي حاجة سواها. فإذا غدت التوبة همّك الأساس أفلحت في هذا السبيل.

على أي حال.. عملت بوصيّة الأستاذ. وما كان همّي - في الأربعين يوماً - إلا الاستغفار والتوبة إلى الله. حتى إذا بقي من الأربعين أيام قليلة شعرت بخفّة في داخلي وشفافية. عندها أوصاني الأستاذ أن أسأل الله تعالى تبديل سيئاتي حسنات. وفي آخر هذه الأيام - وقد هيمن عليّ حُسن الظنّ بالله - تخفّفت تماماً من ثقل الذنوب وقَبِل الله عزّ وجلّ توبتي»[1].

تجربة قراءة القرآن

قال أحدهم: «كان أبي قد أوصاني في أيام شبابي أن أواظب كل يوم على قراءة ما لا يقلّ عن نصف جزء من القرآن.. بتدبّر وتوجّه إلى معانيه. وهكذا كنت ابتدأت بقراءة القرآن يومياً، أغسل به ما على مرآة قلبي من الأدران. ورغم هذا.. فإنّي ما كنت أظن أنّ للمداومة على قراءة القرآن كل هذه الفوائد. ذلك أنّي كان لي صديق يماثلني في المشاعر والأفكار، وكان همّنا أن نقطع معاً طريق الكمالات الروحيّة. فاستعنّا بأستاذ ليرشدنا فيما نريد أن نمضي إليه.

---

(١) سير إلى الله ص ١١٢.

قال الأستاذ لصديقي: أنت بحاجة أن تجهد زماناً في مرحلة التوبة للتأهل للسير في مراحل الكمالات الروحية.

لكنّ صديقي ودّ لو أن الأستاذ ينظّم لنا - أنا وهو - خطّة واحدة.. نتآزر فيها على المسير. فقال له الأستاذ: أرى في روحك ظلمات تحتاج إلى مدة لإزالتها، وليس في صديقك مثل هذه الظلمات.

قال صديقي للأستاذ: إننا - أنا وهو - متماثلان تماماً في العمل وفي التوجّه والأخلاق.. ولهذا فإنّي أؤدّي من الأعمال ما يؤدّيه هو.

قال الأستاذ: لا أظنّ المسألة كما تقول. ثم إنّ الأستاذ سألني: أكنتَ تقوم بعبادة خاصّة جعلتك متخفّفاً من الظلمات، وأورثت قلبك الصّفاء؟

ومع أنّي كنت أتكتّم على مواظبتي اليومية على قراءة القرآن إلا أنّي قلت - إستجابة للأستاذ -: أجل، أقرأ كل يوم نصف جزء من القرآن. فقال له الأستاذ: هذا هو الذي يجعلك في حاجة إلى تجشّم ما لا يحتاج صديقك أن يتجشّمه من عناء.

وعندئذ أوصى الأستاذ صديقي هذا بوصايا شاقّة لتوبته. فقال له الصديق: أيكون بإمكاني حين أبدأ منذ الآن بتلاوة نصف جزء من القرآن أن أتطهّر من الأدناس؟ فقال الأستاذ: عليك أن تعمل بما أوصيتك لتقدر على السير في طريق الكمالات.. بأن تلتزم مثل صديقك بقراءة ما لا يقلّ عن نصف جزء من القرآن، ثمّ تعمل بما ورد في الروايات عن النبي ﷺ:

الأول: أن تُرضي خصماءك عنك.

الثاني: أن تضيف عبادات أخرى إلى ما تؤدّيه من المستحبات.

الثالث: أن تتخلى عن الثياب التي كنت قد ارتديتها لمعصية، ولا ترتديها بعد الآن.

الرابع: أن تترك من كانوا أصدقاءك في زمان عصيانك، فمن الممكن أن تنجرّ لو بقيت على معاشرتهم إلى المعصية من جديد.

الخامس: أن تبدل مجالسك السابقة إلى مجالس لذكر الله.

السادس: أن تستبدل بأثاث الدار ووسائل الرفاه والزينة التي تميل بك إلى الذنب أثاثاً ووسائل أخرى.

السابع: أن تبدّل خُلقك وأفكارك... حتى لا يبقى فيك غير النيّة الخيّرة والخصال الحسنة.

الثامن: أن تكون واسع الأفق، مبسوط الصدر واليد.

التاسع: أن تقلل من آمالك في الدنيا، وتحفظ لسانك.

العاشر: أن تنفق ما فَضُل عن حاجتك من الطعام في سبيل الله، ولا تُغْنَ كما مضى بتنويع المائدة وتجويد الطعام.

فإذا تمكّنت فيك هذه الخصال وتعوّدت عليها.. فإنّ توبتك مقبولة[١].

ثمّ إنّ الأستاذ أوصى لإيجاد كل واحدة من هذه الخصال بتعليمات خاصّة، مما لفَتَني أكثر من غيري أنّ على الإنسان أن يوجّه كل وجوده وكينونته إلى الله وإلى سبيل الله، فلو تاب قلبه وظلّ في

---

(١) بحار الأنوار: ج ٦، ص ٣٥ - ٣٦.

عمله مذنباً، أو كان سليم العمل لكنّ قلبه ما يزال يحنّ إلى المعصية.. فإنّه والحالة هذه ما تاب توبة صادقة، وما عاد إلى الله العودة المطلوبة.

وأوصى الأستاذ بالإكثار من ذكر: «يا تَوّاب»، قائلاً: ينبغي أن تلْهَج بهذا الإسم المقدّس ألف مرّة في اليوم على أقلّ تقدير، واعلم أنّ الله يتوب على العصاة والمذنبين.. وإذا مشيت إليه خطوة واحدة مشى إليك عشرة خطوات.

ثمّ أكد الأستاذ على الاستغفار، واستدلّ بحديث الإمام الصادق عليه السلام: «مَن أُعطيَ الاستغفار لم يُحْرَم التوبة». وحديث الإمام الباقر عليه السلام: «كفى بالندم توبة»[١].

وقال الأستاذ: مَن تابَ إلى الله أحبّه الله.. يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «تُوبوا إلى الله عزّ وجلّ وادخُلوا في محبّته؛ فإنّ الله يحبّ التوابين ويحبّ المتطهّرين، والمؤمن توّاب»[٢].

وتابع يقول: ولمعرفة مدى حب الله لمن تاب من عباده.. نقرأ قول الإمام الرضا عليه السلام: «مَثَل المؤمن عند الله عزّ وجلّ كَمَثل مَلَك مقرَّب. وإن المؤمن عند الله عزّ وجلّ أعظم من ذلك. وليس شيء أحبّ إلى الله من مؤمن تائب أو مؤمنة تائبة»[٣].

واعلم أيضاً أنّ التائب الحقيقي لا يبقى عليه ذنب.. كما روى الإمام الرضا عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال:

---

(١) بحار الأنوار: ج ٦، ص ٢٠.
(٢) المصدر نفسه: ص ٢١.
(٣) المصدر نفسه: ص ٢١.

«التائب من الذنب كمن لا ذنب له»[(١)].

بعدئذ أوصى الأستاذ بصيام أيام الأربعاء والخميس والجمعة[(٢)]. وأن أغتسل ليلة السبت غسل التوبة، وأصلي بعده ركعتين وأسأل الله العفو. فإذا فعلتَ ذلك - قال - واستغفرت عطرك الاستغفار، فلم تفضحك روائح الذنوب[(٣)]. بشرط أن تكون توبتك نصوحاً لا تعود بعدها إلى ذنب[(٤)]، وأن يكون باطنك كظاهرك[(٥)].

هنا قال صديقي للأستاذ: أخشى ألا يغفر الله لي، فذنوبي كثيرة، ولا أظنّ أن يُعفى عني بهذه السهولة، أو أن أعود إلى الله بكل هذه المعاصي!

قال الأستاذ: إذَن.. تعال أقصّ عليك ما رواه الشيخ الصدوق رحمه الله في كتابه الأمالي، لتنبذ عنك سوء الظن بالله. ذلك أن الله يتوب على من تاب إلى الله مهما كان قدر ذنوبه وآثامه:

دخل معاذ بن جبل على رسول الله ﷺ باكياً، فسلّم فردّ عليه السلام. ثم قال: ما يبكيك يا معاذ؟ فقال: يا رسول الله، إنّ بالباب شاباً نقيّ اللون، حسن الصورة، يبكي بكاء الثكلى على ولدها.. يريد الدخول عليك.

---

(١) المصدر نفسه: ص ٢١.
(٢) المصدر نفسه: ص ٢٢.
(٣) بحار الأنوار: ج ٦، ص ٢٢.
(٤) المصدر نفسه: ص ٢٢.
(٥) المصدر نفسه: ص ٢٢.

قال النبي ﷺ:

أَدْخِل عَلَيَّ الشاب يا معاذ. فأدخله عليه.. فسلّم، فردّ ﷺ، ثم قال: ما يبكيك يا شاب؟ قال: كيف لا أبكي وقد ركبت ذنوباً إن أخذني الله عز وجل ببعضها.. أدخلني نار جهنّم، ولا أراني إلا سيأخذني بها ولا يغفر لي أبداً.

فقال رسول الله ﷺ: هل أشركت بالله شيئاً؟ قال: أعوذ بالله أن أشرك بربي شيئاً. قال: اقتلتَ النفس التي حرم الله؟ قال: لا. فقال النبي ﷺ: يغفر الله لك ذنوبك وإنّ كانت مثل الجبال الرواسي. فقال الشاب: فإنّها أعظم من الجبال الرواسي! فقال النبي ﷺ: يغفر الله لك ذنوبك وإنّ كانت مثل الأرضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق. قال: فإنّها أعظم من الأرضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق! فقال النبي ﷺ: يغفر الله ذنوبك وإن كانت مثل السماوات ونجومها ومثل العرش والكرسي. فقال: فإنها أعظم من ذلك!

فنظر النبي ﷺ إليه كهيئة الغضبان، ثم قال: ويحك يا شابّ.. ذنوبك أعظم أم ربّك؟! فخرّ الشابّ لوجهه وهو يقول: سبحان ربي، ما شيء أعظم من ربي.. ربي أعظم يا نبي الله من كل عظيم. فقال النبي ﷺ: فهل يغفر الذنب العظيم إلا الرب العظيم؟ قال الشاب: لا والله يا رسول الله. ثم سكت الشاب، فقال له النبي ﷺ: ويحك يا شابّ.. ألا تخبرني بذنب واحد من ذنوبك؟

قال: بلى، أخبرك: أنّي كنت أنبش القبور سبع سنين، أخرج الأموات، وأنزع الأكفان. فماتت جارية من بعض بنات الأنصار،

فلمّا حُملت إلى قبرها ودفنت، وانصرف عنها أهلها، وجنّ عليهم الليل.. أتيت قبرها فنبشته، ثمّ استخرجتها ونزعت ما كان عليها من أكفانها، وتركتها متجرّدة على شفير قبرها.. ومضيت منصرفاً. فأتاني الشيطان.. فأقبل يزيّنها لي، ويقول: أما ترى بطنها وبياضها؟ أما ترى وركيها؟ فلم يزل يقول لي هذا.. حتى رجعت إليها، ولم أملك نفسي حتى جامعتها وتركتها مكانها. فإذا أنا بصوت من ورائي يقول: يا شاب، ويل لك من ديّان يوم الدين، يوم يَقِفُني وإيّاك.. كما تركتني عريانة في عساكر الموتى، ونزعتني من حفرتي، وسلبتني أكفاني، وتركتني أقوم جَنِبة إلى حسابي.. فويل لشبابك من النار! فما أظن أنّي أشمّ ريح الجنّة أبداً. فما ترى لي يا رسول الله؟

فقال النبي ﷺ: تَنَحّ عني يا فاسق! إنّي أخاف أن أحترق بنارك.. فما أقربك من النار! ثم لم يزل يقول ويشير إليه حتى مضى من بين يديه.

فذهب فأتى المدينة، فتزود منها. ثم أتى بعض جبالها، فتعبّد فيها، ولبس مسحا، وغَلّ يديه جميعاً إلى عنقه، ونادى: يا رب.. هذا عبدك بين يديك مغلول! يا رب أنت الذي تعرفني، وزلّ منّي ما تعلم يا سيدي. يا رب إني أصبحت من النادمين، وأتيت نبيّك تائباً فطردني وزادني خوفاً. فأسألك باسمك وجلالك وعظمة سلطانك.. أن لا تخيّب رجائي سيدي. ولا تبطل دعائي، ولا تقنّطني من رحمتك. فلم يزل يقول ذلك أربعين يوماً وليلة، تبكي له السباع والوحوش.

فلمّا تمّ له أربعون يوماً وليلة.. رفع يديه إلى السماء، وقال:

اللهم ما فعلت في حاجتي؟ إن كنت استجبتَ دعائي، وغفرت خطيئتي.. فأوح إلى نبيك. وإن لم تستجب لي دعائي ولم تغفر لي خطيئتي وأردت عقوبتي.. فعجِّل بنار تحرقني، أو عقوبة في الدنيا تهلكني، وخلّصني من فضيحة يوم القيامة.

فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ [آل عِمرَان: ١٣٥] يعني: الزنى، ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٥] يعني: بارتكاب ذنب أعظم من الزنى، ونبش القبور، ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٥] يقول: خافوا الله فعجلوا التوبة. ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٥] يقول ﷻ: أتاك عبدي يا محمد تائباً.. فطردته. فأين يذهب؟! وإلى من يقصد؟! ومن يسأل أن يغفر له ذنباً غيري؟ ثم قال ﷻ: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٥]. يقول: لم يقيموا على الزنى ونبش القبور وأخذ الأكفان.. ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٦].

فلمّا نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ خرج، وهو يتلوها ويتبسّم، فقال لأصحابه:

من يدلّني على ذلك الشاب التائب؟ فقال معاذ: يا رسول الله.. بلغَنا أنّه في موضع كذا وكذا. فمضى رسول الله ﷺ بأصحابه.. حتى انتهوا إلى ذلك الجبل، فصعدوا إليه يطلبون الشاب. فإذا هم بالشاب قائم بين صخرتين، مغلولة يداه إلى عنقه، قد اسودّ وجهه، وتساقطت أشفار عينيه من البكاء، وهو يقول: سيدي.. قد أحسنت خلقي، وأحسنت صورتي.. فليت شعري ماذا تريد بي؟! أفي النار

تحرقني.. أو في جوارك تسكنني؟ اللهم إنّك قد أكثرت الإحسان إليّ وأنعمت عليّ.. فليت شعري ماذا يكون آخر أمري؟ إلى الجنّة تزفّني أم إلى النار تسوقني؟! اللهم إن خطيئتي أعظم من السماوات والأرض، ومن كرسيك الواسع وعرشك العظيم.. فليت شعري.. تغفر خطيئتي أم تفضحني بها يوم القيامة؟! فلم يزل يقول نحو هذا وهو يبكي... فدنا رسول الله ﷺ، فأطلق يديه من عنقه، ونفض التراب عن رأسه، وقال: أبشر، فإنّك عتيق الله من النار. ثم قال لأصحابه: **هكذا تداركوا الذنوب كما تداركها هذا الشاب.** ثمّ تلا عليه ما أنزل الله عزّ وجلّ فيه، وبشّره بالجنّة»[1].

وبعد أن أورد الأستاذ هذه الرواية قال: لا ينبغي لأحد أن يسيء ظنّه بالله تبارك وتعالى؛ فإنّه سريع الرضا، غفّار الذنوب، إنّه الغفّار، يقول الإمام الكاظم عليه السلام: «**ما أعطي مؤمن قط خير الدنيا والآخرة إلا بحسن ظنّه بالله عزّ وجلّ**»[2].

---

(١) أمالي الصدوق: ج٢٦، بحار الأنوار: ج٦، ص ٢٣ - ٢٦.
(٢) بحار الأنوار: ج٦، ص ٢٨.

ثالثاً: الإخلاص

عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أخلص لله أربعين صباحاً جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وأنطق بها لسانه»(١).

الإخلاص هو أن يقصد العبد ربه في كل أعماله وحركاته وسكناته، بلا أي رياء أو عجب أو طلب للدنيا.

ومن أهم موارد الإخلاص هو إخلاص التوحيد لله تعالى، ففي الحديث القدسي:

قالَ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ: إنّي أنَا اللهُ لا إلَهَ إلاَّ أنَا فَاعْبُدُونِي، مَنْ جَاءَ مِنْكُمْ بِشَهادَةِ أنْ لا إلَهَ إلا اللهُ بالإخْلاَصِ دَخَلَ حِصْنِي، وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أمِنَ مِنْ عَذَابِي»(٢).

وقال: «إنّي أنَا اللهُ لا إلَهَ إلا أنَا وَحْدِي، عِبَادِي فَاعْبُدُونِي، وَلْيَعلَمْ مَنْ لَقِيَنِي مِنكُمْ بِشَهَادَةِ أنْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ مُخْلِصاً بِهِ أنَّهُ قَدْ دَخَلَ حِصْنِي، وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أمِنَ عَذَابِي. قَالُوا: يَابْنَ رَسولِ اللهِ، وَمَا

(١) مواهب الرحمن: ج١، ص ٢٣٦.

(٢) رسالة السير والسلوك ص ٩٦.

إِخْلَاصُ الشَّهَادَةِ للهِ؟ قَالَ: طَاعَةُ اللهِ وَرَسُولِهِ وَوِلَايَةُ أَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيهِمُ السَّلَامُ»[١].

والإخلاص لله تعالى يستدعي تحديد الهدف من التحول الروحي، وذلك بأن يكون هدفه الوصول إلى الله تعالى لا إلى الشهرة أو القدرات الخارقة، ففي الخبر قال موسى: «يا رب أين أنت فاقصدك؟ قال تعالى إذا قصدتني فقد وصلت»[٢].

تجربة:

قال أحدهم: «لمّا مَنّ الله تبارك وتعالى عليَّ وصحوت من نوم الغفلة ذهبتُ إلى عالِم من أصحاب المعرفة العالية، فأجلسني في قبالته، وبشّرني في البداية أن رأس الظفر والنجاح للسالكين إلى الله هي حالة اليقظة هذه والصحوة من رقاد الغفلة، وقال لي: إنّ حصول هذه الحالة في الإنسان يشبه حالة امرىء كان قد نام عن قافلته في صحراء ملأى بالأخطار، ثم استفاق ليجد نفسه وحيداً في هذه الفلاة. إنّ كل ما حصل عليه في هذه الحالة هو أنّه استيقظ، لكنه لا يعرف في أي اتجاه يسير في هذه البريّة التي لا بدّ له من الخروج منها والخلاص من مخاطرها.

بعدها أوضح لي الأستاذ مراحل السير والسلوك، وعلّمني ما ينطوي عليه عبور طريق السعادة هذا من المعاني والأسرار. لقد عرّفني في مدة وجيزة ما لو أردت أن أجرّبه من تلقاء نفسي لأفنيت فيه

---

(١) رسالة السير والسلوك ص ٩٦.

(٢) المحبة: ص ٣٢٧.

عمراً، ثمّ لا أعلم أتوصلني تجربتي إلى الغاية أم لا. وكانت معاملته لي معاملة الوالد لولده، يعلّمه المشي خطوة خطوة ويدلّه بعطف ورأفة على مراشده وأهدافه.

قال لي في اليوم الأول: أول ما يفعله المستيقظ من نومة الغفلة أن يحدّد هدفه: إلى أين يتّجه؟ إلى أي ديار يعزم على الرحيل؟ واي حبيب يبتغي؟ وما هي رغباته؟

أتراه يهدف إلى أن يغدو من أصحاب المكاشفة والمُشاهدة، ومن أهل الدّعاء المستجاب والنَّفَس المؤثر؟

أيريد أن يتجمّد الماء تحت قدميه إذا مشى على الماء، فيخلب من الناس ألبابَ الذين جعلوا عقولهم في عيونهم، وينبهروا به على أنّه من أولياء الله.. أم يلتمس أن يبلغ مقاماً يكون من قوة النَّفس ما يجعله مطلعاً على قلوب الناس، ويخبرهم عن خفايا الأمور.. حتى يصل إلى الإحاطة بالعلوم الغريبة وأسرار العالم ورموزه؟

إنّ هذه القضايا كلها ليست هدفاً حقيقياً للإنسان الذي هو خليفة الله، والمرآة العاكسة لصفات الله تعالى وأسمائه، وما كان الله ليخلق الإنسان من أجل أشياء من هذا القبيل.

في البدء.. قال تبارك وتعالى للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البَقَرَة: ٣٠]. وقال في موضع آخر: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريَات: ٥٦]. وهذه الحقائق تعني أنّ المرء متى ما جعل هدفه ما أراده الله له من وراء الخِلقة والتكوين.. فعليه أن يكون - إذا بلغ آخر مرحلة في الطريق - مرآة لتجلّي المعاني الإلهية.. واصلاً إلى الكمالات، مستأنساً بالله، فانياً في صفات الله وأسمائه،

مُصبِحاً خليفة لله ووليّاً من أوليائه. وعندها لا يشينه الحصول على قضايا مثل المكاشفة والمشاهدة وطيّ الأرض والتجرّد الروحي، إذا لم يعكف هو على شيء من هذه القضايا فيعيق حركته الصاعدة إلى الله جل جلاله؛ لأنّ المرء إذا كان ما يزال متلبّساً بواحدة من الصفات الحيوانيّة أو الشيطانيّة.. فإنّ امتلاكه كافّة العلوم الغريبة واكتسابه القدرة على الأعمال المدهشة العجيبة لا يَعْصِمه من أن يكون ذا سيرة حيوانيّة أو شيطانيّة، بسبب تلك الصفة التي تسكن في باطنه.

إنّ على المرء أن يبادر من أول وهلة ليكون في منأى عن الرذائل، ويلتمس التحقّق بالصفات الكمالية.. فيغدو مظهراً لأسماء الله ومَجْلًى لصفاته، وعندها تصبح إرادته إرادة إلهيّة، وبصره بصراً إلهياً، ويده وسمعه كذلك، ويصير قلبه بيتاً للحق جلّ وعلا.. فيفوز آنئذٍ بمقام «الخُلُوص»، ويحيى حياة طيبة رَخِيّة لا يشوبها أدنى خوف، متقلباً في أحضان معبوده الأزليّ ومحبوبة الحقيقيّ. ولن يُكتب لابن آدم أن يصل إلى الكمال الواقعيّ إذا كان له مقصد غير هذا المقصد العظيم.

قال لي الأستاذ هذا كلّه، منذ البداية. وبعدئذٍ - خاصة وأني رأيت بعضاً من الذين أرادوا طي طريق المخاطر كما تشتهي أنفسهم، فضلّوا وضاعوا - شكرتُ للأستاذ وصاياه، وقلت: لو أنّ الأستاذ لم يعاجل فيوصيني بوصاياه تلك لكان شأني شأن هؤلاء: شغوفاً بالمكاشفة حتى تكون في نظري هي حبيبي ومقصودي وإلهي، أو أن يزدهيني العُجب فأروح أتحدّث عن طي الأرض والتجرّد الروحي، أو أن أغترّ بما أرى في المنام من رؤى تنطبق بعدئذ على الواقع

وتتحقق، أو أن أعرف - بالفِراسة أو بالتسلّط الروحيّ - ما في خفايا الناس وخباياها فأُخبِر بما أعرف عنهم، مما يجعل الناس يلتفّون من حولي تعظيماً وإعجاباً.. وأنا أحسب أني قد أحسنتُ صُنعاً وبلغت غاية الغايات!

وهنا أريد أن أخلُص إلى القول أن لا بدّ للسالك إلى الله جل جلاله من حكيم يرشده.. وإلا فإنّ المخاطر تنتظره على قارعة الطريق[1].

(١) سير إلى الله ص ٨٨.

رابعاً: التضرع إلى الله تعالى

إن التضرع الكثير يؤثر في الاستجابة والتغيير، فلذا كان الأنبياء عليهم السلام يكثرون التضرع والبكاء والسجود.

فقد روى أن آدم بكى أربعين صباحاً على الجنة. فعن الإمام الصادق عليه السلام: «إن آدم عليه السلام بقى على الصفا اربعين صباحاً ساجداً يبكي على الجنة وعلى خروجه من جوار الله تعالى»[١].

وإن داود عليه السلام بكى أربعين صباحاً على توبته.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «... لما طال على بني إسرائيل العذاب ضجّوا وبكوا إلى الله اربعين صباحاً فأوحى الله إلى موسى وهارون أن يخلّصهم من فرعون...»[٢].

تجربة:

قال سالك: اشتركت في الندوات التي كانت تعقد في ليالي الاثنين للسالكين إلى الله، فذكر الاستاذ أموراً حول مرحلة العبودية مما شد من عزيمتنا وشوقنا إلى العبادة والمعبود، وفي نهاية المجلس

(١) مستدرك الوسائل: ج٩، ص ٣٢٩.
(٢) النجم الثاقب: ج٢، ص ٥٥٢.

قُرأت مناجاة المطيعين بخشوع كامل، وكان الأستاذ يتفوه بكلمات لا تخرج إلا من فمِ شخص محض العبادة لله، ثم قال: «أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى عليه السلام، أن يا موسى أتدري لِمَ اصطفيتك بكلامي دون خلقي؟ فقال: يا رب ولم ذاك؟ قال: فأوحى الله تبارك وتعالى إليه أن يا موسى أني قلبّت عبادي ظهراً لبطن فلم أجد فيهم أحداً أذل لي نفساً منك، يا موسى إنك إذا صليت وضعت خدك على التراب»(١). فهلموا وضعوا وجوهكم أمام ربكم على التراب، وكأنكم آبقين عادوا إلى مولاهم نادمين معترفين بتقصيرهم فوقعوا على قدميه يطلبون العفو، فوضعنا جباهنا على التراب وأخذنا نقول: (مولاي العفو، سيدي العفو، مالك رقي العفو).

وفجأة التفت وإذا بشخص يأخذ برأسي ويضعه في حجره ويمسح عليه بيده ملاطفاً، ويجفف دموعي، وكلما قلت: سيدي العفو، قال لي: لقد عفوت عنك يا حبيبي.

وعندما سمعت هذه الكلمات جن جنوني، فما أعذب العودة إلى أحضان المعبود والرب المحبوب، فأعولت وبكيت وذرفت الدموع حتى أغمي علي.

وبعد ذلك رويت الواقعة لأستاذي، فقال: لقد بلغت مرحلة العبودية(٢).

---

(١) أصول الكافي: ج٢، ص ١٢٣، باب التواضع، الحديث ٧.

(٢) تزكية النفس ص ٢١٨.

خامساً: العبادة

ينبغي للإنسان أن يداوم على العبادة في فترة الأربعين وذلك لأن للعبادة أثراً مهماً في التحول والتغيير، فما وصل من وصل من العرفاء إلا بالعبادة والتهجد.

ففي الحديث القدسي: «يا بن آدم تورّع تعرفني، وتجوّع تراني، واعبدني تجدني، وتفرّد تصلني»[١].

ومن أهم الأمور العبادية:

١ - **تلاوة القرآن الكريم في كل يوم**، وأقل ذلك جزء واحد.

وينبغي إختيار بعض السور القرآنية التي تشتمل على الأمور الروحانية كسورة «المزمل» و«الكهف» و«الفتح» و«يس» ففيها أسرار وخواص وآثار.

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من قرأ سورة الحشر أربعين يوماً كل يوم مرّة كفاه الله ما يهمه»[٢].

---

(١) كلمة الله: ص ٤٣٠.

(٢) الكمالات الروحية ص ٢٦٣.

٢ - الصلاة، فإنها معراج المؤمن إلى الله تعالى، وخصوصاً «صلاة الليل» قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

وعن الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «إن الوصول إلى الله تعالى سفر لا يُدرك إلا بامتطاء الليل»[١].

وسُئل الإمام علي عليه السلام عن العبودية فقال: «العبودية خمسة أشياء: خلو البطن، وقراءة القرآن، وقيام الليل، والتضرع عند الصبح، والبكاء من خشية الله»[٢].

٣ - الدعاء، فإن كثرة الطلب إلى الله تعالى تؤثر في الإجابة، فلا بد للإنسان من الإلحاح بالدعاء لله أن يعينه على نفسه، وأن يوفقه ويهديه ويسدّده، فعن الإمام علي عليه السلام: «من استدام قرع الباب ولَجَّ ولج»[٣].

وعنه أيضاً: «الدعاء ترس المؤمن ومتى تكثر قرع الباب يُفتح لك»[٤].

ومن أهم الأدعية في هذا المجال: قراءة المناجاة الخمسة عشر للإمام زين العابدين عليه السلام.

٤ - الذكر، عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال: «... ما

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٨، ص ٣٨٠.
(٢) المواعظ العددية: ص ٢٦٤.
(٣) غرر الحكم: ص ١٩٣، الحكمة ٣٧٥٧.
(٤) أصول الكافي: ٢/ ٤٦٨، الحديث ٤.

أجمل عبد ذكر الله أربعين يوماً إلا زهده الله في الدنيا وبصّره داءها ودواءها وأثبت الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه»[١].

فإن كثرة الذكر تؤثر في الفتوحات الغيبية، وخصوصاً إذا أكثر السالك من تكرار الأسماء الحسنى.

ولا بد هنا من الإشارة إلى أمور عدة هي:

أ - أورد الباريء سبحانه وتعالى الكثير من الأذكار والعبادات في كتابه الكريم وبيّن خصائصها وعلى السالك إلى الله في أول أمره أن ينتفع بهذه الأذكار والعبادات أكثر من غيرها. ذلك لأن القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين، ولما كان السالك من المؤمنين فينبغي له الانتفاع بهذا الإكسير الإلهي دون غيره.

ب - إذا أوصى القرآن الكريم بذكر أو تسبيح ولكن لم يبين عدد ما ينبغي أن يؤتى به من هذا الذكر أو التسبيح، في هذه الحالة نستطيع أن نتعرف على عدده إما عن طريق الروايات أو من خلال أستاذ مجتهد متخصص في هذا الميدان وهذا الفن، يُطمأن إليه من أصحاب الصراط المستقيم أو نأتي بعددٍ معين بقصد الرجاء بما يتناسب وحالنا ومزاجنا.

ج - القرآن الكريم يحث على بعض الأذكار والأوراد والأعمال، دون أن يتطرق إلى عددها أو زمانها أو مكانها. ولكن الإنسان ذاته تقع عليه مسؤولية معرفة تلك الخصوصيات، فمثلاً إذا قيل للعامل أو الأجير دقّ هذا المسمار في الحائط، عندها سوف لا

---

(١) رسالة السير والسلوك: ص ٢٣.

يكون من الضروري ذكر عدد الضربات التي يضرب بها المسمار، كذلك الأمر في قراءة القرآن فالهدف هو التعرف على حقائق القرآن والسعي إلى ترسيخ معانيه في القلب والروح، من هنا فأي عدد من الآيات يحقق هذا الهدف فلا بأس به وينبغي الاكتفاء به.

وهكذا فلم يذكر في القرآن عدد الركعات الواجب إتيانها في صلاة اليوم والليلة ولكن المعصوم هو الذي يبين لنا عدد تلك الركعات وكيفيتها.

من هنا فإن الأدعية والأذكار القرآنية إما أن تكرر كي يصدق عليها معنى المداومة والاستمرار ما يجعلها ترسخ في أعماق الإنسان وقلبه أو أن يُبين عددها أستاذ مجتهد متخصص في هذا الفن عن طريق الروايات[١].

عدة أدعية وأذكار قرآنية

هذه الآيات إذا قرئت بقصد الرجاء والدعاء فإنها نافعة ومفيدة للحصول على الموفقية في مرحلة التحول الروحي.

أولاً: إقرأ كل يوم ولمدة أربعين يوماً: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

وإذا قرأتها في كل يوم أربعين مرة كان أفضل.

ثانياً: إذا قرأت سورة الفاتحة كل يوم سبع مرات أو سبعين مرة فإنها مفيدة لشفاء الروح من كل إفراط وتفريط.

---

(١) سير إلى الله ص ٣٣١.

ثالثاً: في هذه المرحلة «مرحلة الصراط المستقيم» واظب على قول ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

رابعاً: إقرأ في اليوم والليل وبقصد الرجاء الدعاء التالي: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

خامساً: أكثر في هذه المرحلة من قول: ﴿ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

سادساً: كرر في هذه المرحلة وبقصد الرجاء قول ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المُمتحنة: ٥].

سابعاً: أكثر من قول: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

ثامناً: أكثر في هذه المرحلة بقصد الدعاء قول: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

تاسعاً: اجعل وردك في هذه المرحلة الآية الكريمة: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النور: ٤٦].

عاشراً: في هذه المرحلة إقرأ آية الكرسي إلى قوله تعالى: ﴿هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٥ - ٢٥٧].

أحد عشر: إتلُ في هذه المرحلة وبقصد الدعاء: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤] (١).

---

(١) سير إلى الله ص ٣٣١.

سادساً: الإعتزال والخلوة

إن الاعتزال المؤقت ضروري في فترة الأربعين، وذلك لأنه يمنع الانشغال بأمور الدنيا ويفرّغ الإنسان للتحول الروحاني من دون عوائق.

ففي الخبر أن الله تعالى أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل: «إن أحببت أن تلقاني غداً في حظيرة القدس فكن في الدنيا وحيداً غريباً مهموماً محزوناً مستوحشاً من الناس»[١].

قال السيد بحر العلوم: «وهي على قسمين: خلوة عامّة، وخلوة خاصّة.

الخلوة العامّة (وتُدعى بالعُزلة)، وهي عبارة عن اعتزال غير أهل الله من الناس، سيّما النسوان والأطفال والعوامّ وأرباب العقول الضعيفة وأهل العصيان وطالبي الدنيا، إلا بقدر الحاجة والضرورة، أمّا مجالسة أهل الطاعة فلا تتنافى مع هذه الخلوة، ولا يشترط فيها مكان خاصّ.

وما ورد في أخبار المعصومين ﷺ، فالمراد به هذا النوع.

---

(١) في رحاب الله: ص ٧٢.

حيث قال أبو عبد الله عليه السلام: «صاحبُ العُزلَةِ مُتَحَصِّنٌ بِحِصْنِ اللهِ مُتَحَرِّسٌ بِحَرَاسَتِهِ. فَيَا طُوبَى لِمَنْ تَفَرَّدَ بِهِ سِراً وَعَلانِيَةً».

وقال: «فِرَّ مِنَ النَّاسِ فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ وَالأَفْعَى، فَإِنَّهُمْ كَانُوا دَوَاءً فَصَارُوا دَاءً...».

وقال: «مَا مِنْ نَبِيٍّ وَلاَ وَصِيٍّ إلا وَاخْتَارَ العُزْلَةَ فِي زَمَانِهِ، إمَّا فِي ابْتِدَائِهِ، أَوِ انْتِهَائِهِ».

قال: «كُفُّوا أَلْسِنَتَكُمْ وَالزَمُوا بُيُوتِكُمْ»[1].

---

(١) رسالة السير والسلوك ص ١٩٨.

سابعاً: الصوم والجوع

إنَّ قلَّة الطعام والشراب أنفع للصحة الجسدية والعقلية والروحية.

فعن رسول الله ﷺ: «حسب ابن آدم لقيمات يُقمن صلبه»[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «قلّة الأكل محمودة في كلّ حال، وعند كل قوم، لأنَّ فيه المصلحة للباطن والظاهر»[٢].

فإنّه أنفع لصحة الإنسان في أبعادها الثلاث.

عن رسول الله ﷺ: «من قلّ طعمه صح بدنه وصفا قلبه، ومن كثر طعمه سقم بدنه وقسا قلبه»[٣].

عن الإمام علي عليه السلام: «من قلَّ طعامه قلَّ آلامه»[٤].

فمن الناحية الجسدية فإنَّ قلَّة الطعام تُعطي النشاط والقوَّة والحيوية، وهذا ما نجده في الفقراء دون الأغنياء.

ولذا ليس غريباً إن وجدنا أنَّ قوت جيش المسلمين في كثير من الغزوات كان التمر والماء.

---

(١) المحجة البيضاء: ج٣، ص ٩.

(٢) المصدر نفسه: ص ٩.

(٣) طب المعصومين: ص ٣٩.

(٤) المصدر نفسه.

وعن الإمام علي عليه السلام: «... وكأنّي بقائلكم يقول: إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان، ألا وإنَّ الشجرة البرية أصلب عوداً والرواتع الخضرة أرقّ جلوداً، والنباتات العذبة أقوى وقوداً وأبطأ خموداً»(١).

وأمّا من الناحية العقلية والنفسية والروحية فإنَّ قلّة الطعام تُصفي الذهن فيزداد الذكاء وتُصفى النفس والرُّوح فيزداد الإشراق.

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «نور الحكمة الجوع»(٢).

وعنه صلى الله عليه وآله: «اشربوا وكلوا في إنصاف البطون فإنَّه جزءٌ من النُّبوَّة»(٣).

من هنا فقد كان العُبَّاد يوصون مريدهم الذين يريدون السير إلى الله تعالى، ويريدون العلم النوراني، بقلّة الطعام والشراب والمنام.

ففي وصية الإمام الصادق عليه السلام: «... فإيّاك أن تأكل ما لا تشتهيه فإنَّه يورث الحماقة والبله، ولا تأكل إلا عند الجوع، وإذا أكلت فكل حلالاً وسمِّ بالله وأذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما ملأ آدمي وعاءً شرّاً من بطنه، فإنْ كان ولا بُدَّ، فثلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ لنفسه»(٤).

وعنه عليه السلام: «قلّة الأكل محمود في كلّ حال وعند كلّ قوم، لأنَّ

---

(١) نهج البلاغة: كتاب ٤٥.

(٢) طب المعصومين: ص ١١٥.

(٣) المصدر نفسه: ص ٣٠.

(٤) تزكية النفس: ص ١٧٠.

فيه المصلحة للباطن والظاهر، والمحمود من الأكل أربعة: ضرورة، وعدَّة، وفتوح، وقوت: فالأكل بالضرورة للأصفياء، والعدَّة للقوام الأتقياء، والفتوح للمتوكّلين، والقوت للمؤمنين، وليس شيء أضرُّ لقلب المؤمن من كثرة الأكل، وهي مورثة شيئين: قسوة القلب وهيجان الشهوة، والجوع إدام للمؤمن وغناء الرُّوح، وطعام القلب، وصحّة البدن، قال النبيُّ ﷺ: ما ملأ ابن آدم وعاء أشر من بطنه، وقال داود عليه السلام: ترك اللقمة مع الضرورة إليها أحبُّ إليَّ من قيام عشرين ليلة، وقال النبيُّ ﷺ: المؤمن يأكل بمعي واحد والمنافق بسبعة أمعاء، وقال النبيُّ ﷺ: ويلٌ للناس من القبقبين فقيل: وما هما يا رسول الله؟ قال: الحلق والفرج، وقال عيسى بن مريم عليه السلام: ما مرض قلب بأشدَّ من القسوة وما اعتلَّت نفس بأصعب من نقص الجوع، وهما زمامان للطرد والخذلان»(١).

رُوي إن عيسى عليه السلام أوصى الحواريين بالجوع، وقال لهم: «كونوا كالحيّة»، فلمّا رُفع عيسى عليه السلام، قالوا: لا نبرح حتّى نعلم تأويل كلامه عليه السلام.

فقال أحدهم: كونوا كالحيّة إذا تطوّقت والتفّت جعلت رأسها في جسدها؛ لأنّها تعلم أنّ ما أصابها من الألم في جسدها لا يضرّها إذا سلم رأسها فيقول لكم روح الله: احفظوا الدين، فإنّه رأس مال الدنيا والآخرة، ومهما أصابكم من الفقر والضرّاء لم يضرّكم مع سلامة دينكم.

---

(١) بحار الأنوار: ص ٣٣٧.

وقال آخر: إنّ روح الله قال لكم: كونوا كالحيّة؛ لأنّ الحيّة لا تأكل إلّا التراب، حتّى لا يخرج السمّ من جوفها، فكذلك لا تنتفعون بما تسمعون من الحكمة لطلب الآخرة ما دام حبّ الدنيا في قلوبكم.

وقال آخر: قال لكم روح الله: كونوا كالحيّة؛ لأنّ الحيّة إذا حسّت من نفسها الوهن جوّعت نفسها أربعين يوماً، ثمّ دخلت حجراً ضيّقاً ورجعت شابّة أربعين سنة، فيقول لكم روح الله: جوّعوا أنفسكم في الدّنيا اليسيرة لبقاء المدّة الطويلة، كما جوّعت الحيّة نفسها أربعين يوماً لبقاء أربعين سنة، فأجمعوا على قوله أنه أراد هذا[1].

وكان ميقات موسى عليه السلام أربعين يوماً، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّه ما أكل وما شرب ولا نام ولا اشتهى شيئاً من ذلك في ذهابه ومجيئه أربعين يوماً شوقاً إلى ربّه»[2].

وروي في تفسير الإمام العسكري عليه السلام: «كان موسى بن عمران عليه السلام يقول لبني اسرائيل: إذا فرّج الله عنكم وأهلك أعداءكم آتيكم بكتاب من ربكم يشتمل على أوامره ونواهيه ومواعظه وعبره وأمثاله.

فلمّا فرّج الله تعالى عنهم أمره الله عزّ وجلّ أن يأتي للميعاد، ويصوم ثلاثين يوماً عن أصل الجبل، وظنّ موسى أنّه بعد ذلك يعطيه الكتاب.

---

(١) النجم الثاقب ج ٢ ص ٣٥٥.
(٢) راجع جنة المأوى (النوري): ص ٣٢٧.

فصام موسى ثلاثين يوماً... إلى أن قال: فأوحى الله عز وجل إليه... صم عشراً أُخر، ولا تستاك عند الافطار، ففعل ذلك موسى عليه السلام، وكان وعد الله عز وجل أن يعطيه الكتاب بعد أربعين ليلة فأعطاه إياه»(١).

(١) تفسير الإمام الحسن العسكري: ص ٢٤٨ - ٢٥٠.

ثامناً: الطعام الحلال

إنَّ الطعام الطيِّب - أي الحلال الطاهر المفيد - يحتوي على طاقة عالية تساهم في قوّة الإنسان ونشاطه الرُوحي والعقلي والجسدي، ولذا جاء الأمر الإلهي إلى الرسل بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١].

وفي هذا دليل على ارتباط الطعام الطيِّب بالعمل الصالح، وقال تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٩].

وقال تعالى: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِيۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١].

أثبت العلم الحديث أنَّ الغذاء يحتوي على عنصرين أساسيين: المادة الكثيفة للطعام والشراب والتي تدخل في تكوين الجسد المادي، والمادة اللطيفة للغذاء والتي تدخل في تكوين المادة اللطيفة فينا والتي هي الروح فكما أن تناول لحوم الحيوانات يؤدِّي إلى انتقال الأمراض التي بداخلها إلى الإنسان - كمرض جنون البقر - كذلك فإنَّ صفاتها الروحية تنتقل إلى الإنسان.

ولنضرب مثالاً على ذلك: قطتّان إحداهما تأكل اللحوم والثّانية تأكل اللبن، فلا شك أنَّ الأولى ستكون شرسة بطبعها، بخلاف الثانية فإنَّها ستكون أليفة.

هذا المثال ينطبق على الإنسان فإذا أكل اللحومات المحرمة، أو تناول الطعام المغصوب والمغشوش والذي أخذ من حرام، فإنَّ ذلك سيؤثّر على روحيته ونفسيته، ورقّة قلبه، وصفاء نفسه.

عن رسول الله ﷺ: «من قلَّ طعمه صحّ بطنه وصفا قلبه، ومن كثر طعمه سقم بطنه وقسا قلبه»[١].

عن الإمام الصادق عليه السلام: «ليس شيء أضرّ لقلب المؤمن من كثرة الأكل، وهي مورثة شيئين: قسوة القلب وهيجان الشهوة»[٢].

يقول الدكتور القباني: «إنَّ الشعوب تكسب بعض صفات الحيوانات التي تتناولها لاحتواء لحومها على سموم ذاتية، ومفرزات داخلية تجول في الدم وتنتقل إلى معدة البشر فتؤثر في أخلاقهم، فعرب البادية الذين يتصفون بالجلد والحقد الدفين يغلب على طعامهم لحم الإبل، وبرودة طباع الإنكليز تتأتى من تناولهم السمك الأبيض البارد، والفرنسيون مغرمون بلحوم الخنازير التي تؤدّي إلى انعدام الغيرة، والعرب المتحجرون مولعون بأكل لحم الأغنام المعروفة بسلاسة القيادة»[٣].

يقول الشيخ محمد باقر المجلسي رحمه الله: «إعلم أنَّ للطعام

---

(١) ميزان الحكمة: مادة «الأكل».

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الغذاء لا الدواء: ص ١٩.

مدخلاً عظيماً في آثار الأعمال، والبُعد من الله والقُرب إليه، لأنَّ قوة الجسم من الرُّوح الحيوانية، وهي بُخار تحصل من الدم، والدم يحصل من الأطعمة، فإذا وصل الطعام الحلال إلى الأعضاء والجوارح يلزم كل واحد منها إلى العمل المرضي وتنصرف تلك القوَّة كلها في العبادة، وإذا دخلت لقمة الحرام في الجسم ووصلت قوَّتها إلى الأعضاء والجوارح فيما أنَّها نتيجة لحرام فلا يصدر عن نتيجة الحرام عمل الخير، فإن ظهرت هذه القوَّة في العين تصرفها في المعاصي والمفاسد، وإن ظهرت في الأُذن تصرفها إلى سماع أنواع الباطل وكذلك في سائر الأعضاء والجوارح، وإن صارت نطفة كان الولد من جهةٍ ولد حرام ويميل إلى الشرّ»[1].

ولقمة الحلال أيضاً تصير نوراً، عبادة، ومعرفة، وتوجب القرب نحو الله تعالى، وتنوِّر القلب.

وفي الحديث: «من أكل الحلال أربعين يوماً نوَّر الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»[2].

قال العلامة المحدث النوري قدس سره: «المداومة على الطعام والشراب الحلال أو الحرام في تلك الأيام المذكورة - أي الأربعين - يسبب تغيّر الحال والانتقال من صفة إلى صفة أخرى سواء كان من الحسن إلى السيء، أو من السيء إلى الحسن. وهكذا سائر ما يمارسه الإنسان من لباس ومسكن وكذلك العشرة»[3].

---

(١) عين الحياة: ج٢، ص ٨٥.
(٢) لئالىء الأخبار: ج١، ص ١٥٨.
(٣) النجم الثاقب: ج٢، ص ٥٥٢.

ولذلك فقد كان علماء الأخلاق والسير السلوك يركزون على الإقلال من الطعام، وخصوصاً اللحومات، وعدم أكل المشتبهات فضلاً عن المحرمات باعتبار أنَّ لذلك مدخلية في صفاء النفس وتجلي العلوم والحقائق.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ: «إلبسوا وكلوا واشربوا في إنصاف البطون فإنَّه جزءٌ من النُّبوَّة»[١].

وعنه ﷺ: «من كثر تسبيحه وتمجيده وقلَّ طعامه وشرابه ومنامه، اشتاقته الملائكة»[٢].

عن الإمام علي عليه السلام: «إذا أراد الله سبحانه صلاح عبده، ألهمه قلَّة الكلام، وقلَّة الطعام، وقلَّة المنام»[٣].

عن رسول الله ﷺ: «لا يدخل ملكوت السمٰواتِ والأرض من ملأ بطنه»[٤].

عن عيسى بن مريم عليه السلام: «يا بني إسرائيل: لا تكثروا الأكل فإنَّه من أكثر الأكل أكثر النوم، ومن أكثر النوم أقلَّ الصلاة، ومن أقلَّ الصلاة كُتب من الغافلين»[٥].

وقد ذكرت بعض النصوص الدِّينيَّة أطعمة تساهم في صفاء الرُّوح وطهارتها، ومنها:

---

(١) الوسائل.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصد نفسه.

العسل: فعن رسول الله ﷺ: «نِعم الشراب العسل يرعى القلب ويُذهب برد الصدر»[(١)].

التين: فعن رسول الله ﷺ: «من أراد أن يرقّ قلبه فليدمن أكل اللبَس»[(٢)].

الخل: عن الإمام الصادق عليه السلام: «الخل ينير القلب»[(٣)].

العدس: عن الإمام علي الرضا عليه السلام: «عليكم بالعدس فإنَّه مبارك ومقدَّس وإنَّه يُرق القلب ويكثر الدمعة»[(٤)].

الرُمّان: عن الإمام الرِّضا عليه السلام: «كلوا الرُمان فليست فيه حبة تقع في المعدة إلا أنارت القلب وأخرست الشيطان أربعين يوماً»[(٥)].

من فوائد وآثار الطعام الطيب أنَّه يجعل في الإنسان صفاءً روحياً خاصاً بحيث يصير من أهل الكشف من بواطن الأُمور، ولذا يُحكى أنَّه كان يعيش في أحد الأرياف القريبة من مدينة «رشت» الواقعة في شمال إيران رجل مؤمن تقي يكتسب قوته من زراعة المحاصيل في أرضه الزراعية. اعتاد هذا الرجل المؤمن أن يخرج الحقوق الشرعية من دخله ليدير دفة معيشته بما تبقى منه. كان يأبى الطعام ما حرم منه وما اشتبه عليه أمره، وتراه دوماً منهمكاً بعبادة ربه وأداء الحسنات

---

(١) طب المعصومين: ص ٣٢٥.

(٢) طب المعصومين: ص ٣٢٥.

(٣) طب المعصومين: ص ٣٢٦.

(٤) طب المعصومين: ص ٣٢٧.

(٥) طب المعصومين: ص ٣٢٧.

مما آل إلى تطبعه بطابع روحي خاص وصفاء نفسي فريد كشف الحجب عن بصيرته.

ذات يوم برزت لديه الحاجة إلى الاستفتاء حول شأن من الشؤون الدينية فترك قريته يقصد المدينة التي وصلها عند الظهر فحضر صلاة الجماعة في أحد المساجد بمدينة «رشت» لأداء فريضة الظهر ثم زار أحد معارفه من علماء المدينة في داره.

سأل الرجل مضيفه بعد الاستفسار عن صحته وأحواله: سيدي، إنني لم أر في مدينتكم أناساً في هذا اليوم إلا القليل منهم إذ لم تبصر عيناي مهما أجلت النظر سوى حيوانات من قبيل: الأبقار، الحمير، الثعالب، والذئاب.

تنبه العالم فوراً لوضعه الروحي فسأله:

هل تناولت طعاماً؟

أجاب: لا.

دفع العالم بشيء من النقود إلى خادمه وأمره أن يحضر له طعاماً من السوق رغم توفر الطعام في داره، تناول الضيف طعامه وجلس بعد ذلك إلى العالم هنيهة يتبادلان الحديث بعد أن استفسر عن مسألته الدينية وأتاه الجواب الوافي عنها ثم نهض وانصرف.

ولما جاء السوق رأى الناس على حالتهم الإنسية فعاد إلى الدار وأخبر العالم الديني بما رأى.

شرح له العالم الديني أنّ الله قد تفضل عليه ووهبه القدرة على تبصر الحقيقة مثوبة له على إيمانه وورعه عن تناول الحرام والمشتبه

الوجه من الطعام وعلى اهتمامه بتطبيق الأحكام الشرعية، ولهذا فإنّه يرى الناس على حقيقتهم فيبصر المحتال ثعلباً والظالم ذئباً، وهكذا سائر الناس. إنَّ هذا الفضل الإلهي نزل عليه إثر انكبابه على عدم تناول ما لا يحل وجهه من الطعام.. وأما هذه الكرة فقد أبصر الناس بظاهرهم الإنسي لأنّه تناول طعاماً مشبوه الحلية أعد له من السوق فسلبه صفاء نفسه وأخفت نور قلبه لبرهة، وعليه أن يقتصر كما اعتاد على تناول الزاد الحلال فتعوف نفسه كحاله إلى الآن الطعام الحرام ليعود إلى ما كان عليه ثانية(١).

موهبة إلهية عظمى تتأتى من تجنب أكل الحرام:

إنَّ حكاية حفظ القرآن الكريم من قبل الملا «كاظم» - والتي تعتبر إحدى المعجزات الإلهية - وردت في الكثير من الكتب والمنشورات الأُخرى ضمن مقالات وأبحاث.

كان الملا «كاظم» يعمل مزارعاً في قرية ساروق بمدينة «فراهان بأراك»، زار مدينتهم ذات مرّة رجل من علماء الدِّين لتبيين أحكام الدِّين وشؤون الحرام والحلال فأخذ يخطب فيهم ويتحدث إليهم عن المسائل الشرعية الخاصة بالخمس والزكاة. وأوضح لهم أنَّ القمح فيما لو بلغ النصاب يستوجب دفع الزكاة للفقراء، ومن لم يفعل اختلط الحرام بماله.

ولما كان محمد كاظم يعلم أنَّ صاحب الأرض التي يعمل فيها

---

(١) مفاسد الحرام: ص ٢٣٩.

ليس من الزمرة المؤدية للزكاة ولحقوق الفقراء، فكَّر بأنَّ ماله مختلط بالحرام وأنَّه هو يدير شؤون حياته بمال حرام أو مشتبه فيه. فأوضح لصاحب الأرض مسألة دفع الزكاة دون أن يجد لديه أذن صاغية، ولهذا قرر محمد كاظم أن يهجر تلك القرية، ليشتغل في مكان آخر ينال عن عمله فيه أجراً من مال حلال طيِّب. وهكذا عاش عدّة سنوات بعيداً عن قريته حتى طلبوا منه العودة إليها حيث كرسوا له قطعة أرض ومقداراً من القمح ليستقل في عمله بالزراعة، فما كان منه إلا أن يقسم نصف القمح بين الفقراء وبذر نصفه الأخير في الأرض. فبارك الله له في محصولها حيث حصد منها ما زاد عن المقدار المألوف. ومنذ تلك السنة قرر أن يقسم نصف محصوله بين الفقراء.

ذات سنة وبينما كان يعرض السنابل المحصودة بعد دقها، للهواء بهدف عزل قشورها سكنت الرياح قرب الظهيرة واشتد الحر فعجز عن مواصلة العمل واضطر للعودة إلى داره. وفي الطريق التقى أحد الفقراء، فسأله الرجل: لقد نسيت أن تدفع لنا شيئاً من قمحك في هذه السنة. فأجابه محمد كاظم: كلا، لم أنس لكنني لم أجمع المحصول بعد. فرح الرجل وعاد أدراجه إلى القرية. لم يهدأ بال محمد كاظم فعاد إلى الحقل وبذل مساع كبيرة لجمع مقدار من القمح حمله إلى ذلك الفقير.

ثم جمع مقداراً من الأعشاب لخرافه. حمل القمح والأعشاب على كتفه وسار نحو القرية ولما وصل المرقد المعروف بمرقد «الاثنين والسبعين» شخصاً وهو مرقد عدد من أحفاد الأئمة عليهم السلام. جلس على مصطبة عند بوابة حديقة المزار طلباً للراحة ووضع القمح

والأعشاب جانباً، عندئذٍ شاهد شابين وسيمين يلفت جمالهما الأنظار وهما يقتربان منه، وقالا: ألا تصحبنا إلى داخل المزار لنقرأ دعاء ما. أجاب محمد كاظم: أريد العودة إلى بيتي لآخذ هذه الأعشاب، إلا أنّهما ألحا عليه بالقول:

حسناً، لندخل ونقرأ سورة الفاتحة على الأقل فتوجها نحو الضريح ومحمد كاظم يتبعهما. دخلوا المزار وقرأوا سورة الفاتحة ثم توجها نحو الضريح الآخر. ولما اقترب منهما سمعهما يقرأن أشياء لا يفهمها. في هذه الأثناء أبصر محمد كاظم كلمات وضاءة زينت بها أطراف سقف المزار. قال له أحد الشابين: ولم لا تقرأ شيئاً؟! يقول محمد كاظم: لم أحضر الكتّاب أبداً ولا أجيد القراءة والكتابة. أردف: لا بدَّ أن تقرأ ثم ضغط بيده على صدر محمد كاظم وهو يقول: إقرأ الآن! ومحمد كاظم يجيب: ماذا أقرأ؟ يقرأ الرجل آية ويطلب منه أن يقرأ مثله ثم يقرأ محمد كاظم الآية ولما فرغ من قراءتها التفت إلى الرجل ليقول شيئاً أو يسأل عن شيء ما. ولكنّه لم يجد أحداً إلى جانبه فقد كان وحيداً في المزار وفجأة أصيب بحالة خاصة أدَّت إلى وقوعه على الأرض مغشياً عليه.

عندما أفاق محمد كاظم كان يشعر بإرهاق شديد وراح يفكر: أين هو الآن؟ ثم خرج من المزار وحمل القمح والأعشاب ثم سار نحو القرية إلا أنّه لاحظ في الطريق أنّه يقرأ بعض الأشياء ثم تذكر قصته مع الشابين وتنبه إلى أنّه يحفظ القرآن كله.

ولما التقى الناس سألوه أين كان؟ فلم يجبهم. توجه على الفور للقاء الحاج صابر أراكي وكان إمام جماعة المسجد، وقص عليه

حكايته. أجاب الرجل: قد تكون حلمت؟ أو تراءى لك ذلك؟! ومحمد كاظم يقول: كلا، لقد كنت مستيقظاً وبتمام وعيي وقد قصدت المزار بنفسي وبرفقة الرجلين وحدث لي كذا وكذا وأنا الآن أحفظ القرآن كله. أحضر الحاج صابر الأراكي مصحفاً وسأله عن آيات مختلفة وعن بعض السور الكبرى فوجده يحفظها عن ظهر قلب.

اجتمع سكان القرية حول الحاج صابر ليعلن لهم عن رأيه في الأمر، فقال لهم بعد إجراء الاختبارات المختلفة وبلكنتهم المحلية: لقد نال الفلاح وحدث له أمر هام حيث أفيض عليه بموهبة كبرى.

هذه هي حكاية الملا كاظم الساروقي وأثر اجتناب مال الحرام والمعصية والاهتمام بالتعاليم الدينية في فوزه بالعناية الربانية، فصار يحفظ القرآن ويقرأه حتى نهاية عمره، اتسم حفظه للقرآن بطابع عجيب فقد كان يقرأ كل آية تطلب منه دون ترو ثم يردفها بقراءة ما قبلها وما بعدها إضافة إلى عثوره الفوري على الآية بمجرد فتح القرآن.

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٥٤].

عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: «طوبى لمن اكتسب من المؤمنين مالاً من غير معصية، وأنفقه في غير معصية، وعاد به على أهل المسكنة»(١).

---

(١) تحف العقول: ص ٢٨.

كيف يكون الطعام روحانياً؟

قلنا إنَّ للطعام تأثير على روح الإنسان، فهو إمَّا أن يقوي الرُّوح ويزيدها صفاءً وارتقاءً أو يضعفها ويجعلها تخلد إلى الأرض.

ولكي يكون الطعام ذا فائدة روحانية لا بدَّ من أُمور:

أولاً: أن تكون النية لله تعالى، بأن ينوي الإنسان في نفسه أنَّه يأكل الطعام للحصول على القوة لعبادة الله تعالى.

ثانياً: أن يذكر الله تعالى ويبدأ بـ «بسم الله الرحمٰن الرحيم» وذلك امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١].

فالآية وإن نزلت بخصوص التسمية عند ذبح الحيوان إلا أنَّ بعض العلماء عمَّم الحكم لكل طعام، وقد كان العارف الكبير السيد علي بن طاووس رحمه الله لا يأكل أي طعام لم يُذكر اسم الله تعالى عليه.

يقول السيد الخميني رحمه الله: «إنَّ الغذاء الرُّوحي - كالصلاة - لا بدَّ أن يكون خالياً من وسوسة إبليس.. وإنَّ الغذاء الجسدي كذلك، وعلاجه التسمية، وإلا فهو شرك شيطان»[1].

ثالثاً: أن ينوي الطعام عن روح النبي والأئمة عليهم السلام أو السيدة زينب أو العباس أو أم البنين، فقد ثبت بالتجربة أنَّ الطعام يكون مباركاً في كميته وروحيته.

---

(١) الآداب المعنوية للصلاة: ص ٥٣.

قال الشيخ بهجت رَحِمَهُ اللهُ: «ان المرحوم الميرزا النوري قد أمر بدعوة مائة من طلاب العلم لتناول وجبة العشاء على مرحلتين في ليلتي الخميس والجمعة ولكن دُعي بالخطأ المائة شخص في ليلة الخميس، ولم يكن الطعام كافياً إلا لخمسين شخصاً فقط، فذهبوا إلى المرحوم الأخوند ملاً «فتح علي السلطان آبادي» فأخبروه بالأمر فقال لهم: دعوا الطعام على حاله في القدر حتى آتي، ثم حضر، وطلب إبريق ماء وصبَّه في القدر ومسح بيده عليه ثلاث مرات يميناً ويساراً وهو يقول: «علي خير البشر، ومن أبى فقد كفر» ثم قاموا بسكب الطعام فأطعم المائة شخص بأجمعهم»[1].

رابعاً: أن يتصدّق منه، كما كان يفعل الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا تأكلن طعاماً حتى تصدق منه قبل أكله»[2].

وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قوت الأجساد الطعام وقوت الأرواح الإطعام».

فمن المفيد في أن يُرسل صحن من الطعام إلى الجيران أو العمَّال أو غيرهم وخصوصاً إذا كانوا من أهل الحاجة والعمل.

ملاحظة:

من وصايا العلماء في التحول الروحاني أن يترك الإنسان تناول اللحم ويقتصر على الأطعمة النباتية، فعنهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: «من أكل اللحم أربعين صباحاً قسا قلبه»[3].

---

(١) مدرسة الشيخ بهجت: ج٢، ص ٨٦.

(٢) منتهى الآمال: ج١، ص ٢٥٣.

(٣) النجم الثاقب: ص ٥٥٨.

وعن الإمام علي عليه السلام: «لا تجعلوا بطونكم قبوراً للحيوانات»[١].

وعن الصادق عليه السلام: «كان علي عليه السلام يكره إدمان اللحم ويقول: إنَّ له ضراوة كضراوة الخمر»[٢].

ولكن ذلك مشروط بأن لا يترك أربعين يوماً، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللحم ينبت اللحم، ومَنْ تركه أربعين يوماً ساء خُلُقه ومَنْ ساء خُلقه فأذّنوا في أُذنه»[٣].

وعنه صلى الله عليه وآله: «مَنْ أتى عليه أربعون يوماً ولم يأكل اللحم فليقترض على الله عز وجل وليأكله»[٤].

يقول الدكتور القبّاني: «حين تنعدم البروتينات - وهي موجودة في اللحم - يصبح المرء أشبه بحيوان مفترس، وقد حدثت مآسي كثيرة في معسكرات النازي خلال الحرب الأخيرة بسبب إنعدام البروتينات في الأغذية المقدمة لهم»[٥].

ماكولات روحانية:

روي عنهم عليهم السلام: «من شرب السويق أربعين صباحاً امتلأت كتفاه قوّة»[٦].

---

(١) طب المعصومين.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) طب المعصومين: ص ٣٥٣.

(٤) طب المعصومين: ص ٣٥٤.

(٥) الغذاء لا الدواء: ص ٤٩٦.

(٦) الكافي - الفروع - (الكليني): ج٦، ص ٣٠٦.

وروي عنهم عليهم السلام: «عليكم بالهريسة فإنّها تنشط للعبادة أربعين يوماً...»[١].

وروي عنهم عليهم السلام: «من أكل رمانة نوّر الله قلبه. وطرد عنه شيطان الوسوسة أربعين صباحاً»[٢].

(١) راجع الكافي - الفروع - (الكليني): ج٦، ص ٣١٩.
(٢) راجع المحاسن (البرقي): ص ٥٤٤.

تاسعاً: إختيار مجالس الصالحين

إن مجالسة الصالحين مفيدة في سرعة التحّول الروحاني، حيث يتعلم الإنسان من الآخرين ويزيد من قوته الروحانية، ولذا ورد:

عن رسول الله ﷺ: «قالت الحواريون لعيسى: يا روح الله من نجالس؟ قال: من يذكركم الله رؤيته، ويزيد في عملكم منطقه، ويرغّبكم في الآخرة عمله»(١).

وعن الإمام محمد الباقر عليه السلام: «المجلس أجلسه إلى من أثق به أوثق في نفسي من عمل سنة»(٢).

قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

قيل في الآية إنها: نزلت في سلمان وأبي ذر وصهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء أصحاب الرسول ﷺ. وذلك أن المؤلفة

---

(١) أصول الكافي: ١/٣٩، ح٣.
(٢) أصول الكافي: ١/٣٩، ح٥.

قلوبهم جاؤوا إلى رسول الله وقالوا: إن جلست في صدر المجلس ونحّيتَ عنا هؤلاء وروائح صنانهم [والصنان هو نتن الإبط]؛ وكانت عليهم جبات الصوف؛ جلسنا نحن إليك وأخذنا عنك، فلا يمنعنا من الدخول عليك إلا هؤلاء.

فلما نزلت الآية قام النبيُّ ﷺ يلتمسهم، فأصابهم في مؤخّر المسجد يذكرون الله عزّوجلّ ، فقال:

«الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجالٍ من أمتي. معكم المحيا ومعكم الممات»(١).

تجربة:

قال سالك إلى الله: كنت ذات يوم في مجلس منعقد لذكر مصيبة سيد الشهداء عليه السلام، وكان الخطيب يشرح مناقب أصحاب الإمام عليه السلام من الإيثار والجهاد والايمان وذوبانهم في حبِّ إمامهم، فأسندت رأسي إلى الجدار وأجهشت بالبكاء، ثم إنتبهت إلى نفسي قائلاً: لماذا لا أكون لإمام زماني كما كان أصحاب الحسين عليه السلام لإمامهم، فاشتدّ حزني وألمي، فأخذت بالبكاء والعويل حتى فقدت الوعي، فوجدت نفسي في وادٍ سحيق مليء بأنواع الحيوانات والزواحف والقذارات، ولم أتمكن من تسلق الصخور طلباً للنجاة، وفي هذه الأثناء سمعت الخطيب يردد اسم سيد الشهداء عليه السلام وصحبه، فقلت لنفسي: حتى متى أمكث في هذا الوادي المليء بالقذارات والعَفَن، وأخذت أصيح: يا حسين يا حسين يا حسين،

---

(١) مجمع البيان: ج٣، ص ٤٦٥.

فوجدت نفسي وسط روضة غنّاء مليئة بأنواع الأزهار الجميلة، وبعد أن خرجت من هذا المجلس الذي كان سبباً في يقظتي، عقدت العزم على عدم العودة إلى المعاصي وبدأت بتزكية نفسي[١].

(١) تزكية النفس ص ٢١.

عاشراً: التوسل بأرواح الأولياء عليهم السلام

إنَّ السالك بحاجة إلى من يرشده ويعينه على سلوك الطريق لئلا يقع في منزلقات الشيطان والنفس الأمارة بالسوء... ويتمثل المرشد بالأستاذ الذي يعرف الطريق ويعيّن الداء ويصف الدواء.

كما يتمثل المرشد بأرواح الأولياء عليهم السلام، فهم مع رحيلهم عن العالم المادي إلا أنهم يقومون بدور المرشد الروحي من العالم الغيبي.

لذلك لا بد للسالك أن يتوسل بهم في كل أحواله...

التوسل بالإمام الحسين عليه السلام

يقول العارف القرآني العلامة الطباطبائي (صاحب تفسير الميزان) في دروسه عن منازل السير والسلوك إلى الحق تبارك وتعالى: «وأكثر الذين حالفهم التوفيق في نفي الخواطر في تطهير أذهانهم وتصفيتها إلى أن ظهر لهم سلطان المعرفة؛ إنّما تحقق لهم ذلك في إحدى حالتين:

الأولى: حين تلاوة القرآن المجيد والالتفات إلى صاحب هذا الخطاب ومَن الذي يخاطب بالقرآن في الحقيقة؛ حيث ينكشف له أنّه الحق جلَّ جلاله.

الثانية: بطريق التوسل بحضرة أبي عبد الله الحسين عليه السلام لأنَّ له عليه السلام عنايات وآثاراً عظيمة في رفع الحجاب وموانع الطريق عن سالكي طريق الله»[1].

ومن الأمور المجربة في التوسل بالإمام الحسين عليه السلام قراءة «زيارة عاشوراء» لمدة أربعين يوماً، كما هو معروف.

التوسل بالإمام المهدي عليه السلام

باعتبار أن الإمام المهدي عليه السلام هو إمام زماننا والمشرف على أعمالنا فينبغي التوسل به للإرتقاء الروحاني.

قال العلامة الشيخ عبد الله المامقاني: «إن أئمتنا عليهم السلام وإن كانوا جميعاً أحياء عند ربهم مرزوقين، ولا فرق بين موتهم وحياتهم ونسبة الرعيَّة إليهم جميعاً نسبة واحدة، إلاَّ أنَّ لكل عصر إماماً ولكلّ أوانٍ سلطاناً، فيلزم إخواننا اليوم التمسك بذيل ألطاف الحجَّة المنتظر عجل الله تعالى فرجه وجعلنا فداه، والإلتجاء إليه في الشدائد والملمات، والحوائج والمهمات، لأنه سلطان الوقت، وإمام العصر، وإن كان غائباً فإنَّه يرانا ولا نراه، أو نراه ولا نعرفه، ويشرق علينا شمس عنايته، ويقضي حاجة من توسَّل به منَّا، بنفسي من مُغيَّب ولم يخل منَّا»[2].

---

(١) راجع رسالة لب اللباب.

(٢) مرآة الكمال: ج٣، ص ١٣٩.

تجربة:

قال سالك إلى الله: بعد أن قرأت كتب الأستاذ، فكرت في إصلاح نفسي وتزكيتها، فخطوت الخطوات الأولى في هذا الطريق، إلا أني لم أكن واثقاً من بلوغ الهدف، بسبب الكمّ الهائل من المعاصي والذنوب التي ارتكبتها طوال حياتي لكن اليأس لم يتغلب علي، فكنت دائم التوسل بأهل البيت عليهم السلام، واستمداد العون من إمام العصر والزمان عليه السلام روحي لتراب مقدمه الفداء، وفي إحدى الليالي أكثرت من التوسل وأجهشت بالبكاء حتى غارت عيناي، فوجدت نفسي في صحراء ليس فيها إلا طريق واحد قد عُبِّد حديثاً، فأخذت أركض عليه بأقصى سرعتي، محاولاً عدم الإنحراف عنه، وكان على جانبي ذلك الطريق كلاب سوداء ما إن رأتني حتى شرعت بالنباح والعواء، فأصابني الرعب والفزع منها، إلا أنني لم أحفل بها، وواصلت الطريق وأنا أردد قول: (يا صاحب الزمان) فلم تقترب مني ومكثت مكانها مكتفية بالنباح، حتى ابتعدت عنها ووصلت إلى بناء ضخم محاط بجدران تحول دون الدخول إليه، إلا أنني تسلقتها بصعوبة، ودخلت فناء ذلك المبنى، فوجدته مبنياً على قمة جبلية تجري منها عين ماء زلال، فتوجهت إلى تلك العين ووقفت وسط الماء وشربت منه، فوجدته شديد العذوبة، وعندها عدت إلى وعيي، وبعد هذه المكاشفة أيقنت بأضرار اليأس وضرورة التوسل بأهل البيت عليهم السلام وإمام العصر (عج) أرواحنا فداه، للوصول إلى الهدف من خلال السعي والجدّ[1].

---

(١) تزكية النفس ص ٩٤.

التوسل بأربعين ولياً

جاء في وصية أحد العلماء:

أرى أن تلتزم بالتوسّل أربعين يوماً بهؤلاء الأولياء الذين قلّ أن يتوسّل الناس بهم، مع ما لهم عند الله من الكرامة والشأن العظيم.. طالباً منهم أن يشفعوا لك عند الله، فإنّهم يطلبون لك العفو، فيقبل توبتك. وهؤلاء الأولياء هم:

١ - إبراهيم إبن رسول الله ﷺ - المدفون في مقبرة البقيع.

٢ - أبو الفضل العباس عليه السلام - مرقده الطاهر في كربلاء المقدسة.

٣ - علي الأكبر عليه السلام - قبره المقدّس في كربلاء.. عند رِجلَي سيّد الشهداء عليه السلام.

٤ - عبد الله الرضيع عليه السلام ابن سيد الشهداء عليه السلام الذي يقال إنّ الإمام السجّاد عليه السلام قد دفنه إلى جانب الخيام.

٥ - القاسم بن الحسن عليه السلام - المدفون في حومة الشهداء بكربلاء.

٦ - زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام - الذي أحرق جثمانه في الكوفة، وذُرّي رماده في الهواء.

٧ - يحيى بن زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام - الذي دفن في الظاهر في منطقة (ميامي) على مسافة (٦٠) كيلومتراً من مشهد، أو في (كُنبَد كاووس).

٨ - فاطمة (المعصومة) ابنة الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام - ومرقدها الطاهر في وسط مدينة قم.

٩ - أحمد بن موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام - المدفون في شيراز، حيث يعرف هناك باسم (شاه جراغ).

١٠ - إبراهيم بن موسى بن جعفر عليهما السلام - المدفون في زَنجان.

١١ - حمزة بن موسى بن جعفر عليهما السلام - الذي دفن في (باغ مزار) بمدينة (كاشمَر) أو دفن إلى جوار السيد عبد العظيم الحسني في مدينة (الري) بطهران.

١٢ - سيد محمد ابن الإمام علي الهادي عليه السلام المدفون في مدينة (الدُّجَيل) بين بغداد وسامراء.

١٣ - علي بن جعفر عليه السلام المدفون في مدينة قم.

١٤ - موسى المُبَرقَع المدفون في قم.

١٥ - زينب الكبرى عليها السلام المدفونة في الشام على مسافة ١٠ كيلومتر من دمشق.

١٦ - أم كلثوم زينب الصغرى عليها السلام المدفونة في القاهرة بمصر.

١٧ - سكينة بنت الحسين عليه السلام المدفونة في (باب الصغير) بدمشق.

١٨ - رقية بنت الحسين عليه السلام الكائن مزارها في (محلة الخراب) بدمشق.

١٩ - خديجة الكبرى عليها السلام وقبرها في (مقبرة أبي طالب) في مكة.

٢٠ - آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ المدفونة في مكة.

٢١ - أم البنين والدة شهيد كربلاء أبي الفضل العباس عليه السلام المدفونة في المدينة المنورة.

٢٢ - نرجس عليها السلام والدة الإمام ولي العصر (روحي فداه)... المدفونة في سامراء.

٢٣ - حكيمة بنت الإمام محمد الجواء عليه السلام وقد دفنت في سامراء.

٢٤ - سلمان.. المدفون في (المدائن) خارج بغداد.

٢٥ - أبو ذرّ الغفاريّ - المدفون في (الرَّبَذة) بين مكة والمدينة.

٢٦ - الشريف الرضي - المدفون في الكاظمية ببغداد.

٢٧ - الشريف المرتضى - وقبره أيضاً في الكاظمية.

٢٨ - السيد مهدي بحر العلوم - المدفون في النجف الأشرف.

٢٩ - السيد علي بن طاووس - المدفون كذلك في النجف الأشرف.

٣٠ - العلامة المجلسي رحمه الله الكائن مزاره في وسط مدينة أصفهان.

٣١ - العلامة الحلي - المدفون في النجف الأشرف.

٣٢ - المقدَّس الأردَبيلي - المدفون في النجف الأشرف.

٣٣ - السيد أبو الحسن - وقبره في النجف الأشرف.

٣٤ - آية الله البروجردي - المدفون في مدينة قم.

٣٥ - الشيخ مرتضى الأنصاري - المدفون في النجف الأشرف.

٣٦ - مسلم بن عقيل عليه السلام - الكائن قبره في الكوفة.

٣٧ - عثمان بن سعيد العمري - النائب الخاص للإمام ولي العصر (عجل الله تعالى فرجه).

٣٨ - محمد بن عثمان بن سعيد العمري - النائب الثاني للإمام ولي العصر (روحي فداه).

٣٩ - حسين بن رُوح - النائب الثالث للإمام بقية الله (روحي له الفداء).

٤٠ - علي بن محمد السمري - النائب الرابع الخاص وهو النّواب الأربعة قد دفنوا في بغداد.

إذا توجّهت إلى هؤلاء الأولياء أربعين يوماً تتوسل بهم، ولا تريد إلا غفران ذنوبك.. فاعلم أن ذنوبك تغفر لك، ولسوف يمن الله عليك - إكراماً لهم - بلطفه وإحسانه[1].

---

(١) سير إلى الله ص ١٣٣.

الحادي عشر: اختيار الزمان والمكان

يستحسن أن تكون الأربعين يوماً - التي يختارها الإنسان - من الأيام المباركة كشهر رجب وشعبان ورمضان، فإن فيها نفحات الهية، وبركة روحانية.

كما ينبغي إختيار المكان الذي يساعد على الإرتقاء الروحاني لما فيه من أجواء نورانية وروحانية كالمساجد والمراقد المقدسة.

ومن أعظم الأماكن «مرقد الإمام علي عليه السلام» فقد أثبتت التجارب أن فيه روحانية عالية جداً تفوق سائر الأماكن.

الثاني عشر: المداومة على العمل

من الضروري المداومة على العمل وعدم تركه قبل الأربعين يوماً، فإن تأثيره الإيجابي يكون بعد الأربعين، وفي الحديث: «أحب الأعمال إلى الله ما داوم عليه العبد وإن قلّ»[1].

تجربة الصبر على العبادة

قال رجل: «قليل الصبر على العبادة كنتُ، قليل التحمّل. وكان في مخيّلتي أنّ بإمكاني أن أظفر بكل الكمالات الروحيّة لو أنّي أحييتُ ليلة واحدة في حرم الإمام الرضا عليه السلام حتى الصباح، أو أؤدّي عملاً عبادياً صعباً مرّة واحدة.. ثُمّ أقضي سائر أوقاتي في غير ما عبادة. ولهذا فإنّي كنت أقرأ في كتب الأدعية كيفما أتفق، ظنّاً منّي أنّ الدعوات والأعمال المندوبات كَمَثَلِ حديقة ورد يدخلها المرء فيقطف منها كل يوم وردة من غير النوع الذي قطف منه أمس.

وما زلت وقتئذٍ كذلك.. حتى مَنّ الله تعالى عليّ فيه بأستاذ مرشد حكيم، لا أجد في وصفه خيراً من تعبير «طبيب روحي» –

(١) بحار الأنوار: ج١٥، ص ١٧٤.

نفسي له الفداء.. فأنقذني من حيرتي، وكان لي نِعْم الدليل. ذلك أنّي كنت أقرأ الأدعية وأؤدي المستحبات سنوات عديدة ولم أحصل على ثمرة، فمللت.

ذهبت إلى هذا الأستاذ وأخبرته خبري.. فقال لي: إنّ المستحبات المبثوثة في كتب الدعوات - والتي وصلت إلينا من المعصومين الهداة عليهم السلام - إنّما مَثَلُها كَمَثل الأدوية والعقاقير التي نراها في الصيدلية. فلا يصحّ لك أن تدخل الصيدلية كل يوم فتتناول ما شئت من الدواء؛ فإنّ عليك - إذا كنت مريضاً - أن تقوم بتشخيص الداء أولاً.. كأنْ تشخصه أنت، أو يتعهّد بهذا طبيبك المعالج، ثمّ يُصار إلى تحديد نوع الدواء اللازم، لتتناول منه بالمقدار الصالح لك.. حتى تشعر بأثره الإيجابي في بدنك. وقد ورد في بعض الروايات أنّه ينبغي المداومة على العمل سنة على الأقل. قال الإمام الصادق عليه السلام:

«مَنْ عَمِل عَملاً مِنْ أعمالِ الخير، فَلْيَدُم عليه سنةً ولا يَقطَعْه دُونَها»(١).

وقال عليه السلام: **«إذا كان الرّجُل على عمل.. فَلْيَدُم عليه سنة، ثمّ يتحوّل عنه إن شاء إلى غيره»**(٢).

وعنه عليه السلام أيضاً: **«إيّاك أن تفرض على نفسك فريضة فتفارقها اثني عشر هلالاً»**(٣).

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١، ص ١٥.

(٢) أصول الكافي: ج٢، ص ٨٥.

(٣) أصول الكافي: ج٢، ص ٨٣.

ومن جهة أخرى.. على المرء أن يحاذر الإفراط في قراءة الأدعية والعبادات فإنّ هذا الإفراط يؤدي إلى التعب والإشباع. يقول أمير المؤمنين عليه السلام يوصي ولده:

«واقتصِد يا بُنَي في معيشتك، واقتصد في عبادتك.. وعليك فيها بالأمر الدائم الذي تطيقه»(١).

ويقول أيضاً: **«قليل تدوم عليه أرجى من كثير مملول فيه»**(٢).

ويقول الإمام السجاد عليه السلام: **«إني لأحب أن أدوم على العمل وإنْ قَلَّ»**(٣).

وعن الإمام الباقر عليه السلام: **«ما من شيء أحب إلى الله عزّ وجلّ من عمل يُداوَم عليه وإن قَلّ»**(٤).

وقال الصادق عليه السلام: **«إنّ خير العبادات.. أدوَمُها وإنْ قَلّ»**(٥).

وهذا يدلّنا أن الأذكار والعبادات المستحبة ينبغي أن يؤدي منها الإنسان بقدر طاقته وبقدر حاجة الروح، مما لا يبعث على الملل والكسل، يضاف إلى هذا أنّ عليه أن يواظب على أحد الأدعية أو الأذكار أو العبادات المختارة زماناً يحدده له الأستاذ. يقول الإمام الصادق عليه السلام: **«مرّ بي أبي وأنا بالطواف - وأنا حَدِث - وقد**

---

(١) بحار الأنوار: ج٧١، ص ٢١٤.
(٢) شرح نهج البلاغة إبن أبي الحديد.
(٣) أصول الكافي: ج٢، ص ٨٢.
(٤) أصول الكافي: ج٢، ص ٨٣.
(٥) بحار الأنوار: ج٧١، ص ٢١٥.

اجتهدتُ في العبادة.. وأنا أتصابّ عَرَقاً. فقال لي: يا جعفر، يا بُنَي إنّ الله إذا أحبّ عبداً أدخله الجنّة، ورضي عنه باليسير»[١].

ثم قال الأستاذ: إنّ من له حظ من المتانة والثبات إنّما يواصل أي عمل يعمله مدة من الزمان، حتى يقطف ثمرته.. تماماً كمن يريد أن يدقّ مسماراً في جدار، فإنّ عليه أن يواصل طرقه بالمطرقة مرّات عديدة - خاصّة إذا كان الجدار صلباً.. وإلا فإنّه لن يستطيع إنجاز هذا العمل.

وكذا شأن المرء مع الدعاء، فمن كان يرجو أن يحالفه التوفيق فيظفر ببلوغ مرحلة من المراحل الروحية فليواظب مدة على إحدى العبادات المناسبة للمرحلة التي يطمح إليها، فلا يتركها يوماً واحداً أو مرة واحدة. إنّ الذين ينشغلون كل يوم بعمل ما ولا يَصِلون بعمل واحد من هذه الأعمال إلى غايته ومنتهاه، لن ينتجوا عملاً صحيحاً في يوم من الأيام، ولن يكون التوفيق حليفهم، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «عَدو العمل: الكسل»[٢]. ويقول أيضاً: «الكَسَل يضرّ بالدين والدنيا»[٣].

وتابع الأستاذ يقول لي؛ واعلم يا ولدي أن مفهوم (الصبر على العبادة) الذي ورد في الأحاديث إنّما يراد به هذه المداومة على العبادة وتحمّل المشقات التي يلقاها المرء في طريق العبادة والعبودية لله.

---

(١) بحار الأنوار: ج٧١، ص ٢١٣.
(٢) أصول الكافي: ج٢، ص ٨٥.
(٣) تحف العقول: ص ٢١٩.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«المُداومةَ المُداومةَ؛ فإنّ الله لم يجعل لمؤمنٍ غايةً إلا الموت».

وأوصيك - يا بُني - إذا أردت أن تكون في منأى عن قلّة الصبر هذه وقلة التحمل أن تتخير عبادة خفيفة تناسب حالتك وروحيتك ثم تأخذ على عاتقك ألا تتركها ولا يوماً واحداً، وأن تدوم عليها سنة واحدة على الأقل (وقد أوصاني الأستاذ بعدئذ بالتزام إحدى العبادات المناسبة لي) واسعَ لتقوية إرادتك، ولا يَخطرَنَّ ببالك أبداً أن تترك هذه العبادة[1].

ملاحظة:

ينبغي المداومة على العمل بعد إختيار ما يناسب حاله.

قال المحدّث النوري رحمه الله:

«وعندما عرف ولو بشكل مجمل مصدر العمل المعروف للعلماء والصلحاء والأخيار في المداومة على أربعين ليلة أو يوم أربعاء، أو جمعة في الكوفة، أو السهلة، أو كربلاء للحصول على هذا المقصد العظيم، وعدم وجود خصوصية في كلّ واحد منها فيظهر أنّ اللازم أن ينظر واحد بحسب مقامه وحالته ومكانه وزمانه وقدرته بالدّقة والتأمّل. أو يكون عارفاً نقّاداً بصيراً باحثاً عن أي الأعمال الحسنة الشرعية وآداب السنن الأحمدية بالنسبة إليه أولى وأرجح ليداوم عليها. وقد يكون عمل من الأقوال أو الأفعال بالنسبة إلى شخص مرجوح، ويكون بالنسبة إلى شخص ثانٍ راجح، وعلى فرض

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١، ص ١٥.

الرجحان فإنّ تفاوت المراتب ودرجات الأعمال كثيراً. فقد يكون المطلوب من شخص البذل والانفاق للمال في محله، وقد يكون المطلوب من شخص آخر التعليم، ومن ثالث الصلاة، ومن رابع الصوم ومن خامس الزيارة، وهكذا، ولكن أن يراعى في الجميع الشروط المشتركة مثل أداء الفرائض واجتناب المحرمات، وطهارة المأكول والمشروب والملبوس، وحليتها، بالإضافة إلى ما يمكن أن يفعله بظاهر الشرع، وإخلاص النية، وغير ذلك مما ليس هنا مقام بيانه»[1].

إنَّ المداومة على العمل تحتاج إلى:

١ - صبر، فعن الإمام علي عليه السلام: «من صبر على الله وصل إليه»[2].

٢ - **ثبات واستقامة**، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصّلت: ٣٠].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه»[3].

٣ - **العزم**، عن الإمام علي عليه السلام: «ولكن الله سبحانه جعل رسله أولي قوة في عزائمهم»[4].

---

(١) النجم الثاقب ج ٢ ص ٥٦١.
(٢) ميزان الحكمة: مادة «صبر».
(٣) سير إلى الله: ص ٢٠٧.
(٤) تهذيب النفس: ج١، ص ٣٤٣.

وفي الدعاء: «وقد علمت أن أفضل زاد الراحل إليك عزم إرادة يختارك بها، وقد ناجاك بعزم الإرادة قلبي».

٤ - عدم استعجال النتائج، فإن الأمور مرهونة بأوقاتها.

٥ - النشاط وعدم الكسل.

برنامج الأربعينيات

ينبغي لطالب العلوم الروحانية أن يلتزم بالأربعينيات، فكلما داوم على عمل ما لمدة أربعين يوماً، ينتقل إلى عمل آخر بما يتناسب مع حاله وتطوره الروحاني.

وعلى العموم، ففي الأربعين الأولى لا بد أن يطلب التوبة فيعمل كل ما يتعلق بالتوبة من أذكار وأدعية وصلوات وبكاء وتضرع...

وفي الأربعين الثانية يطلب الثبات والاستقامة...

وفي الأربعين الثالثة يطلب إحياء القلب.

وفي الأربعين الرابعة يطلب الإخلاص.

وفي الأربعين الخامسة يطلب الفتوحات الغيبية.

وهكذا يستمر في العمل بما يتناسب مع ارتقاءه الروحاني.

تجربة السيد بحر العلوم - قدس سره -:

قال السيد رحمه الله: إعلم أني لمّا أردتُ السلوك عازماً على المجاهدة الكبرى والعظمى، وقصدت السير في وادي الذّكر، فقد شمّرت عن همّتي في التوبة ممّا كنت أفعل، وهجرت العادات

والتقاليد، ثم إنهمكت في أربعينيات الأذكار، وجعلتُ في الأربعين أربعيناً.

وقد علمني أستاذي في الذكر الخيالي اسم «الحيّ» الذي تعلّمه من الآية الكريمة: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥].

لأنّ الله جعله مقدّمة الإخلاص ومنهجاً لحمده.

وهو - مع وجود كل هذه النورانيّة والروحانيّة - يلائم جميع الأمزجة، ويبعث القلوب الميتة، بعيداً عن سائر الأخطار المختلفة. وأكثر الروايات الواردة في الاسم الأعظم لا تخلو من هذا الاسم المكرّم، كما ورد في كتاب «مُهج الدعوات». فالظاهر أنّه هو الاسم الأعظم.

وهو - مع ذلك - مكوّنٍ من «حاء» و«ياء»؛ فالحرف الأوّل يبعث على الأنس والمواصلة، والثاني على الصبر والاحتمال والفتح والنصرة.

ووقوع الأول في اسم من الأسماء الحسنى يدفع تأثير ناريّة الشيطان، لأنّ ذلك الحرف دافع للحرارة. واشتماله على الثاني سبب للهداية وكشف الأسرار، كما هو مبيّن في فنّ الأعداد.

وزيادة الألف واللام من أجل تأثّر القلب في التأسّي بخصلة الأنبياء والاتّصاف بصفة الأصفياء، والتأنّي في الثبوت في العمل؛ وذلك الحرف هو ذات القلم الرسام للأسرار.

فقد قضيتُ مدّة في الأربعينيات المتعدّدة بطرق متعددة.

ثمّ انشغلتُ بسائر الأذكار، واغتسلتُ في كل أربعين غُسل التوبة، وتركتُ حظّاً ولذّة من حظوظ النفس، وودّعتها الوداع الأخير.

وتوجّهتُ في كل يوم إلى سيّد من ساداتي، فزرتُه بالزيارة التي اخترتُها بنفسي. وشرعتُ في ذلك يوم السبت، لحديث شاهدته في هذا الباب. وكنت أُصلّي ركعتين أهديهما لروحه المقدسة وأتوسّل به.

وتعلّقت في كل جمعة بأذيال وليّ العصر متوسلاً به، وقرأت الزيارة والأدعية التي وردت في التوسّل به في ذلك اليوم.

وكنت أُصلي على النبي وآله كل جمعة ألف مرة كما هو المأثور.

وكانت أورادي في هذه الأيام على نوعين:

الأول: ما كان عليّ القيام به كل يوم، وهو على النحو التالي: الحقّ، في الأسحار مائة مرتبة بعد صلاة ركعتين، مع رفع الأيدي إلى السماء؛ **يَا حَيُّ يا قَيُومُ يَا مَنْ لا إِلَهَ إلا أَنْتَ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ** ما بين السُّنة والفرض أربعين مرة.

يَا أَحَدُ يَا صَمَدُ بعد الفرائض الخمسة بالعدد المجمل ١٦٩ مرّة أو المفصّل ٦١٩ مرّة.

يَا عَليّ بقصد الوليّ في الأسحار وبعد فريضة الصبح بالعدد المجمل ١٢١ مرّة.

يَا قَريب كلّ يوم بالعدد المجمل ٣٢٣ مرّة.

آية **المُلك** بعد فريضة الصبح ٢٢ مرّة.

الله في الأسحار بالعدد الكبير مع الإمكان؛ **يا نور يا قدّوس** في الأسحار بالعدد المجمل ٤٤٨ مرّة.

الثاني: ما أتممته خلال هذه المدّة، إبتداء من ذكر **رَبِّ إِنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** أربعيناً بالعدد المجمل ٢٥٠٠ مرّة.

يَا لا إلهَ إلا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ أربعيناً بالعدد المجمل ٢٣٨٦ مرة.

يا هادي أربعيناً في كل يوم ٥٠٠٠ مرّة؛ وفي اليوم الأخير **يَا هَادِيَ المُضِلِّينَ** مائة مرّة.

يَا فَتَّاحُ ثمانية عشرة يوماً، في كل يوم ٨٧٩٩ مرّة.

يَا بَصير أربعيناً، في كل يوم بعد كل فريضة ١٣٣٠ مرّة؛ والغُسل كل يوم مع الإمكان.

آية الكرسي: بعد كل فريضة؛ النفي والإثبات المركّب والبسيط و«الله» و«هو» وسورة التوحيد والأعلى ، كل واحد منها ألف مرّة؛ وأربعين اثنين في الأسحار.

يَا سُبُّوحُ يَا قُدُّوسُ ستة أربعينات، في كل يوم ٢٦٧٠ مرة.

(الشرائط: الغُسل كل يوم مع الإمكان والصمت والجوع)

يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ لمدة مائة وثمانية أيام، في كل يوم ١٢٠٠ مرة (الشرط: ترك الطعام الحيواني، بل تركه قبل ذلك بأربعين يوماً).

يَا دَيَّانُ لمدّة سبعين يوماً، في كل يوم ٥٠٠٠ مرّة.

يَا كَبِيرُ: ثلاثة أربعينات، في كل يوم وليلة ١٤٦٦ مرّة؛ وفي

الأربعين الأخيرة ترك الطعام الحيواني، وتكراره كل يوم ما أمكن؛ ولو أمكن تكراره ٧٠٠٠٠ مرّة كان أفضل.

يَا نُورُ بالعدد الكبير، وفي الليالي أيضاً بهذا العدد من دون سورة، إبتداء من يوم السبت.

يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ لمدّة مائة وثمانين يوماً من السحر إلى الطلوع، أو من الطلوع إلى الاستواء، في كل يوم ٣٧١٦ مرّة.

يَا مُهَيْمِنُ لمدّة أربعين واحد أو أربعينين اثنين، في كل يوم ١٠٤٠ مرّة على غُسل وقبل التكلّم؛ الله أربعيناً واحداً، في كل يوم بقدر الإمكان مع السعة (بشرط الصوم وترك النوم إلا مع عدم الاختيار) ويجب إظهار الهمزة وإسكان الهاء ثمّ يداوم بعد ذلك على هذا الذكر.

ولقد أتممت العمل على هذه الكيفيّة. أمّا جمع بعض الأوراد مع بعضها الآخر في أيام الأربعين فجائز، وأمّا مضاعفة المدّة في أحدها فمرخّص فيها. ويلزم في جميع هذه الأوراد الأربعينية الخلوة والتعطير واجتناب البُقول ذات الرائحة الكريهة، والإفتتاح والاختتام بهذه الصلوات:

اللهُمَّ صَلِّ عَلَى الْمُصْطَفَى مُحَمَّدٍ وَالْمُرْتَضَى عَلِيٍّ وَالبَتُولِ فَاطِمَةَ والسِّبْطَيْنِ الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ وَصَلِّ عَلَى زَيْنِ العِبَادِ عَلِيٍّ وَالبَاقِرِ مُحَمَّدٍ وَالصَّادِقِ جَعْفَرٍ وَالكَاظِمِ مُوسَى وَالرِّضَا عَلِيٍّ وَالتَّقِيِّ مُحَمَّدٍ وَالنَّقِيِّ عَلِيٍّ وَالزَّكِيِّ العَسْكَرِيِّ الحَسَنِ وَصَلِّ عَلَى المَهْدِيِّ الهَادِي صَاحِبِ العَصْرِ وَالزَّمَانِ وَخَلِيفَةِ الرَّحْمنِ وَقَاطِعِ البُرْهَانِ وَسَيِّدِ الإِنْسِ وَالجَانِّ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ».

واعلم أنّ أصل عمل المراتب هي الأذكار، وأنّ الأوراد من أعوانها ومتمماتها، فيحظر ترك بعض منها.

وقد اشتغلتُ في هذه الأيام عند الفراغ بالمناجاة العلوية والسجّاديّة، وتبرّكتُ بالأسماء المباركة للآل الأطهار والصحابة الكبار للرسول المختار والأركان الأربعة للملائكة الكرام والأنبياء العظام ومشايخ الشريعة وأساتذة الطريقة، وسلّمت وترحّمت عليهم مفصّلاً في أكثر الأيام، وسألتُ من بواطنهم الهمّة[1].

تجربة سالك

قال العلامة السيد حسن الأبطحي: قبل عدّة سنين قال لي شابّ معلّم اسمه مصطفى: لو تنفق معي كلّ يوم ساعة من وقتك لمدّة سنة واحدة تعلّمني أصول العقائد والأعمال الخاصة بتزكية النفس.. لكان هذا العمل ولاشك مفيداً لي ولطائفة من تلاميذي الذين يسألونني في المدرسة عن مثل هذه المسائل، فيكون في ذلك إرشاد لهم وتربية.

أجبته إلى ما أراد، وشرحت له خلال دورة تعليميّة أصول العقائد والقضايا المتصلة بتزكية النفس.. وكانت المسألة التي عني بها أكثر من سواها كوسيلة إلى غايته، حتى حظي كما يذكر هو بلقاء إمام الزمان عليه السلام وبالارتباط به روحيّاً.. هي أنّه ابتدأ في أول خطوة بترك المحرمات وأداء الواجبات، والالتزام التام بالتقوى، كما تعهّد لمدة أربعين يوماً بأداء عمل واحد. ومثال على هذا الالتزام الأربعينيّ الفائق الأهميّة.. المواظبة على هذه الأعمال التي سنوردها، والفوز

(١) رسالة السير والسلوك ص ٢٦٧.

من ثم بالتخفّف من حجاب (حبّ الدنيا) الذي هو أشدّ الحجب ظلاماً في قلب الإنسان:

١ - صباح كل يوم كان يقرأ (دعاء التوسّل) لطلب حاجته. وما كانت حاجته إلّا أن يخرج حبّ الدنيا من قلبه. أمّا حاجاته الأخرى فقد خصّص لها أربعينيّات أخرى لاحقة.

٢ - لم يترك خلال هذه الأيام الأربعين نوافل الصلوات اليوميّة ولا نافة الليل. ولم يكن هدفه من ورائها شيئاً غير إزالة حجاب حبّ الدنيا وغشاوته من القلب.

٣ - قبل أن يخلد إلى النوم ليلاً كان يسجد سجدة يقرأ فيها اليونسيّة، (أي: لا إله إلّا أنت سبحانك أنّي كنت من الظالمين).. مع التوجّه إلى معناها: (إلهي.. أزل حبّ الدنيا من قلبي؛ فأنت المنزّه المطهّر لي، بعد أن ظلمت نفسي، وأوقعتها في هذه الظلمات). وكان يكرر هذا الذكر في سجوده لا أقلّ من مئة مرّة في كلّ ليلة. وقد دام على هذه الرياضة الشرعية مدّة أربعين يوماً. ولم يكن له من قصد سوى أن يخرج من قلبه حبّ الدنيا. وكان مآل أمره أن وفّق ولله الحمد بسهولة ويسر إلى النجاة من هذا المرض الروحيّ الخطير نجاة كاملة.

وقد كان يعمل أعماله مستلهماً الأحاديث والروايات. حتى إذا التزم عدّة أربعينيّات لرفع حجبه المختلفة كان لا يجترح أدنى عمل يخالف تعليمات النبيّ وأهل بيته الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين).

عندها قال صديقي العالم: أليس الالتزام مدة أربعين يوماً كاملة

بقراءة دعاء التوسّل وذكر (اليونسيّة) وأداء النوافل اليومية.. ممّا يخالف تعاليم الإسلام؟! أين ذَكَر أهل العصمة عليهم السلام مسألة الالتزام بهذه الأعمال مدة أربعين يوماً لا تنقص ولا تزيد؟

قلت له: لقد ثبت بالتجربة أنّ الإنسان إذا أراد أن يظفر بحاجته من الله (تبارك وتعالى).. فينبغي أن يركّز اهتمامه مدّة على طلب تلك الحاجة. ومعنى هذا أنّ المرء إذا جعل حاجة واحدة من حاجاته في مركز الانتباه، وراح يتوسّل إلى الله (تعالى) بكل مشاعره وقواه لقضاء هذه الحاجة.. فإنّه يوفّق على نحو أفضل - لبلوغ مراده.

وإذا كان ثمّة أستاذ يرسم له برنامجاً خاصاً في هذه الصّدد.. فإنّ الأستاذ هو من يعيّن له هذه المدة. وحين يكون الأستاذ مستمداً من الأحاديث والروايات. أو أنه يحدّد أولويّات الحاجات وفق اطلاعه على الحالة الزمانية لتلميذه.. فإنه ولا شك لا يكون مجانباً لتعليمات أهل بيت العصمة والطهر عليهم السلام، ولا يعدّ عمله هذا من نوع البدعة المحرّمة؛ إذ ربّما لا يكون أمامه من سبيل إلى التزكية غير هذا، ولأنّ هذه التعليمات التي ألقاها إلى تلميذه ليست ذات صفة عامة باقية تسرى على سواه في مختلف الأزمنة.

إنّ أحاديث جمّة تؤكّد أنّ للعدد (٤٠) أثراً كبيراً في الأعمال. فإذا أدّى شخص ما أعمالاً مستحبّة وفق خطّة أربعينيّة... فلا ريب عندئذ أنه لم يأتِ عملاً يخالف أحاديث الأئمة المعصومين عليهم السلام؛ ذلك أنّ هذه الأحاديث نفسها وهي مستند المدة الأربعينيّة.

تشخيص الأربعين بواسطة الأستاذ

ينبغي أن يكون تعيين برنامج الأربعين يوماً بواسطة الأستاذ لئلا تذهب جهود الإنسان هدراً.

تجربة:

كتب أحد المؤمنين رسالة، جاء فيها:

في أوان شبيبتي عُدت إلى الوعي بعد حالة من الغفلة، فخطر لي أنّي لو واظبت على تلاوة القرآن وأدمنت على ترديد الأدعية، مُعرِضاً عن ارتكاب المعاصي ملتزماً بأداء الفرائض والواجبات... لَغَدوتُ في عِداد أولياء الله.

وكان تنفيذ هذا الذي خطر لي هو دأبي ليلاً ونهاراً. بَيْد أنّي لمّا رجعت إلى القرآن الكريم وإلى الأحاديث أتبيّن فيها سمات أولياء الله ومخايلهم.. لم أجدني قد تحقّقت بشيء منها.

ووقع في حِسباني يوماً أنّ خِلطتي بالناس وما أتناوله من طعام مما يحول دون أن تؤثّر عباداتي أثرها المطلوب في تصعيد روحيتي إلى مراقي الكمال، فما كان مني إلا أن اختططت خطة جديدة في هذا السبيل. وهكذا مضيت في أيام صيف إلى منطقة جبلية - حيث

لا أعرف هناك من أحد - واعتكفت التماساً للتعبّد وترويض النفس. ولم يكن حظّي في هذه التجربة الروحية خيراً من سابقتها، فضقت مما بي ذَرعاً.. وانخرطت أبكي بين يَدي الله عزّوجلّ في ليلة من ليالي عُزلتي الجبلية تلك متسائلاً عمّا يحول بيني وبين الوصول إلى الهدف الذي أردت. ولمّا خلدتُ تلك الليلة إلى النوم.. وجدتني في عالم الرؤيا أعاني من أمراض جسدية كثيرة، ورأيت أمامي صيدلية مفتوحة فدخلت. وعندها قررت أن أمدّ يدي وأتناول من أنواع الأدوية، لعلّي أشفى من هذه الأمراض.

بيد أن طبيباً ماهراً كان هناك بادرني بالقول - وقد أدرك ما عزمت عليه -: لا تفعل! هذا شيء خطير، إن تُرِد الشفاء حقاً فعليك أن تراجع طبيباً مختصاً، ليشخص أمراضك، ثم يكتب لك وصفة فيها ما يناسبك من الدواء.

في تلك اللحظة خرجت من الحلم، وأفقت من النوم.. فأدركت الوهم الذي كنت قد وقعت فيه، وعلمت أنّ معالجة الأمراض الجسدية إذا كان لا يصح أن تؤخذ هذا المأخذ.. فما بالك إذن بمعالجة الأمراض الروحية التي هي أكثر دقّة وأشدّ حساسية؟! إنّه لا بدّ إذن من أستاذ في الطب الروحي حكيم مرشد شفيق.. يعينني في تشخيص أدوائي الروحية، وفي اختيار الدواء من بين الأدعية والنوافل والمستحبات، وفق منهج صالح دقيقة يحدّه لي ويُشرف عليه، لأظفر بالعلاج المؤمّل وأصل إلى الهدف، بأناة وبدون إتلاف للوقت.

وقد أدّاني هذا إلى الالتجاء إلى أحد الأولياء طالباً منه العون.

واستجاب الرجل - جزاه الله خيراً - لِما طلبت، فأخذ بيدي كما يفعل الأب الرفيق، فحدّد حالتي وحاجتي، ومضى بي يشقّ لي السبيل تلقاء عالم المعنويات[١].

(١) سير إلى الله ص ٩١.

وصايا وتوجيهات العرفاء

وصية العلاّمة المجلسي رحمه الله

ينقل أحد السالكين هذه الطريقة عن العارف الربّانيّ الملا محمَّد تقي المجلسي رضوان الله عليه يقول:

ما أخذته من مرحلة الرّياضة وبناء النفس يعود إلى الوقت الَّذي كُنْتُ مشغولاً فيه بمطعالة التفسير. ذات ليلة رأيت النَّبِيّ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وكُنْت بين النوم واليقظة. فقلت لنفسي: من المفيد أن أدقق في كمالات وأخلاق النَّبِيّ بشكلٍ جيد. كنت كُلَّمَا أدقق أكثر أرى نورانيته وعظمته تزداد، بحيث سطع نوره في كلّ مكان، عندها استيقظت (عدت إلى نفسي ووعيي) وجاءني إلهامٌ يقول: خُلق رسول الله القرآن ويجب أن أكثر الغوص فيه. كُنْتُ كُلَّمَا دقّقت في الآية أكثر انكشفت لي حقائقُ أكثر، حَتَّى دخلت على قلبي حقائقُ ومعارف جمَّة، وكان ذلك دفعة واحدة. كُلَّمَا دقّقت في آية أنال تلك الموهبة. طبعاً يصعب تصديق هذا الأمر لمن لم يوفق إليه، بل عادة يكون غير ممكن، لكن هدفي من هذا الكلام إرشاد الأخوة في الله.

حكم الرِّياضة وبناء النفس هو عبارةٌ عن: اجتناب الكلام الَّذي لا فائدة منه، بل وكلّ ما هو غير ذكر الله.

ترك الاستفادة من المأكولات والمشروبات اللذيذة، والألبسة والمنكوحات والمنازل الجميلة، والرَّاحة (الاكتفاء بمقدار الضرورة).

الابتعاد عن معاشرة غير أولياء الله.

تجنب الإكثار من النوم، وداوم على ذكر الله مع المراقبة الكاملة.

قام أولياء الله بتجربة المداومة على ذكر: «يا حيُّ يا قيوم، يا مَن لا إلهَ إلَّا أنت» وكان ذلك منتجاً؛ وقد جربت هذا الذكر أيضاً، لكن أكثر ما أردّد من الذكر هو ذكر: «يا الله»، مع إخراج غير الله من القلب والتوجه الكامل نحو الله المتعال.

طبعاً الشيء المهم جداً ذكر الله مع المراقبة الكاملة، ولا تصل سائر الأمور إلى أصل الذكر.

إذا استمَّر السالك على هذا الأمر لمدة أربعين يوماً فُتحت له أبواب من أنوار الحكمة والمعرفة والمحبة، وعندها يترقّى نحو مقام الفناء في الله والبقاء في الله»[1].

---

(١) تزكية النفس ص ١٧٠.

إرشادات الشيخ حسن زاده آملي حفظه الله

يقول حفظه الله تعالى:

«فلنأتِ بعدَّة أمور من مواعظ الله سبحانه ومواعظ رسوله وأهل بيته مِمَّا لا محيص عنها للسائر إلى الله تعالى فنقول:

١ - القرآن الكريم

صورة الإنسان الكامل الكتبية، أعني أنَّهُ صورة الحقيقة المحمدية ﷺ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩] ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] فبقدر ما قربت منه قربت من الإنسان الكامل، فانظر إلى حظك منه فإنَّ حقائق آياته درجات ذاتك ومدارج عروجك، ومن وصية إمام الثقلين أبي الحسنين علي عليه السلام لابنه محمد ابن الحنفية عليه السلام كما رواه صدوق الطائفة المحقة في الفقيه (الوافي: ج١٤، ص ٦٤):

«وعليك بتلاوة القرآن والعمل به، ولزوم فرائضه وشرائعه وحلاله وحرامه وأمره ونهيه، والتهجّد به وتلاوته في ليلك ونهارك، فإنَّهُ عهدٌ من الله تعالى إلى خلقه، فهو واجبٌ على كل مسلم أن ينظر في كل يوم في عهده ولو خمسين آية، واعلم أنَّ درجات الجَنَّة على عدد آيات القرآن فإذا كان يوم القيامة يُقال لقارئ القرآن: اقرأ وارق، فلا يكون في الجَنَّة بعد النَّبِيِّين والصدِّيقين أرفع درجة منه».

روى أنَّ مولانا الصَّادق عليه السلام كان يتلو القرآن في صلاته فغشي عليه فلمَّا أفاق سئل ما الَّذي أوجب ما انتهت حالك إليه؟ فقال عليه السلام ما معناه: «ما زلت أكرّر آيات القرآن حَتَّى بلغت إلى حال كأنَّني سمعتها مشافهة مِمَّنْ أنزلها على المكاشفة والعيان، فلم تقم القوَّة البشرية بمكاشفة الجلالة الإلهيَّة».

٢ - المحافظة على الطهارة:

عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله قال: قال الله تعالى: «مَنْ أحدث ولم يتوضّأ فقد جفاني، ومَنْ أحدث وتوضّأ ولم يصلِّ ركعتين فقد جفاني، ومَنْ صلَّى ركعتين ولم يدعني فقد جفاني، ومَنْ أحدث وتوضّأ وصلَّى ركعتين ودعاني فلم أجبه فيما يسأل من أمر دينه ودنياه فقد جفوته ولست بربٍّ جافٍ».

واعلم يا حبيبي أنَّ الوضوء نور، والدوام على الطهارة سببٌ لارتقائك إلى عالم القدس، وهذا الدستور العظيم مجرَّب عند أهله جداً فعليك بالمواظبة عليها ثمَّ عليك بعلوّ الهمَّة وكبر النفس فإذا صلَّيت الركعتين فلا تسأله تبارك وتعالى إلَّا ما لا يبيد ولا ينفد ولا يفنى، فلا تطلب منه إلَّا إيَّاه.

فإذا صلّيت فقل ساجداً: «اللّهُمَّ ارزقني حلاوة ذكرك ولقائك، والحضور عندك» ونحوها.

٣ - الجوع:

قال عزَّ من قائل: ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١] واعلم حبيبي أنّ فضول الطعام يميت القلب بلا كلام، ويفضي إلى جموح النفس وطغيانها، والجوع من أجلّ خصال المؤمن، ونِعْم ما قال يحيى بن معاذ: «لو تشفعت بملائكة سبع سماوات، وبمائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبيّ وبكلّ كتاب وحكمة ووليّ على أن تصالحك النفس في ترك الدُّنيا والدخول تحت الطّاعة لم تجبك، ولو تشفّعت إليها بالجوع لأجابتك وانقادت لك».

عن الإمام الصّادق عليه السلام: «إنّ البطن ليطغى من أكله، أقرب ما يكون العبد من ربّه عزّ وجلّ إذا خفّ بطنه، وأبغض ما يكون العبد إلى الله عزّ وجلّ إذا امتلأ بطنه».

٤ - قلة الكلام:

إيّاك وفضول الكلام فقد روى شيخ الطائفة الناجية في أماليه بإسناده عن عبد الله بن دينار عن أبي عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تكثر الكلام بغير ذكر الله فإنّ كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة القلب، إنّ أبعد النّاس من الله القلب القاسي».

٥ - محاسبة النفس:

وعليك بالمحاسبة.

عن أبي الحسن الماضي صلوات الله عليه - يعني الإمام الكاظم عليه السلام - قال: «ليس مِنَّا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فإنْ عَمِل حسناً استزاد الله، وإنْ عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه».

في وصية رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي ذرّ الغفاري رحمة الله عليه: «يا أبا ذرّ لا يكون الرجل من المتقين حَتَّى يحاسب نفسه أشدَّ من محاسبة الشريك شريكه؛ فيعلم من أين مطعمه، ومن أين مشربه، ومن أين ملبسه، أمن حلّ ذلك أم من حرام».

٦ - المراقبة:

والمراقبة لله تعالى، وهي العمدة في الباب، وهي مفتاح كل سعادة ومجلبة كل خير وهي خروج العبد عن حوله وقوَّته مراقباً لمواهب الحق ومتعرضاً لنفحات ألطافه ومعرضاً عَمَّا سواه، ومستغرقاً في بحر هواه ومشتاقاً إلى لقائه، وإليه قلبه يحنُّ، ولديه روحه يئنُّ، وبه يستعين عليه، ومنه يستعين إليه، حَتَّى يفتح الله له باب رحمة لا ممسك لها ويغلق عليه باب عذاب لا مفتّح له، بنور ساطعٌ من رحمة الله تعالى على النفس به يزول عنها في لحظة ما لا يزول بثلاثين سنةً بالمجاهدات والرّياضات، يبدّل الله سيئاتهم حسنات، للّذين أحسنوا الحسنى وزيادة والزّيادة حسنات ألطاف الحق، وذلك فضل الله يؤتيه ما يشاء.

فعليك بالمراقبة، وعليك بالمراقبة، وعليك بالمراقبة.

ففي الباب التاسع والثلاثين من «إرشاد القلوب» للديلمي رضوان الله عليه: قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢]، وقال النبيّ ﷺ لبعض أصحابه: «اعبد الله كأنَّكَ تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك» وهذا إشارة إلى المراقبة، لأنَّ المراقبة «علم العبد باطلاع الربِّ عليه في كلِّ حالاته» وملاحظة الإنسان لهذا الحال هو المراقبة، وأعظم مصالح العبد استحضاره مع عدد أنفاسه أنَّ الله تعالى عليه رقيب ومنه قريب، يعلم أفعاله ويرى حركاته ويسمع أقواله ويطّلع على أسراره وأنَّهُ ينقلب في قبضته وناصيته وقلبه بيده وأنَّهُ لا طاقة له على الستر عنه ولا على الخروج من سلطانه.

قال لقمان لابنه: «يا بني إذا أردت أن تعصي الله فاطلب مكاناً لا يراك فيه» إشارة منه لأنَّكَ لا تجد مكاناً لا يراك فيه فلا تعصه وقال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

وكان بعض العلماء يرفع شاباً على تلاميذه كلهم، فلاموه في ذلك فأعطى كل واحد منهم طيراً وقال: اذبحه في مكان لا يراك فيه أحد، فجاؤوا كلهم بطيورهم وقد ذبحوها، فجاء الشاب بطيره وهو غير مذبوح، فقال له: لِمَ لَمْ تذبحه؟ فقال: لقولك لا تذبحه إلّا في موضع لا يراك فيه أحد، ولا يكون مكان إلّا يراني الواحد الأحد الفرد الصمد، فقال له: أحسنت ثمَّ قال لهم: لهذا رفعته عليكم وميزته منكم.

ومن علامات المراقبة إيثار ما آثرالله، وتعظيم ما أعظم الله، وتصغير ما صغّر الله، فالرجاء يحثُّكَ على الطاعات والخوف يبعد عن

المعاصي، والمراقبة تؤدّي إلى طريق الحياة وتحمل على ملازمة الحقائق والمحاسبة على الدقائق، وأفضل الطاعات مراقبة الحقّ سبحانه وتعالى على دوام الأوقات.

ومن سعادة المرء أن يلزم نفسه المحاسبة والمراقبة وسياسية نفسه باطّلاع الله ومشاهدته لها، وأنّها لا تغيب عن نظره ولا تخرج عن عمله انتهى كلامه قدس سره.

قلت: ومن آداب المراقب أن يراقب أعمال الأوقات من الشهور والأيّام، بل الساعات، بل يواظب أن لا يهمل الأنات ويكون على الدوام متعرضاً لنفحات أنسه ونسائم قدسه كما قال عليه السلام: «إنّ لربّكم في أيّاك دهركم نفحات ألا فتعرّضوا لها ولا تعرضوا عنها».

وللعَلَم الآية الميرزا جواد آقا الملكي التبريزي قدس سره الشريف كتاب في: «مراقبات أعمال السنة» وهو من أحسن ما صُنع في هذا الأمر فعليك بالكتاب.

٧ - الأدب مع الله تعالى:

الأدب مع الله تعالى في كلّ حال، وقد كان بعض مشايخي وهو العالم المتنزّه المتألّه والحكيم العارف الموحّد البارع الآية السيّد محمد حسن القاضي الطباطبائي التبريزي الشهير بالإلٰهِيّ أعلى الله تعالى مقاماته ورفع درجاته وجزاه عَنّي خير جزاء المعلّمين كثيراً ما يوصيني فيما يوصي بالمراقبة لله تعالى، والأدب معه، ومحاسبة النفس لا سيّما بالأولى منها، ولا أنسى نفحات أنفاسه الشريفة وبركات فيوضاته المنيفة.

قال عيسى روح الله وكلمته عليه السلام: «لا تقولوا العلم في السمَّاء، مَنْ يصعد فيأتي به، ولا في تخوم الأرض، مَنْ ينزل فيأتي به، العلم مجعول في قلوبكم، تأدَّبوا بين يدي الله بآداب الرُّوحانيِّين، وتخلّقوا بأخلاق الصدِّيقين، يظهر في قلوبكم حَتَّى يعطيكم ويغمركم».

قال الإمام الجواد عليه السلام كما في الباب ٤٩ من إرشاد القلوب للديلمي في الأدب مع الله تعالى: «ما اجتمع رجلان إلّا كان أفضلهما عند الله آدبهما فقيل: يابن رسول الله قد عرفنا فضله عند النَّاس فما فضله عند الله؟ فقال بقراءة القرآن كما أنزل، ويروى حديثنا كما قُلنا، ويدعو الله مغرماً».

وفي ذلك الباب: قد روي أنَّ الله تعالى يقول في بعض كتبه: «عبدي أمن الجميل أن تناجيني وتلتفت يميناً وشمالاً ويكلِّمُكَ عبدٌ مثلك تلتفت إليه وتدعني؟ وترى من أدبك إذا كُنتُ تحدِّث أخاً لك لا تلتفت إلى غيره فتعطيه من الأدب ما لم تعطني فبئس العبد عبدٌ يكون كذلك».

وفيه أيضاً: روي أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وآله خرج إلى غنمٍ له وراعيها عريان يفلي ثيابه فلمَّا رآه مقبلاً لبسها، فقال النَّبيُّ صلى الله عليه وآله: امضِ فلا حاجة لنا في رعايتك، فقال: إنَا أهل بيت لا نستخدم من لا يتأدب مع الله ولا يستحي منه في خلوته».

والأدب مع الله بالاقتداء بآدابه وآداب نبيِّهُ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وهو العمل بطاعته، والحمد لله على السرَّاء والضرَّاء والصبر على البلاء، ولهذا قال أيوب: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] فقد تأدَّب هنا من وجهين:

أحدهما: أنَّهُ لم يقل أنَّكَ أمسستني بالضر.

والآخر: لم يَقُلْ ارحمني بل عرض تعريضاً فقال: وأنت أرحم الراحمين وإنَّما فعل ذلك حفظاً لمرتبة الصبر.

وكذلك قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠] ولم يقل إذا مرضتني حفظاً للأدب.

وقال أيوب عليه السلام في موضع آخر: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١]، أشار بذلك إلى الشَّيْطَان لأنَّهُ كَان يغري النَّاس فيؤذونه.

وكل ذلك تأدَّب منهم مع الله تعالى في مخاطبتهم.

قلت: وتأدب آدم وزوجه عليهما السلام بقولهما: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] وترك إبليس الأدب معه تعالى بقوله: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦].

٨ - العزلة عن الناس:

والعزلة، قال الإمام الصادق عليه السلام: «صاحب العزلة متحصّن بحصن الله تعالى ومتحرس بحراسته، فيا طوبى لمن تفرَّد به سراً وعلانية، وفي العزلة صيانة الجوارح وفراغ القلب وسلامة العيش وكسر سلاح الشَّيطان والمجانبة من كل سوء وراحة، وما من نبي ولا وصي إلاَّ واختار العزلة في زمانه إمَّا في ابتدائه وإمَّا في انتهائه».
نقلناه من مصباح الشريعة.

وفي كشكول العلاَّمة البهائي (ص ١٥٥ من طبع نجم الدولة) عن

سفيان الثوري قال: سمعت الصَّادق جعفر بن محمد يقول: «عزَّت السَّلامة حَتَّى لقد خفي مطلبها فإن تكن في شيء فيوشك أن تكون في الخمول، فإن لم توجد في الخمول فيوشك أن تكون في التخلي وليس كالخمول، وإن لم تكن في التخلي فيوشك أن تكون في الصمت وليس كالتخلي، وإن لم توجد في الصمت فيوشك أن يكون في كلام السلف الصالح، والسعيد من وجد في نفسه خلوة».

وتأمّل في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾ [مريم: ١٦-١٨]، والعزلة هي «الخروج عن مخالطة الخلق بالانزواء والانقطاع» وأصلها عزل الحواس بالخلوة عن التصرف في المحسوسات، فإنَّ كل آفة وفتنة وبلاء ابتلى الرُّوح بها دخلت فيه بروازن الحواس فبالخلوة وعزل الحواس ينقطع مدد النفس عن الدُّنيا والشَّيْطان وإعانة الهوى والشَّيطان.

٩ - التهجد:

والتهجّد، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٩-٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا

وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾﴾ [المزمل: ١-٨].

وروى الشيخ الصدوق قدس سره في باب معنى التوحيد والعدل من كتاب التوحيد (ص٨٤) عن سلمان الفارسي رحمه الله تعالى أنَّهُ أتاه رجلٌ فقال: يا أبا عبد الله إنّي لا أقوى على الصَّلاة باللَّيل، فقال: لا تعصِ الله بالنَّهار.

وفيه أيضاً: جاء رجلٌ إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إنّي قد حُرمت الصَّلاة باللَّيل، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «أنت رجلٌ قد قيَّدتك ذُنُوبك».

وروى الكليني - قده - في باب الذُّنُوب من كتاب الإيمان والكفر (ج ٢، ص ٢٩٠ من المُعرَّب) بإسناده عن ابن بكير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنَّ الرجل يذنب الذَّنب فيحرم صلاة اللَّيل وإنَّ العمل السيء أسرع في صاحبه من السكين في اللحم».

روى الشيخ الصدوق رضوان الله عليه في الأمالي بإسناده عن المفضل قال: سمعت مولاي الصَّادق عليه السلام يقول: «كان فيما ناجى الله عزّوجلّ به موسى بن عمران أن قال له: يا ابن عمران كذب مَن زعم أنَّهُ يُحبّني فإذا جنَّهُ اللَّيل نام عَنّي، أليس كل محبٌ يحبُ خلوة حبيبه؟ ها أنا ذا يا ابن عمران مطّلعٌ على أحبائي إذا جَنَّهُمْ اللَّيل حوّلت أبصارهم من قلوبهم، ومثَّلت عقوبتي بين أعينهم يخاطبوني عن المشاهدة ويكلِّمُوني عن الحضور، يا ابن عمران هب لي من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع، ومن عينيك (عينك - خ ل) الدموع في ظلم اللَّيل وادعني فإنَّكَ تجدني قريباً مجيباً».

١٠ - التفكّر:

والتفكّر، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وروى الكليني في الكافي (ج ص ٤٥ من المُعرَّب) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أفضل العبادة إدمان التفكّر في الله وفي قدرته».

وروي عن معمَّر بن خلاّد قال: سمعت الرِّضا عليه السلام يقول: «ليس العبادة كثرة الصَّلاة والصوم، إنَّما العبادة التفكُّر في أمر الله عزّ وجلّ».

وروي عن ربعي قال قال أبو عبد الله عليه السلام: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «إنَّ التفكُّر يدعو إلى البرّ والعمل به».

وروى العلاّمة البهائي في الحديث الثاني من كتابه الأربعين بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من عرف الله وعظّمه منه فاه من الكلام، وبطنه من الطعام، وعنى نفسه بالصيام والقيام، قالوا: بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله هؤلاء أولياء الله قال: إنَّ أولياء الله سكتوا فكان سكوتهم فكراً وتكلموا فكان كلامهم ذكراً، ونظروا فكان نظرهم عبرة، ونطقوا فكان نطقهم حكمة، ومشوا فكان مشيهم بين النَّاس بركة، لولا الآجال الَّتي قد كتبت عليهم لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم خوفاً من العذاب وشوقاً إلى الثواب».

١١ - ذكر الله تعالى:

وذكر الله تعالى في كلّ حال قلباً ولساناً قال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ

فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٥-٢٠٦].

وروي عن النبي ﷺ قال: «ارتعوا في رياض الجنَّة، فقالوا: وما رياض الجنَّة؟ فقال: الذكر غدوّاً ورواحاً فاذكروا، ومَنْ كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فإنَّ الله تعالى ينزل العبد حيث أنزل الله العبد من نفسه، ألا إنَّ خير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها عند ربكم في درجاتكم وخير ما طلعت عليه الشَّمس ذكر الله سبحانه وتعالى أخبر عن نفسه فقال: «أنا جليس من ذكرني»، وأي منزلة أرفع من منزلة جليس الله تعالى. (الباب الثالث عشر من إرشاد القلوب للديلمي).

وفي كتاب الدُّعاء من الكافي: فيما ناجى الله تعالى به موسى عليه السلام قال: «يا موسى لا تنسني على كلِّ حال فإن نسياني يميت القلب» (ج ٢، ص ٣٦١).

وفيه أيضاً قال الله عزّ وجلّ لعيسى عليه السلام: «يا عيسى اذكرني في نفسك أذكرك في نفسي واذكرني في ملَئِك (ملئي - خ ل) أذكرك في ملإ خير من ملإ الآدميين، يا عيسى ألن لي قلبك وأكثر ذكري في الخلوات، واعلم أنَّ سروري أن تبصبص إليَّ وكُنْ في ذلك حيّاً ولا تكن ميتاً». (ج٢، ص ٣٦٤).

وفي الباب الأول من توحيد الصدوق رحمة الله عليه: قال رسول الله ﷺ: «ما قلت ولا قال القائلون قبلي مثل لا إلَهَ إلاَّ الله».

وفيه أيضاً قال رسول الله ﷺ: «خير العبادة قول لا إلٰهَ إلاَّ الله».

وفيه أيضاً قال أبو عبد الله عليه السلام: «قول لا إلٰهَ إلاَّ الله ثمن الجَنَّة».

وفيه أيضاً قال رسول الله ﷺ: يقول الله جلَّ جلالَهُ: «لاَ إلٰهَ إلاَّ الله حصني فمَنْ دخله أمن من عذابي».

وفيه أيضاً عن زيد بن أرقم عن النَّبيِّ ﷺ، وكذا بإسناده عن محمد بن حمران، عن أبي عبد الله عليه السلام: «من قال لاَ إلٰهَ إلاَّ الله مخلصاً دخل الجَنَّة وإخلاصه أن يحجزه لاَ إلٰهَ إلاَّ الله عَمَّا حرَّمَ الله عزَّ وجلَّ».

والذكر هو «الخروج عن ذكر ما سوى الله بالنسيان عن غيره» وكلمة «لاَ إلٰهَ إلاَّ الله» ذكر معجون مركّب من النفي والإثبات، فبالنفي تزول المواد الفاسدة الَّتي يتولّد منها مرض القلب وقيود الرُّوح، وبإثبات «إلاَّ الله» تحصل صحة القلب وسلامته عن الرذائل من الأخلاق.

١٢ - الرياضة النفسية بالعلم والعمل:

والرِّياضة في طريقة العلم والعمل على النهج الَّذي قرَّره الشريعة المحمدية ﷺ فحسب، فدونها لا يوجب إلاَّ بعداً، وماذا بعد الحق إلاَّ الضلال لما قد دريت آنفاً ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

توصيات عامة:

إنَّ الحسن بن علي صلوات الله عليهما خطب النَّاس فقال: «أيُّها النَّاس أنا أخبركم عن أخٍ لي كان من أعظم النَّاس في عيني، وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدُّنيا في عينه، كان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد، ولا يكثر إذا وجد، كان خارجاً من سلطان فرجه فلا يستخفّ له عقله ولا رأيه، كان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يمدُّ يده إلاَّ على ثقة لمنفعة، كان لا يتشهّى ولا يتسخّط ولا يتبرّم، كان أكثر دهرِهِ صمّاتاً فإذا قال بذّ القائلين، كان لا يدخل في مراء، ولا يشارك في دعوى، ولا يدلي بحجّة حَتَّى يرى قاضياً، وكان لا يغفل عن إخوانه ولا يخص نفسه بشيءٍ دونهم، كان ضعيفاً مستضعفاً فإذا جاء الجدّ كان ليثاً عادياً، كان لا يلوم أحداً فيما يقع العذر في مثله حَتَّى يرى اعتذاراً، كان يفعل ما يقول ويفعل ما لا يقول، كان إذا ابتزّه أمران لا يدري أيُّهما أفضل نظر إلى أقربهما إلى الهوى فخالفه، كان لا يشكو وجعاً إلاَّ عند من يرجو عنده البرء، ولا يستشير (يسترشد - خ) إلاَّ من يرجو عنده النصيحة، كان لا يتبرّم ولا يستخّط ولا يتشكّى ولا يتشهّى ولا ينتقم ولا يغفل عن العدوّ، فعليكم بمثل هذه الأخلاق الكريمة إن أطقتموها، فإنْ لم تطيقوها كلّها فأخذ القليل خير من ترك الكثير، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله».

١٣ - العبودية:

كُنْ عالي الهمّة، على حدّ لا تعبدُ إلاَّ إيَّاهُ تعالى، ولا تكن في إعراضك عن متاع الدُّنيا وطيّباتها معاملاً ولا في عباداتك أجيراً،

وكُنْ كما نطق به الناطق بالصواب ميزان يوم الحساب، وفصل الخطاب أمير المؤمنين وسيِّد الوصيين علي عليه السلام: «ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنّتك بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك».

١٤ - التوبة:

التوبة، وهي لا تنفك عَمَّنْ استبصر وإلاَّ فليس بمستبصر، ولا أنسى عذوبة كلام سيِّدنا الأستاذ محمد حسن الإلٰهي المقدم ذكره قدس سره، ولطافة بيانه في التوبة حيث قال: التوبة الحقيقية أن تتوب من خيرك وشرك، وبعد تأمّل قليل قلت له: أمَّا التوبة من الشر فلا كلام فيها، وأمَّا التوبة من الخير فما مراد جنابك منها؟ فقال رضوان الله عليه: ما نحسبها خيراً من صلاتنا وصيامنا وقراءتنا القرآن ودراستنا وغيرها لو تأمّلنا فيها لرأيناها مخدجة غير كاملة: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤] فيجب على المستبصر أن يتوب من هذه الأعمال الناقصة، وأن يقصد الإتيان بها على النحو الكامل الَّذي يتقبّل الله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، فما حسبناه خيراً ليس بخير حقيقة، فطوبى لمن وفّق بالتوبة مِمَّا حسبه خيراً وعمل ما هو خير واقعاً.

والتوبة تذهب بدرن القلب، وتزيل رينه فإذا يستبصر التائب بدائه ودوائه ويخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، قال الإمام الباقر عليه السلام: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»، وإذا تخلّصت النفس من الرذائل وتنزّهت من أوساخ الذُنُوب فقد قبلت توبته.

عن أنس بن مالك قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الأحد في

شهر ذي القعدة فقال: يا أيُها النَّاس مَن كان منكم يريد التوبة؟ قلنا: كُلنا يريد التوبة يا رسول الله فقال ﷺ: «اغتسلوا وتوضأوا وصلُّوا أربع ركعات واقرأوا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] ثلاث مرات والمعوذتين مرَّة، ثمَّ استغفروا سبعين مرَّة ثمَّ اختموا بلا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله العلي العظيم ثمَّ قولوا: **يا عزيز يا غفار اغفر لي ذنوبي وذنوب جميع المؤمنين والمؤمنات فإنَّهُ لا يغفر الذُّنُوب إلاَّ أنت**».

ثمَّ قال ﷺ: «ما من عبدٍ من أمتي فعل هذا إلاَّ نُودي من السَّماء يا عبد الله استأنف العمل فإنَّكَ مقبول التوبة مغفور الذنب، وينادي ملكٌ من تحت العرش: أيُّها العبد بورك عليك وعلى أهلك وذريتك، وينادي منادٍ آخر: أيُها العبد ترضي خصباؤك يوم القيامة، وينادي ملكٌ آخر: أيُها العبد وتموت على الإيمان، ولا أسلب منك الدِّين، ويفسح في قبرك وينوّر فيه، وينادي منادٍ آخر: أيُها العبد يرضى أبواك وإنْ كانا ساخطين وغفر لأبويك ذلك ولذريّتك وأنت في سعةٍ من الرزق في الدُّنيا والآخرة، وينادي جبرائيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: أنا الَّذي آتيك مع ملك الموت عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يرفق بك ولا يخدشك أثر الموت إنَّما تخرج الرُّوح من جسدك سلاًّ (سلاماً - خ)».

قُلنا: يا رسول الله لو أنَّ عبداً يقول في غير الشهر؟

فقال ﷺ: «مثل ما وصفت وإنَّما علّمني جبرائيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هذه الكلمات أيّام الله ربِّي (أيّام أسريَّ بي - خ)[(١)].

(١) لاحظ السير إلى الله من ص ١٤٣ إلى ص ١٨١.

توجيهات الشيخ إبراهيم الأميني

يوصي بعض أهل المعرفة بالقيام بالأمور التالية لاجتياز هذا الطريق:

أولاً: يغتسل بقصد التوبة، وحين الغسل يتذكر ذنوبه ومعاصيه ويقول لله: إلهي! قصدتك تائباً من ذنوبي مصمماً على عدم العودة إليها، وكما غُسّل بدني بالماء فطهر قلبي ونفسي من الأخلاق السيئة أيضاً.

ثانياً: يسعى لرؤية نفسه في محضر الله وأن يذكر في كل حال فلا يغفل عنه أبداً.

ثالثاً: يمكنه أن يجهز نفسه لتلقي الإفاضات الإلهية من خلال تهذيب النفس وتصفية الباطن، فينتخب ساعة من الليل والنهار للتوجه والتفكر في نفسه. يبحث في أمور نفسه ويحاسبها ويدقق في صفاتها وأحوالها لعله يكون مورد غاية الله المتعال فيفيض عليه تمثلات وإفاضات لا تكون من سنخ الأمور المتعارفة.

رابعاً: يراعي السكوت ولا يتحدث إلا بمقدار الضرورة ويتجنب فضولات الكلام.

خامساً: يتجنب الامتلاء والتخمة في تناول الطعام.

سادساً: يبقى دائم الوضوء، فيتوضأ كلما بَطل وضوؤه.

قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: مَن أحدث ولم يتوضأ فقد جفاني ومَن أحدث وتوضأ وصلّى ركعتين ودعاني ولم أجبه فيما سألني من أمر دينه ودنياه فقد جفوته ولست برب جاف»(١).

أن يكون على وضوء عند النوم قال رسول الله ﷺ: «مَن بات على طهر فكأنما أحيا الليل»(٢).

سابعاً: أن يستقيظ وقت السحر فيتوضأ ويتخذ خلوة ويصلي صلاة الليل مع حضور القلب ويطيل قنوت الوتر، فيدعو لنفسه وللمؤمنين ويطلب لهم المغفرة ويكرر: أستغفر الله ربي وأتوب إليه» سبعين مرة، ويسعى لأداء صلاة الليل بتوجه وحضور قلب كامل، ثم يقرأ آية السخرة سبعين مرة مع حضور القلب وهي مفيدة ومجربة لتحصيل اليقين ونفي الشك ونفي الخواطر. وآية السخرة وهي:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤) ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦)﴾ [الأعراف: ٥٤-٥٦].

---

(١) وسائل الشيعة ج ١ ص ٢٦٨.
(٢) وسائل الشيعة ج ١ ص ٢٦٦.

ثامناً: أن يجعل ذكر «يا حي يا قيوم، يا مَن لا إله إلاّ أنت» ورداً يكرره على لسانه فيقرأ عند الفراغ مع حضور القلب.

تاسعاً: أن يسجد سجدة طويلة في الليل والنهار وأن يكرر خلالها ذكر: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] ما أمكنه ذلك.

عاشراً: أن يحدد ساعة في الليل والنهار ويكرر ذكر: «يا غني يا مغنى» كثيراً مع التوجه وحضور القلب.

أحد عشر: يقرأ مقداراً من القرآن كل يوم مع حضور القلب، ويتفكر ويتدبر في معاني الآيات.

إذا لم يكن لديه همة وقدرة أداء كل هذه الأمور دفعة واحدة في البداية، فليبدأ بشيء منها ثم يضيفها تدريجياً.

لابد من القيام بهذه الأمور المذكورة أربعين يوماً متوالياً، وأن يكرر طلب الشهود والمعرفة من الله تعالى، ويمكن أن لا يفتح له باب الغيب في هذه المدة لعدم توجه الله إليه، عليه أن ييأس بل يبدأ بأربعين يوماً ثانية مع تصميم أكبر وجد أكثر. إذا لم يوفق أيضاً يكرر ذلك أربعين ثالثة ورابعة و... ويستمر في ذلك ولو اقتضى الأمر منه سنوات حتى تشمله الألطاف الإلهية. عليه أن لا يتوانى أبداً عن العمل والجد والجهد فيطلب المدد من الله، وقد قيل: مَن جدّ وجد. يجب علينا تأدية المطلوب منها والباقي في عهد الحكيم الرؤوف، إذا أراد أعطى وإن لم يُرد لم يعطِ[1].

---

(١) تزكية النفس ص ١٦٥.

الفصل الثالث

إضاءات على الطريق

إضاءات على الطريق

عندما يبدأ الإنسان بالأربعينيات تنفتح أمامه أبواب العالم الغيبي وتنكشف لديه أسرار وعجائب وغرائب، فيرى رؤيا حق، ويسمع ما لم يكن يسمعه، ويرى ما لا يراه الآخرون.

فعن الإمام علي عليه السلام أنه قال في وصف السالك: «... مصباح ظلمات، كشّاف عشوات، مفتاح مبهمات...»(١).

وفي تلك الحال قد يخص الله تعالى عبده باسم خاص من الأسماء الحسنى فينفتح منه من العلم ما لا يُفتح بطريق آخر كما في الحديث القدسي: «وافتح عيني قلبه إلى جلالي... واعرفه السر الذي سترته عن خلقي»(٢).

قال آية الله السيد بحر العلوم: «وأمّا آثار السلوك وفيوضاته، فممّا يراه السالك عياناً، ومن جملة آثاره حصول الأنوار في القلب، وتبدأ في هيئة مصباح، ثمّ تستحيل شعلة، فكوكباً، فقمراً، فشمساً، ثم تأفل وتتجرّد عن اللون والشكل. وكثيراً ما تكون في هيئة برق

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٨٧.
(٢) كلمة الله: ص ٣٧٩.

يومض، وتكون أحياناً في هيئة مشكاة وقنديل، وهذان الإثنان يحصلان - أكثر ما يحصلان - على إثر الفعل والمعرفة وسوابق الذكر. ويشير إلى المرتبة الأولى قول الباقر عليه السلام الذي رواه ثقة الإسلام في الكافي، حيث قال عليه السلام في بيان أنواع القلوب:

«وَقَلْبٌ أَزْهَر أَجْرَدُ، فَقُلْتُ: وَمَا الأَزْهَرُ؟ فَقَالَ: فِيهِ كَهَيْئَةِ السِّرَاجِ... إلى أن قال: وَأَمَّا القَلْبُ الأَزْهَرُ فَقَلْبُ المُؤْمِنِ»[١].

وأشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى بعض هذه المراتب في قوله:

«قَدْ أَحْيَى قَلْبَهُ وَأَمَاتَ نَفْسَهُ، حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ، وَلَطُفَ غَلِيظُهُ، وَبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرُ البَرْقِ»[٢].

ومن جملة الآثار، ظهور صوت في القلب. وهو نشيد يشبه في بداية الأمر صدح طائر أو شدو قمرية. ثم يكون أشبه برنّة إلقاء أسطوانة صغيرة في طاس نحاسي، ثمّ تكون همهمة في الباطن تُدرك أشبه بصوت ذبابة تحطّ على خيط من الحرير.

ثم يخمد لسان القلب، ويوكل القلبُ الذِّكرَ إلى الروح[٣].

تجربة:

قال أحدهم: قبل أن أعيش حالة الصحوة من نوم الغفلة.. كنت ذهبت يوماً إلى أستاذي، فقرأ لي موضوعات، كان لها في داخلي أثر الإيقاظ، ومن حينها بدأت التطلّع إلى الكمالات والسير إلى الله.

---

(١) أصول الكافي: ج٢، ص ٤٢٢.
(٢) شرح النهج (للمولى فتح الله): ص ٣٥٦.
(٣) رسالة السير والسلوك ص ٢٥٩ و ٢٦٣.

وقال: استغرقني التفكير ليلة، بعد صلاتي المغرب والعشاء في مسائل كانت تلح علي صحيح أننا نختلف عن أصحاب النظرة المادية للحياة - من فلاسفة ماديين وسواهم - الذين لا يؤمنون بما وراء الطبيعة.. لكننا ربما لا نختلف عنهم في هذا من الوجهة العملية.

نحن مثلاً لا نعرف من أين جئنا، ولا ندري على نحوٍ كامل إلى أين سنصير.

ليست لنا بالله من صلة مباشرة، فلا نحن نكلمه، ولا نحن نتلقى منه إجابة.

الزيارات التي نزور بها الأئمة الأطهار عليهم السلام.. نؤديها في طرفة عين! ومهما سلمنا عليهم سلاماً.. لم نظفر بجواب السلام! بل إننا لا نتوقع جواباً!.

نحن لا معرفة لنا بإمام الزمان عليه السلام الذي جعله الله تعالى في بدنٍ ظاهر، لنتمكن من الكلام معه، ونأنس به، فهو حجة الله وواسطة ما بيننا وبين الله. بل إنّ عدة منا يكذّبون حتى قضية اللقاء به عليه السلام.

صارت الصلاة لنا عادة، فلا هي تقرّبنا إلى الله، ولا نحن نعلم ما معنى القرب من الله تبارك وتعالى.

لا تعرج بنا صلاتنا، ولا نعرف معنى العروج والصعود إلى الأعلى.

لا هي تنهانا عن الفحشاء والمنكر، ولا نحن ندرك معنى أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر.

ما رأينا الملائكة، ولا عرفنا علّة خلقهم.. مع أنهم خدم لمحبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

ما وجدنا أُنساً بالجن، وما لنا من إيمان كامل بوجودهم.

سمعنا باسم الشيطان، ولكننا ما فكرنا أبداً أن كيف يقدر أن يخدع بني آدم في لحظة؟.

وأهمّ من هذا كله.. أننا ما عرفنا أرواحنا، ولا استبانت لنا أسرار النوم والموت. وعبارة واحدة: نحن قابعون وراء حجاب المادية، ولا علم لنا بشيء!.

تلك الليلة.. أخذني فكر عميق في هذه المسائل: لم نحن كذلك؟!

كانت ليلة عسيرة بالقياس إلي.. اشتمل عليّ فيها موج من الأفكار والتساؤلات المصيرية عدة دقائق. ولو كانت قد طالت لعصفت بي ولوجدتني أخرج إلى البرية صارخاً، ولبقيت في البؤس والخسران.

بيد أني عُدت في وقتها إلى نفسي. وفكّرت: أنّي أؤمن بالله. وكنت أقمت لتلاميذي عشرات الأدلة على إثبات وجوده. وقد كنت بلغت درجة من العلم عن طريق الأدلة والبراهين. وإنّي لأحبّ الله، أحبه أكثر من أي أحد. إنه طالما عاملني بصفته «الرحمٰن» كما عاملني بصفته «الرحيم»، وأنا دائم التقلب في ألطافه ونعمائه.

وإذن.. فلِم لا أطلب منه أن يكشف عن قلبي الحجب المعنوية؟ ألم يقل جلّ وعلا: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزُّمَر: ٣٦].

أوليس هو القائل: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

جلست بين يديه، والحب غالب في القلب. وإذ كنت جالساً مستقبلاً القبلة، مقبلاً عليه تعالى شأنه. غفلت فجأة عن كل ما هو مادي، وتوجهت إليه وحده، فوجدتني بكل وجودي أمام الله، حتى ذُهِلت عن نفسي.

ما حضرني عندها من الأذكار التي أحفظها إلا اليونسية - أي: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

ورحت أردد هذه العبارة، متدبراً في معناها. وربما كنت قد كررتها وأنا ساجد أكثر من مئة مرة.. حتى حقق إلهي الوفيّ، إلهي الحبيب، إلهي العزيز.. وعده الذي ذكره في آخر هذه الآية حيث قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨] يعني: كما أنجينا يونس من الغم لما قال هذه العبارة.. فكذلك ننجي المؤمنين من الغم.

وهكذا وفى لي إلهي، فأنجاني - كما أنجى يونس - من جميع الحجب الظلمانيّة، ومن جميع العذابات، وفتح لي عين قلبي وأذني ولساني.. وشرح لي صدري. الحمد لله، وشكراً لله، و«إلهي.. كيف أشكرك وشكري منك نعمة أخرى تقتضي شكراً».

عندها أحسست كأنّي مثل من أفاق من سبات عميق، وتنبّه إلى ما فرّط فيه، وما لحقه من خُسر. فقررت من فوري أن أتدارك ما فات، لكني لا أدري كيف.

قال:

بعد هذه الجلسة غدا في وسعي أن أرى ربي الرحمٰن الرحيم بعين قلبي، فأكلمه وأناجيه، وأن أرتبط به، فأسمع كلامه. وما زلت

كذلك في حالة وصال فلا أخلو من ألطافه غير المتناهية. ولم لا يكون كذلك؟

أولم يكن قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤]. وقال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

أوليس هو القائل: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠].

والقائل: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٤].

والقائل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس: ٧-٨].

وإذن.. فلم يكون مع كل شيء، ثم لا يكون معي؟!

أيكون على كل شيء قديراً، ولا يكون قادراً على إسداء ما أسدي إليّ؟!

أيمكن أن يكلم كل نفس فيلهمها فجورها وتقواها.. ولا يكلمني ولا يهلمني شيئاً؟![1]

تحذير مهم:

عندما تبدأ الكشوفات الغيبية لدى الإنسان فإن الشيطان يتدخل بإلقاء الشبهات والفتن كي يضلّ الإنسان عن الطريق، فإن أكثر الذين تاهوا وضاعوا في الطريق بسبب وسوسة الشيطان الرجيم. لذلك ينبغي الحذر من ذلك بالعمل على تحصين النفس. من خلال الأدعية والأذكار وللوقوف على ذلك راجع كتابنا «الحصن الحصين».

---

(١) سير إلى الله ص ٦٣.

الخاتمة

أسئلة وأجوبة:

وهي موجهة للعارف السيد عبد الكريم الكشميري رحمه الله :

سؤال: هل إجتناب السالك لتناول ما هو حيواني إلى مدّة نافع له؟

الجواب: إن اللازم للسالك المبتدىء هو ترك أنواع الشهوات وكل شيء له جنبة الصفات البهيمية، وهو نافع وضروري لتربية الروح، بشرط أن لا يؤدي ذلك إلى ضعف المزاج.

سؤال: متى تظهر آثار الأذكار التي تستغرق وقتاً طويلاً؟

جواب: تظهر آثار الأذكار التي مثل «يا حي يا قيّوم» في اليوم الثالث والرابع حيث ترتفع الحجب وتفتح عين البصيرة التي لا حدّ لرؤيتها ولا حصر.

سؤال: ما هو الطريق الذي يجب أن يسلكه الراغبون في طي الطريق إلى الله؟

جواب: الصيام بقدر ما يستطاع، العزلة عن الناس، قلّة النوم،

عدم ترك صلاة الليل، الإتيان بذكر اليونسية أربعمائة مرّة في حال السجود، وطبعاً فإنّ الكاملين يأتون بها ثلاثة آلاف مرة. هذا هو الطريق ولا يوجد طريق سواه.

سؤال: ما هي الأدعية والأذكار التي انتفعتم منها أكثر من غيرها؟

جواب: جميع الأذكار والأدعية، ولكن استفادتنا أكثر كان من دعاء «يستشير»، وفي الأذكار من ذكر «يا حي يا قيّوم».

سؤال: ما هي آثار ذكر اليونسية؟

جواب: الإدمان على ذكر اليونسية يثمر الاتصال بالأرواح وفتح العين البرزخيّة.

سؤال: هل لزيارة عاشوراء ختم معيّن؟

جواب: قراءتها أربعين يوماً جيد لقضاء الحوائج، ولكن زيارة عاشوراء ثقيلة وفيها عصا التأديب في بعض الحوائج.

سؤال: كم هو عدد الاستغفار للمبتدئين في طريق السلوك؟

جواب: ألف وواحد.

سؤال: متى تظهر آثار الأذكار؟

جواب: يجب أن يمضي عليها سنة كاملة حتى يتبين أثرها.

سؤال: هل للأذكار القلبية عدد معيّن؟

جواب: ليس لها عدد معيّن، ولكن الأفضل أن تؤتى غالباً بحسب الساعات الزمانية.

سؤال: لو تفضلتم بأنموذج منها للاستفادة؟

جواب: مثل ذكر «هو الحي»، فهو حسن لتقوية الروح والقلب لمدة نصف ساعة في مكان خال مع التوجه.

سؤال: هل تذهب آثار الأذكار بعد إتمام وقتها، مثلاً بعد الأربعين؟

جواب: تذهب بعمل المنافي، وأحياناً بعمل المكروه.

سؤال: أولئك الذين ليس لهم ماض حسن ويريدون الآن أن يكونوا صالحين، فماذا يعملون؟

جواب: عليهم بالاستغفار وذكر اليونسية والعزم على عدم العود للصفات والأعمال الذميمة الماضية.

سؤال: هل تنفع الأوراد الأشخاص الذين تجاوزت أعمارهم الأربعين عاماً؟

جواب: نعم، فالطريق مفتوح للجميع، وذكر اليونسية نافع لفتح الطريق والتهيؤ والاستعداد.

سؤال: بعض الذاكرين الذين يذكرون في الليل يشاهدون في عالم الرؤيا مجالس العزاء والبكاء على الأئمة عليهم السلام، فعلى ماذا يدل هذا؟

جواب: دليل على القرب منهم والارتباط معهم عليهم السلام.

سؤال: يواظب البعض على أوراد وأذكار مختلفة ولا يصلون إلى نتيجة، فما هو علّة ذلك؟

جواب: ربما تتعارض الأوراد المختلفة التي يُؤتى بها من أجل موضوعات وأهداف متنوعة (كالأدوية المختلفة التي يتعاطاها المريض لعلاج أمراض متنوعة).

الكتاب الثالث

القوانين الإلهية

بحث ديني علمي حول القوانين المعنوية
التي تحكم مصير الإنسان في السعادة والشقاء

أول الكلام

عندما يريد الإنسان الدخول إلى بلد ما، فلا بد أن يتعرف على القوانين التي تحكمه، لئلا يخالفها ويتعرض للغرامة أو السجن، فالقانون لا يحمي المغفلين.

وقد جاء الإنسان إلى عالم تحكمه قوانين مادية وغيبية، فلا بد أن يتعرف عليها لئلا يقع في مخالفتها، وبالأخص إذا عرفنا أن تلك القوانين لا تقبل الرشاوى ولا الوساطة...

وهذا الكتاب هو تعريف بتلك القوانين وخصوصاً منها القوانين الغيبية.

المقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

الإنسان والقانون

تفوّق الإنسان - خصوصاً في هذا العصر - على غيره من الكائنات من خلال اكتشافه لقوانين الكون، فباكتشافه لقانون الجاذبية إستطاع أن يتحداها، ويطير في الأجواء، ويصعد إلى الفضاء، ويصل إلى القمر، وهكذا الحال في تعامله مع القوانين المادية الأخرى كقانون الطفو على الماء..

إلا أن هذا الإنسان ما زال يجهل الكثير من القوانين التي تمسّ حياته الشخصية مباشرة، ولذلك ما زال يعيش الخوف والألم والقلق والبلاء...

«إنَّ كون الإنسان مهيمناً على الطبيعة جعله يشعر بأنه جزء منفصل عنها، والحال أنه ما زال جزءً منها، فإن أحسن استخدامها والتعامل معها عاش بانسجام وتكامل.

تصور نفسك وأنت تصل إلى دارك تواً فترى الجميع منهمكين بتنظيف الدار: هذا يكنس وذاك يغسل الأواني وآخر يزيل الأتربة والغبار عن أثاث البيت. ماذا يحدث لو أنك دخلت الدار حاملاً سّلة المهملات وأدخلت وعاء مليء بالنفايات معك إلى الغرفة؟

سوف تواجه بالطبع انعكاساً سلبياً من جميع أعضاء تلك الأسرة. يصرخون في وجهك: ما هذا التصرف؟ ألم تر أننا نبذل كل هذه الجهود لتنظيف الدار؟ لماذا تحاول أن تعبث فيه؟ و. . .

أما إذا دخلت الدار ورأيت الوضع على تلك الحال فحملت بدورك خرقة وبدأت بتنظيف مكان ما، جنباً إلى جنب مع بقية أعضاء الأسرة، سوف تلقى بالطبع الشكر والامتنان منهم.

في الحالة الأولى سلكت خلافاً لقانون الأسرة وهو قانون النظافة والتطهير، فواجهت تباعاً انعكاسات سلبية. أما في الحالة الثانية فإنك لاقيت إنعكاسات إيجابية إثر تطبيقك لقانون الأسرة.

لم تحظ في الحالة الأولى بإسناد أي من أعضاء أسرتك بينما تشعر في الحالة الثانية باستعداد جميع أعضاء الأسرة لإسنادك.

وهكذا الطبيعة، إلمامنا بقوانينها واحترامنا وانصياعنا لها يُكسبنا دون شك إسنادها، فإن خالفنا تلك القوانين، فإننا سوف نواجه بالتأكيد مشاكل وصعاب جادة.

تصور نهر ما، يتجه في مسيرته من الشمال إلى الجنوب مثلاً وهنالك شخصان يعتزمان السباحة في مياهه، ولكن أحدهما يتحرك باتجاه الماء (من الشمال نحو الجنوب) والآخر خلافاً لاتجاه الماء (من الجنوب إلى الشمال). تصور الشخص الثاني كم يبذل من

الجهد، يتخبط في الماء بيديه ورجليه؟ كم يستهلك من الطاقة، يصاب بالتعب ومع ذلك لا يتقدم إلى الأمام إلا مسافة قصيرة جداً؟

كل ذلك لأنه خالف قانون «اتجاه الماء» فيتعرض لصدمات الماء الذي ينهال على وجهه بصفعات أمواجه ممتصاً طاقته، سوف يصاب مثل هذا الشخص باليأس، والتعب والاكتئاب بعد فترة وجيزة، وحتى قد يعود إلى جرف الماء ويكف عن السعي لفترة من الزمن.

والآن تصور الشخص الآخر المساير لاتجاه الماء في حركته، إنه يتقدم إلى الأمام مع الماء ببذل قليل من الجهد في تحريك يديه وساقيه، إنه يتقدم إلى الأمام مع مجمل المجموعة باعتباره جزءاً منها، يرافقها، إنه يدخر طاقة زائدة، ومع ذلك يحرز تقدماً ملحوظاً أيضاً، سوف يشعر بالتحمس والابتهاج، إنه مسرور لتقدمه نحو هدفه بمثل هذه السرعة، أي في الحقيقة مسرور لحظوته بإسناد الطبيعة له وأخذها بيده لتحقيق هدفه»[1].

إن من عرف تلك القوانين إستطاع أن يفهم الكثير من أسرار الحياة الشخصية، كأسرار الموت والمرض والبلاء. . وأن يتصرف بطريقة مثالية لئلا يخالفها فيقع في المحذور.

قال د. مجدلاني: «لقد وُجد النظام لتسهيل سير الأمور، ولتيسير تعامل الإنسان مع الأشياء من حوله، وفي حال خرج الإنسان عن النظام سواء كان النظام صحياً، شعورياً، أو فكرياً تظهر النتيجة مرضاً

---

(١) كل شيء ممكن مع الله ص ١٠.

أو ألماً، مرضاً جسدياً، نفسياً، أو فكرياً... وذلك بحسب إبتعاد الإنسان عن النظام»[1].

ما هو القانون؟

القوانين الإلهية هي الأنظمة التي أوجدها الله تعالى في الحياة، ويُعبّر عنها بـ«السُنن الإلهية» كما في قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٧].

وأيضاً: «الموازين الكونية» قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧ - ٩].

والقوانين الإلهية سارية في مختلف مجالات الحياة فهي:

١ - قوانين كونية، كقانون الجاذبية، والإحتراق، والحرارة والبرودة، و«لكل فعل رد فعل»، وهذه القوانين تجري على كل الناس، سواء كانوا مؤمنين أم كافرين، وسواء آمنوا بوجودها أم لم يؤمنوا، فمثلاً: قانون الجاذبية يجري على الإنسان حتى ولو رفض الأذعان بوجوده وتحداه، فإذا أراد الطيران في السماء وقع على الأرض وتحطم ومات.

وقانون الصحة يجري على كل الناس، فمن تناول السم مات سواء كان مؤمناً أم كافراً...

---

(١) محاضرات في الايزوتريك: ج٢، ص٧٧.

نعم قد تتعطل القوانين الكونية بتدخل الإرادة الإلهية كما حصل مع إبراهيم عليه السلام حيث تحولت النار إلى برد وسلام.

٢ - **قوانين اجتماعية**، وهي التي تحكم حياة الناس في مختلف المجالات كقانون الأخلاق، والعدالة، والاقتصاد، والسياسية، والحرب والسلم.

٣ - **قوانين دينية**، وهي التشريعات التي تبيّن الحلال والحرام في كافة الأمور الفردية والاجتماعية... والهدف منها تقويم حياة الناس بما يعود لفائدتهم في الدنيا والآخرة.

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «... إن حرام الله وحلاله لم يكن على أساس الرغبة والزهد... ولكنه خلق الخلق فعلم ما تقوم به أبدانهم وما يصلحهم، فأحلّه لهم وأباحه تفضلاً منه عليهم لمصلحتهم»[1].

ومن تلك التشريعات التي تفيد البشرية:

١ - **قانون القصاص والحدود والديات**، والهدف منها القضاء على الجريمة والفساد والظلم، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

٢ - **قانون الكفارات**، قال العالم السيد عبد الأعلى السيزواري رحمه الله: «لا ريب في إن جعل القانون بلا جعل مجازاة على مخالفته لغو فيذهب القانون هدراً، فجعله مع جعل المجازاة على المخالفة متلازمان - كتلازم المبدأ والمعاد - في مقام التشريع.

---

(١) وسائل الشيعة كتاب «الأطعمة والأشربة».

والقوانين المجعولة أقسام:

الأول: ما يتدارك مخالفتها بالجريمة المالية أو ترويض النفس بالصوم، والكفارات والديات من هذا القبيل.

الثاني: ما يتدارك مخالفتها.

الثالث: ما لا يتدارك مخالفتها إلا عند العرض على الله عزّ وجلّ، وخلق النار إنما هو لأجل هذه الجهة.

الرابع: ما يتدارك مخالفتها بالالآم والمحن الدنيوية، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى: ٣٠] والآيات المباركة والسنن المعصومية في بيان هذا الموضوع كثيرة.

الخامس: ما يتدارك مخالفتها بالإستغفار.

السادس: ما يتعلق بخطرات القلوب التي هي سيئات المقربين ويختص تكفيرها بمباشرة رب العالمين الواقف على الضمائر والعالم بالسرائر»(١).

٤ - **قوانين غيبية معنوية**، وهي القوانين التي جعلها الله تعالى لتنظيم حياة الناس مادياً ومعنوياً، وهي الأساس في إيصال الناس إلى كمالهم الدنيوي والأخروي.

وفي الواقع، فإن التعرف على هذه القوانين أهم من التعرف على غيرها، وذلك لأن القوانين الكونية والصحية معروفة ومُسّلم بها لدى كل الناس، ولكن هذه القوانين غير معروفة لدى كل الناس، كما أن الكثير منهم يشكّك بوجودها، والحال أنها أساس الحياة السعيدة،

---

(١) مهذب الأحكام: ج٢٢، ص٣٨١.

وما الحروب،والأمراض، والمصائب، والفقر، والكوارث إلا بسبب جهل الناس بهذه القوانين، ورفضهم الإنصياع لها.

وهدفنا في هذا الكتاب أن يصل القارىء العزيز إلى قناعة بأن كل ما يحصل في حياته من مصائب هو مخالفته للقوانين الإلهية، وأنه إن أراد السعادة فلا بد له من الإنصياع للقوانين الإلهية.

وسنستعرض في هذا الكتاب أهم القوانين التي لها دخالة في حياة الإنسان مباشرة.

الفصل الأول

كيف نعرف القوانين الإلهية؟

التعرف على القوانين

إنَّ التعرف على القوانين المادية يتم من خلال الإختبارات العلمية كما هو واضح، وأما التعرف على القوانين الغيبية فلا يُعرف إلا من خلال الرجوع إلى النصوص الإلهية الموجودة في الكتاب المقدس وهو «القرآن الكريم» فقد وضع الله تعالى ما يحتاجه الناس في حياتهم، ومسيرهم ومصيرهم.

كما نجد ذلك في كلمات الأنبياء والأئمة عليهم السلام، فقد بيّنوا الكثير من القوانين للناس كما سيأتي إنشاء الله تعالى، ويُعبَّر عن القوانين في القرآن الكريم بـ«السنن».

قال آية الله السيد محمد الشيرازي رحمه الله:

«السنن الإلهية هي القضايا الجامعة التي جعلها الله عزّ وجلّ مطلقة أو مقيّدة في أمور متشابهة، كما «يقال إن السنّة الإلهية في الطير أنه يبيض، والبيض ينتج عنه الطير، وإنّ شجرة التفاح لا بد أن تمنحنا ثمر التفاح لا الموز».

أما عن تسمية هذه القواعد التي نستنبطها من حركة الأحداث بالسنن الإلهية لأنها تعبّر عن إرادة الله في خلقه وطريقته في تصريف الأمور في هذه الدنيا.

أما كيف ستصبح هذه السُنن في الآخرة وماذا سيكون مصيرها بعد الحياة الدنيا أو في سائر العوالم، هل ستستمر أم ستتوقف؟ لا علم لنا بذلك.

والقرآن الكريم تارة ينسب السُنّة إلى الله عزّوجلّ، وطوراً ينسبها إلى الإنسان، وقد ورد ذكر السُنّة في القرآن بألفاظ متعددة، فتارة يقول تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٣٨]، وطوراً: «سُنّتنا».

ومرة يأتي الخطاب بصيغة: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ [الإسراء: ٧٧].

ومرة أخرى يأتي الخطاب على صيغة: ﴿سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٦] للدلالة على أن الله عزّوجلّ لا كيفية خاصة له في الاجتماعات، ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].

ومعنى الكلمتين أن سنة الله في النار هي الحرارة فلا تتبدّل إلى البرودة، كما وأن الحرارة لا تتحول من النار إلى الماء، وهكذا.

هذا بالنسبة إلى جانب الفاعل، وكذلك بالنسبة إلى جانب القابل، ولأنّ السنة لا بدّ أن تكون بين فاعلٍ وقابلٍ، سواء كان القابل إنساناً، أو نباتاً، أو حيواناً، أو جماداً، أو نحو ذلك.

ويمكن أن تكون السُنّة سنّة أولية، أو تكون ثانوية، وقد تكون ثالثية، ورابعية، إلى العاشرية، أو أكثر من ذلك، أي إنها تكون معطياتها حسب تعامل الإنسان معها، كما نشاهد أن سنة الله عزّوجلّ هي الانتصار بالنسبة إلى من أعد بمختلف الأسباب.

فالنصر هو حليف الإنسان في نهاية المطاف، كما وأن الإنسان

قد ينهزم في نهاية سلسلة من الأحداث، سواء كان هذا الانتصار أو الإنهزام مادياً أو معنوياً، ولا فرق بينها سواء كان المنتصر أو المنهزم من أصحاب الحق أو أصحاب الباطل.

وقد قال عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، فمن المحتمل أن يكون أهل الحق أذلة لعدم توفر الأسباب؛ إما لأنهم لم يهيئوا الأسباب بالشكل المطلوب، أو أنهم أخذوا بالأسباب لكنهم لم يكونوا ممن تحدث عنهم القرآن الكريم: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

والظاهر أن سنن الله سبحانه وتعالى على ثلاثة أقسام - بغض النظر عن الفاعل والقابل -: فهناك سننٌ في الدنيا، وسننٌ في الآخرة، وهناك سننٌ مشتركة في الدنيا والآخرة.

فالسنن الأخروية؛ هي الثواب والعقاب لقاء ما يقوله الإنسان من الأقوال، وما يرتكبه من الأعمال، وما ينتجه من الأفكار؛ لأن الأفكار أيضاً في معرض الحلال والحرام، ثم الثواب والعقاب، وليس المراد من العقاب جهنم، بل إنحطاط الدرجات، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، فلا يُقال: لا حساب على النية كما في الروايات.

أما القسم الثالث، وهي السنن المشتركة الدنيوية والأخروية، فقد ورد ذكرها في الكتاب والسنة، منها «الراحمون يرحمهم الرحمن يوم

القيامة ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء»(١)، و«المؤمن تحت ظل صدقته يوم القيامة»(٢)، ومثل هذه السنن كثيرة.

والسنن الدنيوية؛ وهي ما نشاهدها بكثرة في كل خطوة من حياتنا، ولعل هناك المليارات من هذه السنن المحيطة بنا أو بغيرنا ونحن لا نشعر بها، فإن الاكتشاف، والاختراع، وما أشبه ذلك من هذه الألفاظ، إنما هي اكتشاف لسنة من سنن الله عزّوجلّ في بُعد من أبعاد الحياة.

وتنقسم السنن الدنيوية إلى: سنن في الاقتصاد، والاجتماع، والتربية، والعزة، والذلّة. ولو عددنا معطيات الحياة على كثرتها لوجدنا وراء كل واحدة منها سنة، وقد تكون هذه السنة مرتبطة بالفرد، وقد تكون مرتبطة بالإجتماع، وقد تكون مرتبطة بكليهما، وعلى أساس ارتباط هذه السنن، نستطيع أن نقسمها إلى قسمين اثنين: قسم يرتبط بالمجتمع، وقسمٌ يرتبط بالفرد، فالقسم المرتبط بالفرد لا يدخل في موضوعنا.

من السنن التي نجدها في التاريخ البشري منذ خلق الله آدم عليه السلام، بل ومنذ خلق الجن أيضاً، أنّ الله عزّوجلّ بعث لكل مجموعة من الناس سواء كانوا في قرية، أو مدينة، أو كانوا أمة (بالمعنى اللغوي -) أو غير ذلك، نبياً أو نذيراً؛ ليهديهم إلى الصراط المستقيم، وهذه الهداية المطلقة والسنة الدائمة هي التي أشار إليها

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٧، ص١٦٩، ب٧، ح٤.
(٢) وسائل الشيعة: ج٩، ص٣٦٩، ب١، ح١٢٢٥٨.

القرآن الحكيم ابتداءً من أول الخليقة وإنتهاءً بيوم القيامة، فقد قال عزّوجلّ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ [يونس: ٤٧]، وقال أيضاً: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤][1].

---

(١) فلسفة التاريخ ص ٢٧٩ - ٢٨٥.

خصائص وصفات القوانين الإلهية

كما أن للقوانين المادية خصائص وصفات معينة، فإن للقوانين الغيبية خصائص كذلك، ومنها:

١ - أنها ثابتة لا تتغير.

٢ - أنها لا تقبل التغيير والتبديل.

٣ - لا مجال للرشوة فيها.

٤ - تجري على كل الناس سواء كانوا مؤمنين أم كافرين، نعم في بعض الأحيان قد يعطّل الله تعالى آثارها كعقوبة الناسي والساهي، فقد ورد في الحديث: «رُفع القلم عن ثلاثة: عن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يفيق، وعن النائم حتى يستيقظ»(١).

٥ - إن رفع آثار القوانين قد يتم من خلال الدعاء والاستغفار والتوبة. والعمل الصالح، فهذه قوانين أقوى من تلك القوانين، فهي قوانين تعطّل قوانين. فقانون الحسنات يعطل قانون السيئات.

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «إن الإنسان إذا تاب توبةً نصوحاً

---

(١) القانون: ص٤٣.

يكون محبوباً عند الله ويستر ذنوبه في الدنيا والآخرة وكل ذنب أذنبه، ويوحي إلى ملكيه بالنسيان، فلا يبقى أثر للذنب عليه حتى جوارحه فيلقى الله حين يلقاه وليس عليه شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب»(١).

وبالتوبة تتبدل حياة الإنسان في المستقبل إلى أحسن الأحوال، قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: ٣].

وقال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠ - ١٢].

نُقل - في تفسير سورة نوح - حديث لطيف في هذا المجال، فقد ورد أن رجلاً جاء إلى علي عليه السلام وقال له: «يا أمير المؤمنين، أذنبتُ كثيراً من الذنوب وسودت بها صحيفة أعمالي فادع ليغفر لي ربي، فقال عليه السلام: «عليك بالاستغفار!».

وجاءه رجلٌ آخر وقال: «أصاب مزارعي الجفاف بسبب قلّة المياه فادعُ الله لينزل الغيث، فقال عليه السلام: عليك بالاستغفار!».

وجاءه رابعٌ وقال: «لي ثروة طائلة ولكن لا ذرية لي فادع الله سبحانه وتعالى ليهب لي ذرية، فقال له: عليك بالاستغفار!».

(١) الذنب: ص٢٥٧.

وقام إليه آخر وقال: «يا سيِّد الوصيين، إن بستاني شحيح الثمار، فادع الله ليبارك فيها، فقال عليه السلام: عليك بالإستغفار!».

وقال آخر: «يا علي، جفت عيون المياه في أرضنا، وشحت فروع الأنهار، وحل بنا القحط، فأسألك الدعاء يا سيِّدي، فقال عليه السلام: عليك بالاستغفار!».

يقول ابن عباس: «كنت حاضراً عند أمير المؤمنين عليه السلام فقلت له: يا أمير المؤمنين سألوك أسئلة مختلفة وأجبتهم جواباً واحداً؟

فقال عليه السلام: يابن عمّي، أولم تسمع هذه الآيات عن لسان نوح عليه السلام التي تقول: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠ - ١٢][١].

---

(١) نفحات قرآنية: ج٤، ص٤٢.

الفصل الثاني

القوانين الإلهية

قانون جزاء الأعمال

جزاء العمل

وهو ما يترتب على العمل من ثواب أو عقاب في الدنيا والآخرة، فإن قام الإنسان بعمل صالح فإن الله تعالى يجزيه عليه في الدنيا والآخرة من خلال الرزق والصحة والكمال والسعادة، وإن قام بعمل فاسد فإنه سيجزيه عليه في الدنيا والآخرة من خلال البلاء والمصائب بالنفس والأموال والأولاد والعذاب(١).

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

---

(١) الذنب في اللغة العربية هو التابع. وذلك لأن لكل فعل مخالف للشريعة نوع من الجزاء التابع له.

الثواب والعقاب:

الثواب في اللغة هو الرجوع، ويُسمى الجزاء ثواباً لأنه رجوع العمل بوجوده الحقيقي الواقعي إلى العامل[1].

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٣].

ومثلما يعني الثواب «المثوبة» على عمل الخير، فإن العقاب هو رجوع العمل السيء على صاحبه، قال تعالى: ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٣٦].

وثواب العمل يجري في عالم الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٨].

إنَّ ما يجري على الإنسان في الوقت الحاضر من خير أو شر هو بسبب أعماله السابقة، وما سيجري عليه في المستقبل فإنما هو بسبب أعماله الحاضرة، فأعمال الإنسان هي التي تحدد شخصيته وما يجري عليه، فمن زرع خيراً حصد خيراً، ومن زرع شراً حصد شراً، وكما قيل: «من يزرع الثوم لا يقلعه ريحاناً».

ولا فرق في هذا القانون بين المؤمن وغيره، والعالم والجاهل، فكل عامل يلقى جزاء عمله.

---

(١) مواهب الرحمن: ج١، ص٣٥٢.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١١].

وقال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨].

وقال تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩].

عن رسول الله ﷺ: «إنما هي أعمالكم ردت إليكم»[(١)].

عن الإمام الصادق: «لا تحفر لأخيك حفرة فتقع فيها، فإنك كما تدين تدان»[(٢)].

عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «توقوا الذنوب، فما من بلية ولا نقص رزق إلا بذنب، حتى الخدش والمصيبة»[(٣)].

عن رسول الله ﷺ، قال: «من لم يتورع في دين الله ابتلاه الله

---

(١) الخطوة الأولى نحو الآفاق: ص٧٢.
(٢) عواقب الأمور: ص٦٩.
(٣) بحار الأنوار: ج٧٢، ص٣٥٠.

تعالى بثلاث خصال: إما أن يميته شاباً، أو يوقعه في خدمة السلطان، أو يسكنه في الرساتيق[(١)]»[(٢)].

وعنه عليه السلام: «ما اختلج عرق ولا عثرت قدم إلا بما قدّمت أيديكم، وما يعفو الله عنه أكثر»[(٣)].

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ما من نكبة تصيب العبد إلا بذنب، وما يعفو الله أكثر»[(٤)].

عن الإمام الصادق عليه السلام: «من يفعل الشر بالناس فلا ينكر الشر إذا فُعل به، أما إنه إنما يحصد ابن آدم ما يزرع»[(٥)].

عن إبراهيم بن أبي البلاد، قال: «كانت امرأة على عهد داوود عليه السلام يأتيها رجل يستكرهها على نفسها، فألقى الله عزّ وجلّ في نفسها فقالت له: إنك لا تأتيني مرة إلا وعند أهلك من يأتيهم.

قال: فذهب إلى أهله فوجد عند أهله رجلاً، فأتى به داوود عليه السلام، فقال: يا نبي الله، أتى إلى ما لم يؤت إلى أحد، قال: وما ذاك؟ قال: وجدت هذا الرجل عند أهلي، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى داوود قل له: كما تدين تدان»[(٦)].

---

(١) الرساتيق: جمع رستاق وهي: السواد، ويستعمل الرستاق في الناحية: طرف الأقليم (مجمع البحرين: ج٥، ص١٦٩).

(٢) بحار الأنوار: ج٧٣، ص١٦٥.

(٣) بحار الأنوار: ج٨١، ص١٩٤.

(٤) وسائل الشيعة: ج١٥، ص١٣٠.

(٥) الوافي: ج٣، ص١٦٢.

(٦) من لا يحضره الفقيه: ج٤، ص٢١.

عن رسول الله ﷺ: «من آذى جاره طمعاً في مسكنه ورثه الله داره»[1].

عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «من يزرع خيراً يحصد غبطة، ومن يزرع شراً يحصد ندامة، لكل زارع ما زرع»[2].

عن الإمام علي عليه السلام: «ثلاث خصال مرجعها على الناس في كتاب الله: البغي والنكث والمكر. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [الفتح: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣][3].

الحكمة في قانون الجزاء

إنَّ قانون جزاء الأعمال ليس إنتقاماً من الناس ولا تلذذاً بأوجاعهم ولا عبثاً بحياتهم وإنما هو عين الحكمة، وذلك لأن الذي خلقه هو الله تعالى الحكيم الرحيم وقد أوجده تعالى في الإنسان لأسباب عديدة، منها:

١ – التنبيه والإنذار:

فكما أن الوجع الذي يصيب الإنسان هو رحمة من الله تعالى للناس ليستدلوا به على وجود مرض وخلل في الجسد، كذلك فإن

(١) مستدرك الوسائل: ج٣، ص٤٦٨، ح١.

(٢) المجالس السنية: ج٢، ص٦٦٥.

(٣) مستدرك نهج البلاغة: ج١٠، ص١٦٥.

العقاب الذي يلاقونه في حياتهم تنبيهاً لهم على وجود خلل وخطأ في أعمالهم، قال تعالى: ﴿وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٤٨].

وعن الإمام علي عليه السلام: «إن الله يبتلي عباده عن الأعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات وإغلاق خزائن الخيرات ليتوب تائب ويُقلع مقلعٌ ويتذكر متذكر ويزدجر مزدجر»[١].

وعنه عليه السلام: «ما عثرت دابتي قط، قيل: ولم ذلك؟ قال: لأني لم أطأ بها زرعاً قط»[٢].

٢ - التطهير من الذنوب والخطايا:

فقد ذكرت النصوص الدينية أن ما يتعرض له الإنسان من بلاء هو تطهير له من الذنوب والخطايا، وقد يُؤجّل العقاب التطهيري إلى الموت فيُشدد عليه عند الموت، وقد يُؤجّل إلى ما بعد الموت فيُعذّب في القبر حتى يتطهر ليصل إلى عالم الآخرة وهو خال من الخطايا والذنوب والأعمال القبيحة. وفي ذلك منتهى الرحمة الإلهية.

فالأم ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ قد تضرب ولدها أو تحرمه من المال أو تطلب من الشرطة أن يسجنوه، وما ذلك إلا لحبها له ورحمتها به إذ أنها بذلك تريد تطهيره من أعماله السيئة، وهكذا يفعل الله تعالى بعباده العصاة.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما يصيب المؤمن من نصب ولا هم ولا

---

(١) كيف تواجه البلاء: ص٥٦.

(٢) سنن الإمام علي عليه السلام: ص٢٣٠.

حزن ولا أذى، ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفّر الله تعالى من خطاياه»[١].

٣ - تحقيق العدالة الإلهية:

إنَّ واقع الحياة البشرية عبر التاريخ هو الصراع والتخاصم والإستعباد والإذلال، فهناك أشخاص عاشوا طوال حياتهم المظلومية والقهر والعذاب، وهناك أشخاص عاشوا طوال حياتهم الظلم والقتل والسرقة وهتك الأعراض، فهل تنتهي حياة الجميع في الدنيا بلا حساب ولا عقاب ولا ثواب؟

إنَّ عدالة الله تعالى تقتضي بإنزال العقاب بالظالمين سواء في عالم الدنيا أم الآخرة، وبإثابة المظلومين في عالم الدنيا أو الاخرة، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١) وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٢)﴾ [الجاثية: ٢١ - ٢٢].

وبهذا المعنى يُستدل على ضرورة وجود الاخرة، وإلا كانت الحياة عبثاً وفوضى.

قال السيد القبانجي: «إن العدالة الإلهية تتحقق في عالم الدنيا، وفي الآخرة ينكشف لنا ذلك، وذلك لأن كل ظلم في هذه الدنيا معناه أن الظالم يخسر من نوره الملكوتي وخزينه المعنوي، ويعطيه إلى المظلوم في نفس الوقت وبمقدار ظلمه له.

---

(١) مواهب الرحمن: ج٩، ص٣٦٠.

فلو أنك صفعت رجلاً بدون حق أو استغبت أخاك المؤمن فسوف ينتقل جزء من حسناتك إليه في نفس الوقت من حيث لا تشعر، وما ورد في الروايات من أن يوم القيامة تنتقل حسنات الظالمين إلى المظلومين، أو تنتقل سيئات المظلومين إلى الظالمين فهذا لا يعني أن هذه العملية سوف تتحقق في ذلك الوقت، بل إن ذلك سوف يكشف لنا ما جرى في عالم الدنيا من هذه العملية التبادلية ونحن غافلون: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].

وهذا هو السبب في أنك تشعر بألم نفسي وعدم إرتياح بعد أن تضرب زوجتك، وذلك لما خسرت من رصيدك المعنوي من حسناتك.

ومن هنا تنكشف حقيقة قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [المائدة: ٤] وما ورد من أن الله يحاسب الناس في أسرع من لمح البصر، لأنه بمجرد أن يصدر أدنى ظلم من شخص لآخر يتم تصفية حسابه منه في نفس الوقت وهو في غفلته يتصور أنه رابح والحال أنه خسر من معنوياته»[1].

الجزاء العاجل والآجل

من الطبيعي أن مخالفة القوانين الكونية والصحية له جزاء عاجل وآجل. فمخالفة قانون الجاذبية جزاؤه عاجل، ولذلك فإن الناس ينقادون له انقياداً كاملاً بلا تردد. ومخالفة قانون الصحة جزاؤه

(١) الله والإنسان: ص١٣٠.

عاجل وآجل، فمثلاً تناول السم جزاؤه عاجل وهو الموت، أما التدخين فجزاؤه آجل، ومن ثم نجد أكثر الناس يعترفون بخطورة التدخين إلا أنهم لا يحذرون منه.

وهكذا، فإن جزاء الأعمال، منه ما هو عاجل، ومنه ما هو آجل، ومن ثم نجد الكثير يتهاونون في التزامهم الديني والأخلاقي والسلوكي نظراً لأنهم لا يشعرون بنتائج أعمالهم مباشرة.

فمثلاً نجد أن عمر بن سعد عندما عُرض عليه قتل الإمام الحسين عليه السلام أقدم على ذلك لأنه يعتقد بأن إمارة «الري» مُلك عاجل، أما جزاء عمله فبعيد ومؤجل إلى يوم القيامة، ولذا كان يقول: «وهل عاقل باع الوجود بدين؟».

والحال أن قانون الجزاء سيطال كل إنسان مهما طال الزمن في الدنيا، وإلا فبعد الموت، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

لذلك إن الاعتقاد بالجزاء العاجل يمنع الإنسان من فعل السيئات مهما تعرض للإغراءات الدنيوية، فمن المستحيل أن يضع الإنسان يده على السلك الكهربائي أو يشرب السم مهما قُدم له من الإغراءات الدنيوية لأنه يعلم نتيجة ذلك سريعاً.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أراد الله عزّ وجلّ بعبد خيراً عجّل له عقوبته في الدنيا. وإذا أراد بعبد سوءاً أمسك عليه ذنوبه حتى يوافي بها يوم القيامة»(١).

---

(١) الكافي: ج٢، ص٤٤٥.

وقد جاء في النصوص الدينية أن لبعض الأعمال جزاءً عاجلاً ومن ذلك: ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاثة من الذنوب تعجل عقوبتها ولا تؤخر إلى الآخرة: عقوق الوالدين، والبغي على الناس، وكفر الإحسان»[١].

وسُئل الإمام علي عليه السلام عن الذنوب التي تعجل العقوبة فقال: «من ظلم من لا ناصر له إلا الله، وجاور النعمة بالتقصير، واستطال بالبغي على الفقير»[٢].

وعنه عليه السلام أنه ذكر في بعض كلماته أيضاً «قطيعة الرحم».

وعنه عليه السلام: «لا يسوءنك ما يقول الناس فيك، فإنه إن كان كما يقولون كان ذنباً عُجّلت عقوبته، وإن كان على خلاف ما قالوا كانت حسنة لم تعملها»[٣].

---

(١) ميزان الحكمة مادة «ذنب».
(٢) المصدر نفسه.
(٣) غرر الحكم.

جزاء الإحسان

إن للإحسان إلى الناس جزاء كبيراً يعود إلى فاعله بالخير والرحمة والبركة، قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧].

وذلك لأن الله تعالى جعل قانون الحياة قائم على ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم أنه أعطى بعض الناس قوة وجاهاً وكرامة جزاءً لإحسانهم إلى الناس، كالنبي يوسف عليه السلام ونوح عليه السلام وإبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: ١١٠].

قال رجل للإمام الحسن العسكري عليه السلام كيف (أبو دلف) له أربعة آلاف قرية وقرية؟ فقال عليه السلام: «إنّه أضاف مؤمناً ليلة فزوده جلّة من تمر كان فيها أربعة آلاف تمرة وتمرة فأعطاه الله بكلّ تمرة قرية»[1].

---

(١) مكيال المكارم: ج١، ص١٠٩.

روي عن القاسم بن محسن قال: «كنت بين مكة والمدينة فمر بي أعرابي ضعيف الحال، فسألني شيئاً، فرحمته وأخرجت له رغيفاً فناولته إياه، فلمَّا مضى عنِّي هبَّت ريح شديدة فذهبت بعمامتي من رأسي فلم أرها كيف ذهبت وأين مرَّت، فلما دخلت على أبي جعفر بن الرضا عليه السلام قال لي: «يا قاسم ذهبت عمامتك في الطريق؟ قلت: نعم، قال: يا غلام أخرج إليه عمامته، فأخرج إليَّ عمامتي بعينها، قلت: يابن رسول الله كيف صارت إليك؟ فقال: تصدَّقت على الأعرابي فشكر الله لك وردَّ عمامتك وإنَّ الله لا يضيع أجر المحسنين»[1].

رأى عالم الملكوت جزاء الإحسان

نقل الشيخ مرتضى مطهري قصة عن أحد كبار المصارعة في العالم واسمه «بورياي ولي» خلاصتها: إنَّ «ولي» سافر إلى إحدى المدن للمصارعة وقبل الموعد المقرر خرج يتجول في الطريق، فرأى إمرأة عجوز توزع الحلوى على الناس وتطلب منهم الدُّعاء فسألها: «ما هي حاجتك للدُّعاء؟ فقالت: إنَّ ابني هو بطل مدينتنا في المصارعة وقد جاءنا منافس له من مدينة أخرى لمنازلته، وأنا أخشى أن يخسر ولدي لأنَّ في خسارته انقطاع لمصدر رزقنا، وعندما سمع «ولي» ذلك قال لها: سأدعو لك.

ثم فكّر في نفسه: هل أصرعه إذا كنت أقوى منه أو لا؟ فتذكر أنَّ «أشجع الناس من غلب هواه» وفي اليوم المقرَّر للمباراة صعد الحلبة

(١) كما تدين تُدان: ص١٨.

فوجد منافسه ضعيفاً إلا أنَّه راح يتظاهر بالضعف حتى مكَّن منافسه من التغلب عليه وهنا يقولون: إنَّه في اللحظة التي سقط فيها «ولي» على الأرض شعر وكأنَّ قلبه انفتح لله وكأنَّه يرى بقلبه عالم الملكوت(١)».

جزاء الإحسان إلى الأبوين:

نُقل عن الشيخ (حسين مشكور) أنَّه قال: «في إحدى الليالي رأيت في المنام وكأنّي في حرم الإمام الحسين عليه السلام وإذا بشاب يُسلِّم على الإمام الحسين عليه السلام ويبتسم ورأيت الإمام عليه السلام يردّ عليه السلام، ثم استيقظت من النوم.

وفي الليلة التالية وكانت ليلة جمعة تشرفت بزيارة الإمام الحسين عليه السلام ووقفت في زاوية من الحرم لأقرأ الدُّعاء والزيارة، وإذا بي أرى الشاب الذي رأيته في المنام يدخل ويسلِّم ويبتسم لكني لم أر الإمام الحسين عليه السلام ثم تبعت الشاب وحدثته بالمنام وسألته عن السر في رد السلام عليه من الإمام عليه السلام.

فقال: إنّي أسكن مع أبوين عجوزين في ناحية قريبة من كربلاء وفي كل ليلة جمعة أُركب أحدهما على الحمار وآتي به للزيارة وفي الأسبوع الثاني أُركب الآخر وهكذا، وفي إحدى الليالي الماطرة أركبت والدي على الحمار بقصد الزيارة، فقالت والدتي: أرجوك يا ولدي أن تأخذني معكما للزيارة، فقلت لها: إن الطقس بارد وممطر

---

(١) الهجرة والجهاد: ص٨.

والحمار لا يتحمَّل الاثنين، لكنَّها أصرَّت وقالت: أخاف أن أموت هذه الليلة ولم أزر الإمام الحسين عليه السلام.

يقول الشاب: فأركبت والدي على الحمار وحملت والدتي على كتفي ووصلت إلى الضريح الشريف بعد تعب وعناء، وعندما سلَّمت على الإمام عليه السلام رأيته أمامي وهو يردُّ السلام ويبتسم، ومنذ ذلك اليوم وأنا أراه عند السلام عليه»[1].

ويُحكى أن السيد محمد حسين الطهراني رحمه الله التقى بشاب نوراني وسأله عن سر العناية الإلهية به، فقال الشاب:

«كان لي والدة عجوز مريضة ومقعدة وكنت أخدمها بنفسي وكانت حادَّة المزاج وتشتمني أحياناً، فأبتسم في وجهها، ولم أتزوج من أجلها مع أنِّي تجاوزت الأربعين لعلمي بصعوبة الحياة الزوجية مع وجود والدتي، وكان يومض في قلبي إثر تحملي للمشاكل إشعاع نور لكنه سريعاً ما يخبو، حتى كان أحد أيام الشتاء وكان الجو بارداً وقد بسطت فراشي قريباً من والدتي كي لا تبقى لوحدها ولا تحتاج لندائي بصوت عالٍ إن أرادت شيئاً، وكنت في تلك الليلة قد أعددت إناء الماء بجانبي كي أناولها الماء عندما تطلبه منِّي، فنادتني في الليل وطلبت الماء فأسرعت وسكبت الماء في الإناء وقدمته لها وقلت: خذي يا أماه فدتك روحي، فظنّت أنِّي تأخرت في إحضار الماء، فشتمتني وضربت بالإناء على رأسي، فأعدت ملء الإناء وقلت: خذي يا أماه واعفي عنِّي فأنا أرجو غفرانك، ثم لم أفهم ما حدث،

---

(١) كرامات الإمام الحسين عليه السلام: ج٢، ص٨١.

فجأة وباختصار فقد تحقق ما كنت أصبو إليه وتبدلت تلك الومضات إلى عالم نوراني يضيء كالشمس، لقد كلمني حبيبي ومعيني وإلهي وحبيبي ولم يقطع نجواه عنّي»(١).

جزاء الإحسان إلى الحيوانات:

عن الإمام الحسين عليه السلام أنّه قال: «صح عندي قول النبي صلى الله عليه وآله أفضل الأعمال بعد الصلاة إدخال السرور في قلب المؤمن بما لا إثم فيه».

فإنّي رأيت غلاماً يؤاكل كلباً فقلت له في ذلك؟

فقال: يابن رسول الله إنّي مغموم أطلب سروراً بسروره لأنّ صاحبي يهودي أريد أن أفارقه، فأتى الإمام الحسين عليه السلام إلى صاحبه بمائتي دينار ثمناً له، فقال اليهودي: الغلام فدى لخطاك، وهذا البستان له، ورددت عليك المال، فقال عليه السلام: «وأنا قد وهبت لك المال»، فقال: قبلت المال ووهبته للغلام، فقال الإمام عليه السلام: «أعتقت الغلام ووهبته له جميعاً»(٢).

نال العلم جزاء الإحسان

نُقل عن المرحوم الحاج ميرزا خليل رحمه الله أنه قال: «إنني لم أدرس الطب ولم أتتلمذ على يد أحدٍ من الأطباء، ولكن هذه الخبرة والإبداع في الطب حصلتُ عليها من بركة التصدق برغيف خبز وكان

---

(١) نور ملكوت القرآن: ج١، ص١١٩.

(٢) آثار وبركات الإمام الحسين عليه السلام: ص٣٥.

ذلك في أيام شبابي عندما تشرفت بزيارة حضرة المعصومة بنت الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وهناك وفي كل مكان كان ارتفاع شديد في الأسعار والحصول على الخبز أمر غير يسير، وفي تلك الأيام كان هناك نزاع بين إيران وروسيا، وقد اسروا من الروس رجالاً ونساءً بمعية أطفالهم وقد تفرقوا في البلاد، وكان محل سكني في إحدى غرف دار الشفاء وهي إحدى طبقات عمارة فوقها مدرسة متصلة بالصحن الشريف للسيدة المعصومة، وهناك توجد غرف ينزل فيها الزوار والغرباء الذين يترددون على «قم».

ويوماً ذهبت إلى السوق لشراء الخبز، وبعناء ومشقة استطعت الحصول على رغيف خبز وقفلت راجعاً إلى حجرتي، وفي الطريق صادفتني إمرأة من الأسرى الروس المسيحيين وهي تحمل طفلاً بين يديها وقد اصفر وجهها من الجوع، وعندما وقع نظرها علي قالت لي: أنتم المسلمون لا توجد رحمة في قلوبكم، أسرتمونا وتركتمونا نموت جوعاً، فانكسر قلبي من كلامها هذا فأعطيتها رغيف الخبز الذي كان بيدي، ولم آكل في ذلك اليوم إلى الليل حيث لم يكن عندي شيء، وبينما كنت في الغرفة جالساً لوحدي وإذا بشخص يدخل عليّ وقال لي: لقد حل بجدتي ألم لا يُطاق، أرجو منك أن تدلنا على طبيب يتولى علاجها.

وفجأة جرى على لساني بأن تستفيد من فلان شيء وهو دواء جيد، وظن أني طبيب فذهب، بعدها رجع إليّ فقال لي: لقد تناولت الدواء الذي وصفته لها وتحسن حالها على الفور. وبعد ساعة جاء ذلك الرجل مع مجموعة ومعه ألوان من الأطعمة دفعها إلي مع سكة ذهبية وسيل من الشكر والثناء.

وأخذت تقص المرأة لمعارفها قصة مرضها وكيفية شفائها بهذه السرعة على يدي، وكان البعض ممن سمع الحديث هذا قد ابتلي ببعض الأمراض فأخذوا يراجعون منزلي للعلاج وكنت أصف لهم الأدوية بالصورة التي وصفتها لتلك المرأة فيشفون من أمراضهم وآلامهم، وذاع خبري، وازدحم المرضى على منزلي وكنت أصف لهم الدواء فيشفون في الحال واستفدت كثيراً، وحصلت على كتاب (الحكيم المؤمن) وهو كتاب في الطب وذلك لكي أتعرف على الامراض وطرق علاجها وأسماء الأدوية المستخدمة في علاجها، وبقيت مدة في قم، بعدها رجعت إلى طهران وانشغلت بمطالعة الكتب الطبية وبوقت قصير وقياسي صار اسمي من أشهر الأطباء وسجل اسمي في سجل الأساتذة المعروفين وكل ذلك كان من بركة الإيثار بذلك الرغيف».

جزاء عدم الإحسان إلى الفقير:

كانت زوجة وزوجها في أحد الأيام مشغولان بتناول الطعام حيث طرق باب منزلهما فقير، فقال الرجل لزوجته: «انظري من الطارق؟ فذهبت المرأة وفتحت الباب فوجدت فقيراً يتسول فأخبرت زوجها بأن فقيراً على الباب يطلب طعاماً، وكان الزوج وزوجته يأكلان الدجاج، فلم يعط الزوج إلى الفقير شيئاً. وبعد مرور فترة من الزمان ساءت أوضاع الزوج حتى أنه وصل إلى حال لا يستطيع معه تأمين نفقة وكفاف زوجته مما حدا بها إلى الإفتراق عنه وتزوجت رجلاً آخر، ويوماً كانت جالسة مع زوجها الثاني يأكلان الدجاج فطُرق بابهما، وذهبت ففتحت الباب فوجدته فقيراً يطلب الطعام،

فأخبرت زوجها بالأمر، فدفع الرجل ما عنده من الدجاج إلى الفقير وأمر زوجته بأن تعطيه إياه، وعندما ذهبت المرأة وأعطت الدجاج للفقير، رجعت وهي تنتحب باكية!

فسألها زوجها: لماذا البكاء؟

فقالت: إن هذا الرجل الفقير الذي كان على الباب هو زوجي الأول، فقال لها زوجها الثاني: والله إني أنا ذلك الفقير الذي طلب منكما طعاماً في أحد الأيام فلم يُطعم».

جزاء المعروف:

جاء في «مواهب الرحمن» للسيد السبزواري رحمه الله:

«يستفاد من الأحاديث الواردة عن المعصومين عليهم السلام في شأن المعروف ومدحه والترغيب إليه أن له آثاراً وضعية تخص صاحبها وفاعلها، لا تنالها يد الاختبار وأنها تترتب على المعروف كترتب الأثر على المقتضى التام.

بل يمكن إقامة الدليل العقلي على ذلك لأن الأفعال الحسنة التي تصدر عن الإنسان تخلف في نفس عاملها آثاراً خاصة وحالات مخصوصة توجب ارتياح النفس وبعدها عن القلق النفسي الموجب للأمراض المتنوعة، على خلاف الأفعال السيئة التي تخلف التأنيب الضميري والصراع النفسي، كما أثبتها علماء النفس قديماً وحديثاً.

فمن كان صادقاً - مثلاً - في كلامه دائماً أو يغمض عن إساءة الغير له ويعفو عنه ولا يكون في مقام الانتقام يشعر بالراحة النفسية ويكون بعيداً عن الضيق والهم النفسي، وفي الحديث عن

الصادق عليه السلام: «صنايع المعروف تدفع ميتة السوء» وعنه عليه السلام أيضاً: «صنايع المعروف تقي مصارع الهوان» أي الذل وغيرهما من الأحاديث.

وفي المأثور عن بعض الصلحاء: «أن امرأة وضعت لقمة في فم سائل ثم ذهبت إلى مزرعتها فوضعت ولدها في موضع، فأخذه الذئب فقالت: يا رب ولدي، فأخذ عنق الذئب رجل واستخرج ولدها من غير أذى، ثم قال: هذه اللقمة بتلك اللقمة التي وضعتها في فم السائل»

فآثار المعروف تظهر على صاحبه في هذه الدنيا قبل الآخرة، نعم للزمان فيها دخل قد يُؤجل لمصالح لا يعلمها إلا الله تعالى.

وأما آثار المنكر والقبيح فقد تظهر على صاحبه وقد تُؤجل إلى عالم الآخرة، فإن مقتضى رحمته تعالى - أنه عز وجل يظهر الجميل ويستر القبيح وأن أثره القبيح قبيح - يستره الله ويؤجله إلى دار الآخرة والخلود»[1].

---

(١) مواهب الرحمن: ج٩، ص٣٠٤.

جزاء الامتناع عن الحرام

إنَّ الامتناع عن الحرام خوفاً من الله تعالى وتقرباً إليه يورث الإنسان كرامات خاصة من الله تعالى، وهذا ما يُعبر عنه بـ «ميراث التقوى» قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما اغتنم أحد بمثل ما اغتنم بغض البصر، لأن البصر لا يغض عن محارم الله إلا وقد سبق إلى قلبه مشاهدة العظمة والجلال».

وعنه عليه السلام: «النظرة سهم من سهام ابليس مسموم، من تركها لله عز وجل لا لغيره أعقبه الله إيماناً يجد طعمه»[1].

كرامة الشيخ رجب الخياط رحمه الله:

قال العارف الشيخ رجل الخياط: «في أيام شبابي أُعجبت بي فتاة جميلة من أقاربنا، وبسبب هيامها بي ومكرها إياي استطاعت أن تلتقيني في يوم من الأيام بعيداً عن الأنظار، فقلت في نفسي: «يا رجب

---

(١) ثواب الأعمال وعقابها: ص٢٨٩.

علي، إن الله قادر أن يختبرك في مواقف كثيرة، فلو تختبر ربك مرة واحدة وتمتنع عن ارتكاب الحرام المهيأ لك على ما فيه من لذة».

ثم دعوت الله وقلت: «اللهم إني أمتنع عن اقتراف هذا الإثم امتثالاً لأمرك، فربني يا رب، كما تحب».

ثم إنه قاوم تلك المعصية بكل شجاعة مثلما فعل النبي يوسف عليه السلام، وأبى تدنيس ثوبه بتلك المعصية، وفرّ على وجه السرعة من ذلك الفخ الخطير الذي كان قد نصب له.

فكانت نتيجة اجتنابه المعصية سبباً لبصيرته وحصوله على رؤية بعض مواقف البرزخ؛ فصار يرى ويسمع ما لا يراه ولا يسمعه الآخرون، بحيث إنه حينما كان يخرج من البيت كان يرى الأشخاص على صورهم الحقيقية وتنكشف له بعض الأسرار»[1].

قال رجل من المؤمنين: «كانت لدي سيارة أجرة وكنت متجهاً فيها من ميدان «سباه» - حالياً - نحو الجنوب، فرأيت سيدة طويلة القامة وجميلة ترتدي «جادرً» أشارت لي بالتوقف، فوقفت وغضضت بصري واستغفرت ربي، فركبت وأوصلتها إلى مقصدها. وفي اليوم التالي جئت إلى الشيخ رجب الخياط فقال لي وكأنه قد شاهد ذلك الموقف عن قرب: «من كانت تلك السيدة الطويلة التي نظرت إليها ثمّ صرفت وجهك عنها؟ فبغضّ بصرك عنها ادّخر لك ربك قصراً في الجنة وحورية تشبه تلك السيدة»[2].

---

(١) يبدو أن هذه الحادثة وقعت للشيخ وهو في الثالثة والعشرين من عمره.

(٢) كيمياء المحبة: ص٧٩.

قصة ابن سيرين:

يحكى عن ابن سيرين أنه كان يبيع القماش وكان جميلاً، فعشقته امرأة وأرسلت إليه أن يأتي إليها لتشتري منه قماشاً، فلما دخل إلى دارها راودته عن نفسها وغلّقت الأبواب، وقالت: هيت لك، فرفض ذلك وصار يعظها، فلم تستمع له، فقال لها: حسناً انتظري قليلاً حتى أهيىء نفسي، ودخل إلى بيت الخلاء فلطخ بدنه بالقذارات، فلما رأته المرأة بذلك المنظر نفرت منه وأخرجته من دارها وبعد هذه الحادثة رزقه الله تعالى علم تعبير الرؤيا.

قال الشيخ عباس القمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وليس هذا لكرامة ابن سيرين بل هو أثر عمله فقد حكى شيخنا المحدث المتبحر النوري نوّر الله مرقده في (دار السلام) ما يدل على ذمه بل نصبه»[1].

---

(١) سفينة البحار مادة «سيرين».

أسباب الأمراض

تدل النصوص الدينية والتجارب العلمية أن نتيجة بعض الأعمال هي المرض، باعتبار أن العمل السيء يترك آثاراً معنوية في النفس تؤدي إلى الأمراض الجسدية، وحالها كحال الحالات النفسية التي تسبب المرض.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «عرفان المرء نفسه أن يعرفها بأربع طبائع.. فهي العوارض التي يكون منها الأسقام، ولا يكون أقل ذلك إلا بخطيئة عملها، فيوافق ذلك من مأكل أو مشرب في ساعات لا تكون تلك الساعة موافقة لذلك المأكل والمشرب لحال الخطيئة فيستوجب الألم من ألوان الأسقام»(١).

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ليحذر أحدكم أن يعوق أخاه عن الحج فتصيبه فتنة في دنياه مع ما يدخر له في الآخرة»(٢).

وعن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن رجلاً استشارني في الحج وكان ضعيف الحال فأشرت عليه ألا يحج،

---

(١) تحف العقول: ص٢٥٧.
(٢) عواقب الأمور: ص١٠١.

فقال عليه السلام: «فما أخلقك أن تمرض سنة، قال: فمرضت سنة»(١).

والأمراض قد تكون خفيفة لتنبه الإنسان إلى عمل صغير أخطأ فيه وقد تكون كثيرة لتعاقب الإنسان على خطأه الكبير ولتكون تطهيراً له من أعماله السابقة.

عن الإمام علي عليه السلام: «إذا ابتلى الله عبداً أسقط عنه من الذنوب بمقدار علته»(٢).

وعن الإمام الرضا عليه السلام: «المرض للمؤمن تطهير ورحمة... وإن المرض لا يزال بالمؤمن حتى لا يكون عليه ذنب»(٣).

وقال سلمان الفارسي للإمام علي عليه السلام: «إذا مرضنا فهل لنا إلا تطهير الذنوب؟» فقال عليه السلام: «إن لكم الأجر بالصبر عليه والتضرع إلى الله عز وجل والدعاء له، بهما يكتب لكم الحسنات ويرفع لكم الدرجات، وأما الوجع خاصة فهو تطهير وكفارة»(٤).

ظلم الزوجة سبب المرض:

قال آية الله السيد الشيرازي: «قرأت في مجلة منذ سنوات هذه القصة، وهي: أنَّ رجلاً متهوراً، دخل داره وفقد في الدار زوجته فأساء بها الظن، وأخذ يفتش في أثاث المرأة، وإذا به يجد في بعض أثاثها رسالة غرامية موجهة من رجل إليها.

---

(١) ثواب الأعمال وعقابها: ص٥٥٩.

(٢) ميزان الحكمة مادة «ذنب».

(٣) المصدر نفسه.

(٤) موسوعة الأحاديث الطبية، ص١٠٨.

فظن أن للزوجة اتصالاً غير مشروع بصاحب الرسالة، فهيأ للزوجة آلة قتالة، وبمجرد أن جاءت الزوجة إلى الدار حمل عليها بتلك الآلة القتالة وقتلها.

وهي تستغيث وتسأل عن السبب، لكن الرجل كان قد ركبه الشيطان، فلم يمهلها ولم يستنطقها...

ثم أخبر الرجل أهل الزوجة بأنها كانت سيئة ولذا قتلها - وإذا علمنا أن في بعض العشائر من المعتاد قتل الزوجة والأخت ومن أشبههما بأمثال هذه الظنون، وأن القانون لا يعاقب أمثال هذا القاتل إلا بعقاب يسير، أدركنا كيف يتمكن أن يتخلص مثل هذا الزوج من ملامة الناس، ومن عقوبة القانون -.

وبعد يوم جاء الرجل إلى الرسالة الغرامية، ليرى تفصيل ما فيها، وإذا به يفاجأ، بأن الرسالة موجهة إلى فتاة اسمها (فلانة) وليست الرسالة موجهة إلى زوجته..

فقرأ الرجل الرسالة والعنوان مرة ثانية وثالثة، حتى تيقن أن الرسالة ليست للزوجة، وأخذ يفحص عن (الفتاة) التي وجهت إليها الرسالة، فعلم أنها صديقة لزوجته وأنها جاءت بالرسالة إلى زوجته لتودعها عندها، كما كانت عادتها، أن تودع عندها رسائلها ونقودها وثيابها لأنها جارة لهم..

وتذكر أن زوجته لا تقرأ ولا تكتب..

فندم الرجل على فعلته، ولما ينفعه الندم...

ولم تمض من الحادث إلا أيام قلائل، وإذا به يفاجأ بألم في موضع من ذراع يمناه، وأخذ الألم يشتد ويشتد، ويراجع الأطباء،

وكلما عالجوه لم ينفع، وأخيراً قرروا إجراء عملية جراحية على نفس الموضع، مع أنه لم يكن له أي أثر من إحمرار وورم وما أشبه، وأجروا العملية، وقطعوا قطعة لحم من مكان الوجع، لكن الألم لم يزل، وبقي في المستشفى إلى أن نبت اللحم الصالح لكن الألم بقي على حاله في كمال الشدة، مما سلب استقراره، وأطار من عينه حتى النوم في الليل.

وأخيراً احتمل بعض الأطباء أن يكون مرضه نفسياً وقال: لعله مرض نفسي، لا مرضاً جسدياً...

وبعد أن راجع طبيباً نفسياً، واستنطقه الطبيب عن كل ما اقترفه في حياته، تذ كر أنه لما قتل زوجه ترشّح من دمها نقطة أصابت هذا الموضع من اليد.

فقال له الطبيب: إنه عقاب من الله سبحانه، ولا علاج لك عندنا.

وهكذا خرج من عند طبيب النفس يجر أذيال الخيبة والخسران[1]».

سبب عودة الأمراض:

في الحديث أنه خدم أبو خالد الكابلي الإمام علياً بن الحسين دهراً من عمره، ثم إنه أراد أن ينصرف إلى أهله، فأتى علياً بن الحسين عليه السلام وشكا إليه شدة شوقه إلى والديه فقال:

(١) العدل أساس الملك: ص٥٢.

«يا أبا خالد يقدم غداً رجل من أهل الشام له قدر ومال كثير، وقد اصاب بنتاً له عارض من أهل الأرض، ويريدون أن يطلبوا معالجاً يعالجها، فإذا أنت سمعت قدومه فأته وقل له: أنا أعالجها لك على أن أشترط لك أني أعالجها على ديتها عشرة آلاف، فلا تطمئن إليهم وسيعطونك ما تطلب منهم.

فلما أصبحوا قدم الرجل ومن معه، وكان من عظماء أهل الشام في المال والمقدرة، فقال: أما من معالج يعالج بنت هذا الرجل؟ فقال له أبو خالد: أنا أعالجها على عشرة آلاف درهم فإن أنتم وفيتم وفيت على ألا يعود إليها أبداً، فشرطوا أن يعطوه عشرة آلاف، فأقبل إلى علي بن الحسين عليه السلام فأخبره الخبر فقال: إني أعلم أنهم سيغدرون بك ولا يفون لك، انطلق يا أبا خالد فخذ بأذن الجارية اليسرى ثم قل: يا خبيث يقول لك علي بن الحسين أخرج من هذه الجارية ولا تعد.

ففعل أبو خالد ما أمره فخرج منها فأفاقت الجارية، وطلب أبو خالد الذي شرطوا له فلم يعطوه، فرجع مغتماً كئيباً؛ فقال له علي بن الحسين: ما لي أراك كئيباً يا أبا خالد ألم أقل لك إنهم يغدرون بك؟ دعهم فإنهم سيعودون إليك، فإذا لقوك فقل: لست أعالجها حتى تضعوا المال على يدي علي بن الحسين فإنه لي ولكم ثقة، ووضعوا المال على يدي علي بن الحسين فرجع أبو خالد إلى الجارية فأخذ بأذنها اليسرى ثم قال: يا خبيث يقول لك علي بن الحسين أخرج من هذه الجارية ولا تعرض لها إلا بسبيل خير، فإنك إن عدت أحرقتك

بنار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة، فخرج منها ودُفع المال إلى أبي خالد، فخرج إلى بلاده»(١).

علاج الأمراض بالعمل الصالح:

فمن أراد الشفاء من أمراضه فعليه بالابتعاد عن الذنوب والاستغفار منها إن وقع فيها.

فعن الإمام علي عليه السلام أنه قال في التقوى: «دواء داء قلوبكم وشفاء مرض أجسادكم وصلاح فساد صدوركم، وطهور دنس أنفسكم»(٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «من سره طول العافية فليتق الله»(٣).

سبب الأوجاع المزمنة:

قال أحد تلاميذ الشيخ رجب الخياط: «في أحد الأيام بال ابني الذي يبلغ من العمل سنتين - وعمره الآن أربعون سنة - على الفراش فضربته أمه ضرباً مبرحاً حتى كاد ينقطع نفسه. وبعد ذلك بساعة ارتفعت حرارة بدنها ارتفاعاً شديداً حتى اضطررنا على أثر ذلك إلى مراجعة الطبيب وكلفتنا الوصفة والدواء حوالي ستين توماناً في تلك الظروف الاقتصادية الصعبة، ولم تنخفض حرارتها بل أخذت ترتفع أكثر، فراجعنا الطبيب ثانيةً ودفعنا هذه المرة أربعين توماناً لغرض معالجتها وكان هذا المبلغ بالنسبة لي مبلغاً ضخماً في وقتها.

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ج٤، ص١٥٧.
(٢) النظام الصحي: ص٦٤٤.
(٣) المصدر نفسه.

وفي الليل ركب سماحة الشيخ في سيارتي لنذهب إلى المجلس وكانت زوجتي في السيارة. قلتُ: إن زوجتي، ارتفعت درجة حرارتها، وأخذتها إلى الطبيب ولكن دون جدوى.

فنظر الشيخ وتوجّه بالكلام إلى زوجتي قائلاً: الأطفال لا يضربون بتلك الصورة، استغفري ربك، وطيبي خاطر الطفل واسترضيه واشتري له شيئاً، تتحسن حالتك».

وفعلنا ما أمرنا به الشيخ فانخفضت درجة حرارتها[1].

مرض لإيذائه أخته وأولادها:

ونقل أحد أصدقاء الشيخ رجب: أنه أصيب أبي بمرض عضال ولم تنفعه الأدوية. فأخبرت الشيخ أن والدي مريض، وقد مرَّت عليه سنة كاملة وهو طريح الفراش. فسألني الشيخ: هل لك عمة؟

قلت: نعم.

فقال: مشكلته مع عمتك، وإذا دعت له يشفى من مرضه.

فطلبت من عمتي الدعاء لوالدي؛ ففعلت، ولكن والدي لم تتحسن حالته الصحية.

عدتُ إلى الشيخ وأخبرته أن عمتي قد رضيت عن والدي، ولكن لم يحصل تحسن في صحته.

فقدم لي الشيخ توجيهات للإحسان إلى أولادها الأيتام الأربعة وقال: ثم تطلب منها بعد ذلك الدعاء لأبيك.

---

(١) كيمياء المحبة: ص١٣٨.

ففعلت ما أمرني به الشيخ، وسألت عمتي بعد ذلك عن سبب سخطها على أبي، فقالت: بعد وفاة زوجي، أخذني أبوك أنا وأولادي الأربعة للعيش معه في داركم. وفي أحد الأيام حصل شجار بيني وبين أمك، ولما دخل أبوك ووجدنا نتشاجر طردني أنا وأولادي من الدار! فشعرت في ذلك الموقف بانكسار شديد.

وبعد أن تمكنت من استرضاء عمتي تحسنت الحالة الصحية لوالدي، غير أنه لم يشف شفاءً تاماً. فعدتُ إلى الشيخ وشرحت له الحالة. فأمرني هذه المرة بالإحسان إلى أحد السادات، فتحسنت حالة والدي الصحية تماماً[١].

الشجار سبب الأمراض:

نقل أحد تلاميذ الشيخ رجب أن سماحته كان يقول: «لا تأتيكم مصيبة من غير سبب.

وفي إحدى المرات شُجَّ رأسي، فذهبت برفقة أحد الأصدقاء إلى الشيخ وقال له صديقي: انظر ما العمل الذي فعله وأدى إلى شجِّ رأسي. فتوجه الشيخ ثم قال: «تشاجر مع صبي في المصنع».

عرفت أن كلام الشيخ كان صحيحاً، فأنا كنت أعمل في ثني الحديد وكان هذا الاختصاص نادراً، والمتخصصون بهذه المهنة يتدللون على صاحب العمل. وفي أحد الأيام اعترض ابن صاحب العمل على عملي اعتراضاً صحيحاً لكنه لا يتعلق به. فوقفت بوجهه، وأغلظتُ له في الكلام حتى بكى.

---

(١) كيمياء المحبة: ص١٤٣.

فقال الشيخ: إذا لم تسترضه فسيطول بلاؤك.

فذهبت إليه واعتذرت منه»[1].

إيذاء العلوية:

كان سماحة الشيخ رجب الخياط ذات يوم في دار أحد محبيه، إذ جاءه عدد من موظفي دائرة الضرائب لزيارته؛ فقال أحدهم للشيخ إنه أصيب بدنه بحكة وقد عجز عن معالجتها. فتأمل الشيخ قليلاً وقال: «آذيت علوية»؟

فقال الشخص: هنَّ يأتين ويجلسن وراء طاولة العمل ويشغلن أنفسهن بالحياكة، وإذا تكلمنا معهن يجهشن بالبكاء!

واتضح أن تلك العلوية تعمل موظفة في الدائرة المالية وقد آذاها بكلامه.

وقال الشيخ: «لن تذهب عنك الحكة ما لم تعتذر منها».

ونقل شخص آخر من تلاميذ الشيخ قصة مشابهة لهذه قائلاً: «كنا جالسين مع الشيخ في باحة دار أحد الأصدقاء، وكان من بين الحاضرين شخص ذو منصب حكومي رفيع كان يشارك في مجالس الشيخ. وكانت رجله مصابة بمرض يفرض عليه مدها أثناء الجلوس. فالتفت إلى الشيخ وهو في تلك الحالة وقال له:

يا سماحة الشيخ، إنني مصاب بألم في رجلي ومستمر على معالجتها منذ ثلاث سنوات ولكن دون جدوى.

---

(١) كيمياء المحبة: ص١٤٤.

طلب الشيخ من الحاضرين كالعادة قراءة سورة الفاتحة، ثم تمهل قليلاً وقال: «لقد حصل هذا الألم في رجلك منذ اليوم الذي صرخت فيه بوجه كاتبة الطابعة، ووبختها بسبب سوء طباعتها، وكانت امرأة علوية فآذيتها وأبكيتها. ويجب عليك حالياً أن تبحث عنها وتعتذر منها وتسترضيها حتى يزول الألم من رجلك».

فقال الرجل: كلامك صحيح، لقد كانت تلك المرأة تعمل كاتبة طابعة في الدائرة، وقد صرخت بوجهها وبكت»[1].

مرض لسوء ظنه:

نقل السيد محمود العطاران: كنت في أحد الأعوام بين مجموعة الندب واللطم في محلة (سردزك) وكان بين مجموعة الضرب بالسلاسل شاب جميل ينظر إلى النسوة، فلم أطق فعله، فتوجهت نحوه وصفعته، وأخرجته من بين أفراد المجموعة. بعد دقائق من ذلك سرى ألم في يدي التي صفعته بها، وأخذ يزداد شيئاً فشيئاً، حتى اضطررت لمراجعة الطبيب، فلم يتمكن من اكتشاف سبب الألم، فأعطاني مرهماً لتسكين الوجع.

فاستعملت المرهم دون فائدة، وكان الألم في تصاعد مستمر، والورم في ازدياد، عدت إلى المنزل وأنا أتلوى من الألم، ولم أستطع النوم في الليل، وعندما غفوت آخر الليل رأيت السيد (شاهشراغ) في منامي، فقال لي: عليك أن تُرضي ذلك الشاب.

---

(١) كيمياء المحبة: ص١٤٧.

ولما أصبحت أدركت سبب الألم والورم، فخرجت أبحث عن ذلك الشاب، حتى وجدته فاعتذرت منه وأرضيته. عندها سكن الوجع في نفس اللحظة، وذهب الورم. وأدركت أني أخطأت معه، وأسأت الظن به، وأهنت مشاركاً في عزاء سيد الشهداء عليه السلام»[١].

كما تدين تُدان

روي أن رجلاً سقّاء كان في بلاد بخاري وكان يجيء إلى دار صائغ بالماء منذ ثلاثين سنة، ولم يصدر منه نظرة سوء قط، فجعل يوماً يمسك زوجة الصائغ من زندها ويلمسها ويقبلها، ويضمها إلى نفسه.

فراح السقّاء وجاء الصائغ فسألته إمرأته عن فعله في السوق ذلك اليوم، وألحت عليه في الصدق، قال: إن امرأة كشفت عن زندها لتدخلها في السوار، فلما رأيت ساعدها لمستها بسكر الشهوة[٢].

حكى العلامة السيد جعفر شبر النجفي قال: «نقل لي الثقة العادل الورع حجة الإسلام الشيخ باقر القاموسي رحمه الله قال: إن شاباً غضب على أبيه فجعل يضربه، ثم وضع في رقبته شيئاً وقام يسحبه، وأبوه ساكت لا يتكلم إلى أن أوصله إلى باب الدار فخرج الولد إلى الخارج وأراد أن يسحب أباه حتى يلقيه في الطريق، فمد الأب يده وقبض على يد ولده وقال له: إلى أين تريد أن تذهب بي؟ فإني

---

(١) الكرامات الحسنية: ص٤٥.

(٢) كما تدين تدان: ص٧٥.

ضربت أبي ثم سحبته إلى باب الدار، وقد فعلت بي ما فعلت أنا بأبي، وقد جازاني الله بما فعلت»[١].

عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «كان في ما أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى على نبينا عليه السلام: يا موسى بن عمران من زنى زني به ولو في العقب من بعده، يا موسى بن عمران عفّ يعفّ أهلك... كما تدين تدان»[٢].

---

(١) الجوهر الثمين في معرفة أصول الدين.

(٢) الوافي: ج١٢.

قانون النظام

قانون النظام سار في جميع الوجود، فالكون محكوم بالنظام، فلا الشمس تدرك القمر، ولا الليل سابق النهار، وكل في فلك يسبحون... وهكذا الحال في وجود الحيوانات والنباتات والناس... وأي خروج عن هذا النظام مصيره الدمار والفناء، فخروج الجسم الإنساني عن النظام الصحي يؤدي إلى المرض، مثلاً: إذا تغلبت الكريات البيضاء على الكريات الحمراء حدث خلل وفوضى وفساد...

إنَّ هذا القانون هو رسالة للإنسان تؤكد أنه جزء من هذا النظام، وأنه إن خرج عليه أو تلاعب فيه فمصيره الدمار، ولذلك ينبغي تحديد مواقع اللا نظام فيها.

فقد ثبت أنك عندما تنجز عملاً ما سواء بشكل منظم أو غير منظم فإن طاقتنا المستهلكة للقيام بها لا تعود إلينا بعد الفراغ من أدائها تماماً. فالمرأة عندما تبتاع منظراً تطريزياً خيشياً تدفع إزاءه قدراً من المال أي تصرف جهداً وطاقة ثم تكمل تطريزه فإن تركته جانباً قبل إتمامه سوف تتثبت فيه الطاقة المستهلكة في التطريز دون أن تعود

إليها. إنها لا تستعيد تلك الطاقة والحيوية إلا إذا أنهت تطريزه ووضعته في إطار مناسب وعلقته على الجدار.

وإتمام أي عمل هو بحد ذاته نوع من النظام. والتخطيط للحياة وتحديد مواعيد أداء الأعمال هو نوع من النظام. فأنت كلما ازددت التزاماً بالنظام تكون أكثر انسجاماً مع دورة نظام الوجود[١].

من هنا جاء في كلام الإمام علي عليه السلام وهو على فراش الموت: «أوصيكم بتقوى الله ونظم أمركم»[٢].

فبقدر ما يوجد النظام في حياة الإنسان فإنه يحقق:

١ - النجاح.

٢ - سرعة التنفيذ.

٣ - عدم التخبط والفشل.

وللوصول إلى هذه المرحلة لا بد من تنظيم الأفكار، والتخطيط ثم التنفيذ.

---

(١) كل شيء ممكن مع الله ص ٣٨.

(٢) نهج البلاغة.

قانون الزوجية

يشير القرآن الكريم إلى هذا القانون بقوله: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩].

ومعناه أن كل شيء في الوجود يحتوي على زوجين هما «الذكر والأنثى» أو «الموجب والسالب» ويقال له في علم «الماكروبيتك» «الين واليانغ»، فهناك ليل ونهار، ورجل وامرأة، وحار وبارد، وصيف وشتاء، وسماء وأرض، وروح وبدن، وظاهر وباطن، وجذب ودفع، وقبض وبسط، إلى غير ذلك من مظاهر الحياة.

فمن تعرف على هذا القانون استطاع الوصول إلى الكمال، وذلك من خلال.

١ - العمل على الوحدة، فمن تخلص من إزدواجية النفس وصل إلى وحدة العقل، ومن تخلص من إزدواجية الدنيا وصل إلى وحدانية الله تعالى، وفي الواقع فإن هدف الأديان هو الوصول إلى الوحدة وترك التكاثر.

٢ - مراعاة الصحة الجسدية في تعادل الأضداد، وهو ما يُعرف اليوم بعلم «الماكروبيوتك» القائم على شفاء المراض بتعادل الأطعمة

التي يأكلها الإنسان، وإليه الإشارة في حديث الإمام الصادق عليه السلام: «أداوي الحار بالبارد، والبارد بالحار، والرطب باليابس، واليابس بالرطب، وأرد الأمر كله إلى الله»[١].

(١) النظام الصحي: ص٤٦٥.

قانون الجذب

ينص هذا القانون، وباختصار، على أن الإنسان يجتذب الأحداث والأشخاص والظروف من حوله عبر موجات كهرومغناطيسية غير مرئية عن طريق عقله الباطن. إن مثل عقلك الباطن كمثل الإيريال، والرغبات في داخله كمثل الرسيفر (جهاز التحكم للتلفاز)، وأنت بعقلك الباطن ورغباتك الداخلية تجتذب الأشياء والأحداث الإيجابية والسلبية من حولك، تماماً مثل الإيريال الذي يلتقط مئات الأصوات والصور من فوق سطح منزلك!

إنَّ قانون الجذب مؤيد بقول النبي ﷺ عن ربه في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء». أي للعبد ما ظن! وفي هذا المعنى محتوى خطير إذ يلمح إلى أن كل ما يحصل للإنسان هو الذي جلبه لنفسه بظنه، كما في الآية القرآنية: «ما أصابك من مصيبة فمن نفسك».

«القدر موكل بالمنطق»، وهذا المعنى مؤيد بالآيات تلميحاً وبالأحاديث تصريحاً. من هنا كان الاهتمام بما تتلفظ به مهماً أيضاً مثل ما تفكر به، ألا ترى الناس يحصل لها ما تتلفظ به؟ فأم تدعو على نفسها بالمرض بسبب شغب أولادها يحصل لها ما تتلفظ به،

رجل يتلفظ قائلاً: «راض بالهم ولا هذه الزوجة» يصاب بالهم المستمر.

ومن قوانين الجذب «الدعاء» فبالدعاء يطلب الإنسان فيجذب الإستجابة...

ومما يساعد على الجذب:

١ - الإفراغ وتحدثنا عنه في قانون «الفراغ».

٢ - الرغبة في الحصول على الشيء.

٣ - تحديد ما يريده الإنسان.

قانون السعي

ومعناه أن الإنسان لا ينال إلا ما سعى من أجله، فالرزق لا يأتي إلا بعد السعي، والعلم لا يحصل إلا بعد الدراسة والجدّ، والثواب في الآخرة لا يُنال إلا بالعمل الصالح وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ [النجم: ٣٩ - ٤٠].

والسعي هوالسير السريع الذي لا يصل لمرحلة الركض، إلا أنه يُستعمل في الجدّ والمبالغة، فالإنسان لا يملك إلا ما يسعى إليه من عمل صالح، فسعي الإنسان هو الشيء الوحيد الذي يملكه في الدنيا لأنه يصدر منه ويعود إليه، وأما المال والبيوت والأولاد فليس ملكاً له، وسيرى جزاء هذا السعي في الدنيا والآخرة.

قال د. مجدلاني: «في جميع الظروف والأحوال يبحث الناس عن الأسهل والأسرع في نيل المبتغى، أما في الأمور الحياتية والمصيرية فيتوجب على الفرد الجدّ والاجتهاد والكد والتعب ليتوصل إلى النتيجة»(١).

فهذا قانون إلهي من سعى وجد، ومن سعى للدنيا وصل إليها،

---

(١) الرسائل العشر: ص٢٧.

ومن سعى للآخرة نال ثوابها، قال تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

ومما ينبغي السعي له:

١ - ذكر الله تعالى: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩].

٢ - العمل الصالح: قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٤].

٣ - الرزق للعيال.

هاجر والسعي

لقد ذكر التاريخ نموذج من السعي، وهو سعي هاجر للحصول على الماء لتروي عطش ولدها إسماعيل، وقد حصلت على ما سعت إليه، فنبع الماء من تحت قدمي ولدها، وصار السعي سُنّة دينية عبر التاريخ، ليبقى درساً للأجيال إن من سعى وصل، ومن جدّ وجد.

فعن رسول الله ﷺ: «من طلب شيئاً وجدّ وجد»[1].

---

(١) نهج الفصاحة: ج١، ص٤٦٧.

قانون الميزان

الميزان من أهم القوانين الإلهية، فمن مشى على ضوء الميزان نال السعادة والكمال، ومن تلاعب في الميزان فمصيره إلى الشقاء، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧].

والموازين التي يجب مراعاتها هي:

١ - ميزان الكون، فالحياة الكونية قائمة على نظام إلهي، فلا يجوز التغيير الذي يؤدي إلى الفساد، قال تعالى: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ﴾ [الرحمن: ٨].

٢ - ميزان الجسد والروح، فالإنسان هو كائن مركب من جسم وروح ولكل منهما متطلبات خاصة، فمن أعطى كل شيء حقه فقد قام بالميزان، وإلا حصل عنده الطغيان.

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «عرفان المرء نفسه أن يعرفها بأربع طبائع... فطبائعه الدم والمرة والريح والبلغم... فإذا حلت به الحرارة أشر وبطر وارتاح وقتل وسرق وبهج واستبشر وفجر وزنا وبذخ... وإذا كانت باردة اهتم وحزن واستكان وذبل ونسي، فهذه

العوارض التي يكون منها الأسقام»[1].

٣ - ميزان العقل والعاطفة، فلا يصح أن يغلب أحدهما على الآخر، وإلا حصل الخلل في العقل والمشاعر، فإذا حصل التوازن استطاع الإنسان أن يملك نفسه في الحب والبغض، والعز والذل، والغنى والفقر...

وقد جاء في صفة المؤمن عن الامام الصادق عليه السلام انه قال: «ثلاثة هم أقرب الخلق إلى الله يوم القيامة حتى يفرغ من الحساب: رجل لم تدعه قدرته في حال غضبه إلى أن يحيف على من تحت يده، ورجل مشى بين اثنين فلم يمل مع أحدهما على الآخر بشعيرة، ورجل قال بالحق فيما له وعليه»[2].

الفساد والطغيان

لقد أحدث الإنسان خللاً في موازين الكون والحياة فظهرت الكوارث والمحن والبلايا والأمراض.

قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

---

(١) تحف العقول: ص٢٥٧.

(٢) بحار الأنوار: ج٧٢، ص٢٦.

قانون الفراغ

ينص هذا القانون على أن:

«الفراغ يمثل على الدوام عامل اجتذاب».

فالعامل المساعد على الاجتذاب هو وجود الفراغ لا غير، وكلما ازداد الفراغ سعة وكبر ازدادت قابلية الاجتذاب.

مثلاً لو أن بحوزتنا غرفة مزدحمة جداً بالأثاث وليس فيها مجال حتى لإدخال أصغر شيء متوقع إليها، وقد اشترينا طقمين من الأثاث لهذه الغرفة. ومن المقرر أن يتم نقلها إليها، العمال ينتظرون خارج الغرفة وهم يحملون الأثاث على أكتفاهم ونحن نلح عليهم: أدخلوها إلى الغرفة، إنهم يرغبون في إدخالها ولكن ليس في الغرفة أي مجال لهذه الأثاث، ليس هنالك أي فراغ يمكن تعبئة الأثاث فيه.

أما إذا نفرغ مجالاً ما من الغرفة، فعلى قدر ما نوجد، بمثل هذه المبادرة، من فراغ يمكننا أن ندخل من الأثاث الجديدة إليها، فبإفراغ ثلث مساحة الغرفة يمكننا إدخال طقم من الأثاث إليها وإن نجحنا في إفراغ نصف الغرفة يتيسر لنا إدخال كلا الطقمين إليها.

والحياة هكذا أيضاً، إنني لو كنت راغباً في اجتذاب النعم الإلهية والحصول عليها، لا بد أن أوجد لذلك الفراغ المناسب.

للزوبعة قوة تتجاوز قوة الرياح بكثير، فالزوبعة تتكون بتلاقح عدة رياح في غاية القوة والحدة فتجرف معها كل شيء.

فقدرة الإجتذاب الفائقة في الزوبعة تنشأ من فراغها الداخلي، الزوبعة تخضع لحركة متواصلة ولكنها جوفاء، فجوفها الفارغ هو عامل كل هذا الاجتذاب والانشداد.

وأنت في الشارع أو المنتزه أمعن النظر فيما حولك، سوف تجد زوبعات صغيرة تسحب عدة وريقات إلى جوفها، ومحدودية قوة جذبها يعود إلى محدودية حيز فراغها الداخلي، إنه لا يسع لأكثر من مقدار من الأوراق وقدر من الأتربة والغبار، وهنالك بالطبع زوبعات ذات فراغ داخلي أكبر مما يزيد من قدرة اجتذابها وسحبها.

المطلوب من الإنسان أيضاً أن يتمثل بالزوبعة، فإن كنت تعتزم اجتذاب النعم الإلهية وأن تحرز نتائج مثمرة من خلال خططك وجهودك الجسمية وإيحاءاتك وتصوراتك ومحاولاتك الفكرية وأن ينال تضرعك وأدعيتك الاستجابة فيجب:

أولاً: أن تفسح المجال المناسب بإفراغ ما في بطنك، ففراغ الباطن موضوع يمكن تقصيه في جميع جوانب وجود الإنسان، فأول فراغ ينبغي تحقيقه هو فراغ الذهن وفراغ القلب، لا بد لك أن تفرغ ذهنك وقلبك في المرحلة الأولى، من كل شيء عابث يقبع فيهما، ومن كل شيء ضار أو لا يحقق نفعاً، ومن الأحقاد، ومن مشاعر النفور، والانتقام،والحسد، والحسرة المرضية، واليأس والقنوط، وسوء الظن، وطلب الشر للآخرين، والتفكر السلبي، وبالإجمال من

كل شيء يشغل حيزاً ما في ذهننا وقلبنا دون مسوغ، فأي ذهن وقلب يعمهما مثل هذه الأشياء لا يمكنهما استيعاب وتقبل واجتذاب النعم الإلهية.

ولكن.. كيف يمكن إيجاد هذا الفراغ؟ كيف يسعنا تحرير الذهن والقلب مما يقبع فيهما من مثل هذه الأمور وإفساح المجال فيهما ليكونا على استعداد لتقبل واجتذاب النعم والعطايا الإلهية؟

العفو والصفح:

من أساليب إيجاد هذا الفراغ هو الصفح والعفو عن الاخرين، ربما يخيل إلينا في بعض الأحيان أننا نحسن إلى أي شخص نصفح عنه، إلّا أن الأمر ليس هكذا.. فصفحنا هو قبل كل شيء إحسان ننجزه بحق أنفسنا لما يولده لدينا من فراغ ذهني.

والعفو والصفح من التخفيف من أعباء الذهن وإفراغ حيزنا الذهني وإفساح المجال فيه لتقبل ما هو مستحسن ومطلوب من الأمور.

فمن يحجب عن الصفح عن أبيه، لا يعفو عن أمه، لا يسامح صديقه، لا يتغاضى عن خيانة أحد زملائه في بيئة العمل و... فإنه بعدم صفحه يشغل بهم جميعاً مجالاً في ذهنه ويضخم صورتهم في ذهنه يوماً بعد يوم باستعادة ذكرهم في كل صباح وظهيرة وليلة حتى تشغل صورتهم هذه مجاله الذهني وتتقلص قابليته على الاجتذاب.

إننا بالصفح عن الآخرين نكون قد قدمنا جزيل الاحسان لأنفسنا ولكننا لا نعني بذلك بالضرورة الارتباط ثانية بالشخص المصفوح

عنه، فمثلاً لو وجه إليك شخص ما ضربة معينة فإنك غير مرغم للعفو عنه والارتباط ثانية به كما في السابق، فقد يعرضك مرة أخرى لصدماته.

فالعفو هو قبل كل شيء عملية ذهنية باطنية نحاول من خلالها استزادة الفراغ واجتذاب النعم الإلهية، تذكر دوماً أن ربنا الرحيم قد أغدق علينا بألف نعمة ونعمة، أحدها رحمته ورأفته بنا، والتي أكدها لنا قبل كل شيء في عبارة «بسم الله الرحمن الرحيم» ورحمته تستتبع صفحه وعفوه عنا.

فراغ أكبر:

في بعض الأحيان لا نكون ملزمين بتطهير ذهننا وإفراغه من الحقد والنفور وبقية الأمور السلبية فقط بل يجب إفراغه من بعض الإيجابيات أيضاً لاستزادة إمكانية الاجتذاب، ولنفرض أنك تحظى بمستوى علمي، معلومات وخبرات مفيدة بالنسبة للآخرين، فنقل هذه المعلومات إلى الآخرين بعرضها عليهم، يولّد بحد ذاته فراغاً أيضاً، ويرفع مستوى استعدادك لاستيعاب معلومات جديدة.

الإعراب عن مشاعر الحب كذلك يولد فراغاً في قلبك في بعض الحالات، إنك بإعرابك عن حبك تفرغ مجالك الذهني مما يحتويه مما يزيد من قابلية اجتذاب الحنان والمحبة، فالأشخاص الذين يمتنعون عن الإفصاح عن مشاعر حبهم يحرمون أنفسهم في واقع الحال من اجتذاب مشاعر الحب، إنهم يشحنون مجالهم الذهني بالحنان والمحبة دون أن يحاولوا إفراغه في ظرف مناسب، فيحول

تثبته دون تكون الفراغ المناسب لاجتذاب مشاعر الحب من الطرف الآخر.

إفراغ الذنوب:

من أهم المبادرات الفاعلة لإيجاد الفراغ هو إفراغ الذنوب، وقد أكد رسول الله ﷺ أن أدعيتنا لا تستجاب إلا إذا أفرغنا من الذنوب.

وعملية إفراغ الذنوب تبدأ بمرحلة الندم ومراجعة النفس أي أنك لو كنت راغباً في نيل الاستجابة لأدعيتك لا بد لك بادئاً أن تراجع نفسك وتشعر بالندم على ما صدر عنك من إجراءات وأعمال سيئة، فتقر أمام الله بأنك جئت بكذا اساءة وفلان خطأ، فالخطيئة والذنب خروج وتمرد عن السنة الإلهية، أي سوء استغلال نعمة من النعم الإلهية، فإن ارتكبت هذا العمل، اعترف به أمام الله عند اختلائك بنفسك: إلهي كان ينبغي لي أن أشكرك على نعمائك باللسان الذي منحته لي، أن أوجه الآخرين وأرشدهم به، ولكنني وظفت لساني لقول الكذب، لاستغابة الغير و...

قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: «لا والله ما أراد الله تعالى من الناس إلا خصلتين، أن يقروا له بالنعم فيزيدهم، وبالذنوب فيغفر لهم»[1].

---

(١) أصول الكافي، الكليني، المجلد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب الاعتراف بالذنوب والندم عليها، ص٤٢٦.

إنَّ الإقرار بالذنب والندم والإنابة إلى الله تولد الفراغ. وهذا الفراغ يفرز بشرى إلهية مؤكدة، قابلية لاجتذاب النعم الإلهية واستجابة لأدعيتنا ومطالبنا[1].

(١) كل شيء ممكن مع الله ص ١٥.

قانون الإبتلاء والامتحان

من السنن الإلهية قانون الاختيار والتمحيص والإبتلاء والإمتحان، وهو هدف من أهداف الخلق والإيجاد.

قال تعالى:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ١ - ٢].

وقال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ﴾ [هود: ٧].

وقال تعالى:

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨].

ولكن ابتلاء الأفراد يقع على درجات متفاوتة في الشدة والضعف، كما يختلف باختلاف أنواع البلاء.

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إنَّ في كتاب علي عليه السلام إنَّ

أشد الناس بلاءً النبيون ثم الوصيُّون ثم الأمثل فالأمثل، وإنما يُبتلى المؤمن على قدر أعماله الحسنة، فمن صح دينه وحسن عمله اشتد بلاؤه، وذلك أنَّ الله تعالى لم يجعل الدنيا ثواباً لمؤمن ولا عقوبة لكافر، ومن سخف دينه وضعف عقله قلَّ بلاؤه، وإنَّ البلاء أسرع إلى المؤمن التقي من المطر إلى قرار الأرض»[١].

وعن سدير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: هل يبتلى الله المؤمن؟ فقال: وهل يُبتلى إلا المؤمن؟ حتى أنَّ صاحب ياسين ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ﴾ كان مكنعاً، قلت: وما المكنع؟ قال: كان به جذام»[٢].

(١) الأربعون حديثاً: ص٢٢٦.

(٢) ميزان الحكمة.

قانون الداء والدواء

خلق الله تعالى الأودية لعلاج ما يعترى الإنسان من أمراض جسدية وروحية، فالدواء هو قانون لا محيص عنه للمريض.

عن رسول الله ﷺ: «لكلِّ داءٍ دواءٌ، فإذا أصيب الدواء الداء برأ بإذن الله عزّ وجلّ»[١].

وعنه ﷺ: «إنَّ الذي خلق الأدواء خلق لها دواء»[٢].

عن جابر: إنَّ رسول الله ﷺ عاد مريضاً وأنا معه فقال: «ألا ندعو لك طبيباً؟

قال: وأنت تأمر بهذا يا رسول الله؟

قال: نعم، إن الله لم ينزل داءً إلا وقد أنزل له دواءً»[٣].

عن هلال بن يساف: «جرح رجلٌ على عهد رسول الله ﷺ فقال: أدعوا له الطبيب.

فقال: يا رسول الله، هل يغني عنه الطبيب؟

---

(١) دعائم الإسلام: ج٢، ص١٤٤، ح٥٠٠؛ بحار الأنوار: ج٦٢، ص٧٣، ح٣٠.

(٢) تاريخ بغداد: ج١٤، ص٣٤٨.

(٣) بحار الأنوار: ج٦٢، ص٧٢، ح٢٧.

قال: نعم، إن الله تبارك وتعالى لم ينزل داءً إلا أنزل معه شفاءً»[١].

عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ نبياً من الأنبياء مرض، فقال: لا أتداوى حتى يكون الذي أمرضني هو الذي يشفيني.

فأوحى الله عزّ وجلّ: لا أشفيك حتى تتداوى؛ فإن الشفاء مني»[٢].

ذكر بعض العلماء في الإسرائيليات أن موسى عليه السلام اعتل بعلةٍ، فدخل عليه بنو إسرائيل فعرفوا علته.

فقالوا له: لو تداويت بكذا لبرأت.

فقال: لا أتداوى حتى يعافيني هو من غير دواء، فطالت علته.

فقالوا له: إن دواء هذه العلة معروفٌ مجربٌ، وإنا نتداوى به فنبرأ.

فقال: لا أتداوى، وأقامت علته، فأوحى الله تعالى إليه: وعزتي وجلالي، لا أبرأتك حتى تتداوى بما ذكروه لك.

فقال لهم: داووني بما ذكرتم، فداووه فبرأ، فأوجس[٣] في نفسه من ذلك.

فأوحى الله تعالى إليه: أردت أن تبطل حكمتي بتوكلك علي؛ من أودع العقاقير منافع الأشياء غيري؟»[٤].

---

(١) مكارم الأخلاق: ج٢، ص١٨٠، ح٢٤٦٥؛ بحار الأنوار: ج٨١، ص٢١١، ح٣٠.

(٢) لسان العرب: ج٦، ص٢٥٣.

(٣) إحياء علوم الدين: ج٤، ص٤١٣؛ المحجة البيضاء: ج٧، ص٤٣٢.

(٤) الطب النبوي لابن قيم: ص١٧.

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

إنَّ إبراهيم عليه السلام قال: يا ربِّ، ممن الداء؟

قال: مني.

قال: فممن الدواء؟

قال: مني.

قال: فما بال الطبيب؟

قال: رجلٌ أرسل الدواء على يده»[(١)].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «كان يسمى الطبيب (المعالج) فقال موسى بن عمران: يا ربِّ، ممن الداء؟ قال: مني.

قال: فممن الدواء؟

قال: مني.

قال: فماذا يصنع الناس بالمعالج؟

قال: يطيِّبُ بذلك أنفسهم فسمِّي الطبيب لذلك»[(٢)].

وعن أبي رمثة: «أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله مع أبي فرأى التي بظهره.

فقال: يا رسول الله، ألا أعالجها لك فإني طبيبٌ؟

قال: أنت رفيقٌ والله الطبيب»[(٣)].

---

(١) علل الشرائع: ص٥٢٥، ح١؛ الاعتقادات: ص١١٦؛ الكافي: ج٨، ص٨٨، ح٥٢؛ تنبيه الخواطر: ج٢، ص١٣٦.

(٢) مسند ابن حنبل ج٦، ص١٥٨، ح١٧٤٩٩؛ سنن أبي داوود: ج٤، ص٨٦، ح٤٢٠٧؛ المعجم الكبير: ج٢٢، ص٢٨٠، ح٧١٥؛ السنن الكبرى: ج٨، ص٤٩، ح١٥٨٩٧؛ مسند الحميدي: ج٢، ص٣٨٢، ح٨٦٦.

(٣) إحياء علوم الدين: ج٤، ص٤١٤؛ المحجة البيضاء: ج٧، ص٤٣٣.

روي عن موسى عليه السلام أنه قال: «يا ربِّ، ممن الداء والدواء؟

فقال: مني.

قال: فما يصنع الأطباء؟

قال: يأكلون أرزاقهم ويطيِّبون نفوس عبادي؛ حتى يأتي شفائي أو قضائي»[1].

(١) موسوعة الأحاديث القدسية ص ٤٥.

قانون الإستبدال

ومعناه أنَّ الله تعالى يختار قوماً من عباده، ويسند لهم دوراً تاريخياً قيادياً لحمل رسالته والإشراف على تجربتها السياسية والحضارية، لكنَّ القوم يخونون أمانته وينحرفون عن نهجها الرسالي الأصيل، فيطبق عليهم قانون الاستبدال، فيعاقبهم على خيانتهم وينحيهم عن موقع القيادة، ويأتي بقوم آخرين بدلاً منهم أجدر على حمل الرسالة، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٩].

ويعتبر قانون الاستبدال القرآني أحد أهم القوانين التغييرية على المستوى العقائدي والسياسي والجهادي في الحياة الاجتماعية.

والاستبدال كما يحدث بين الشعوب والمجتمعات كذلك يقع بين الأفراد، وكان الإمام الصادق عليه السلام يقول في دعائه: «واجعلني ممن تنتصر به لدينك ولا تستبدل بي غيري».

قال العلامة المجلسي في شرح هذا الدعاء: إنه عليه السلام يشير إلى قوله: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ [محمد:

٣٨]، أي لا تجعلني بسبب المعاصي مستوجباً لغضبك حتى تذهب بي وتأتي بغيري مكاني لنصرة دينك.

وسبب الاستبدال هو التولي عن طاعة الله تعالى وكثرة الذنوب والمعاصي، قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الروم: ١٠].

ولقانون الاستبدال ثلاث تطبيقات تاريخية نص عليها القرآن الكريم:

الأول: استبدال الجيل الإسرائيلي المنحرف الجبان الخائن للأمانة - بعد التيه - بالجيل الإسرائيلي المجاهد المقاوم، الذي تمكّن من تحرير فلسطين من سلطنة الجبارين، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٤ - ٢٦].

الثاني: معاقبة بني إسرائيل لخيانتهم للأمانة الإلهية وانحرافهم عنها وكفرهم بها، واستبدالهم بالعرب للقيام بالدور القيادي في الإشراف على التجربة السياسية والحضارية للرسالة الخاتمة، وفي الإشارة إلى هذا الاستبدال قال تعالى موجهاً الخطاب للنبي ﷺ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤].

الثالث: استبدال القيادات العربية المنحرفة عن الإسلام والمتخاذلة عن تحرير فلسطين، بالقيادات الإيرانية لإعادة الإسلام إلى قيادة الحياة من جديد وتحقيق أهدافه السياسية والجهادية، وإحباط

خطط الأعداء المتآمرين عليه من طواغيت اليهود والنصارى والمنافقين ومرضى القلوب[١].

ويقع الاستبدال الثالث والأخير في تاريخ الأمة، بعد توفر شروطه الموضوعية، ضمن مسلسل الأحداث التاريخية، والمقدمات السياسية الممهدة لقيام دولة الإسلام العالمية بقيادة الإمام المنتظر عليه السلام.

فعن جابر أن النبي صلى الله عليه وآله تلا هذه الآية: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ [محمد: ٣٨]، فسئل: من هم؟ قال: «فارس لو كان الدِّين بالثريا لتناوله رجالٌ من فارسٍ»[٢].

وعن أبي هريرة أنه قال: «قال ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله إن تولينا استبدلوا، ثم لم يكونوا أمثالنا؟ قال: وكان سلمان بجنب رسول الله صلى الله عليه وآله فضرب على فخذه وقال: «هذا وأصحابه والذي نفسي بيده، لو كان الإيمان منوطاً بالثريا لتناوله رجالٌ من فارس».

وفي رواية أخرى قال: «هم الفرس هذا وقومه»، وفي رواية ثالثة قال صلى الله عليه وآله: بعد أن ضرب على منكب سلمان: «وهذا وقومه هذا وقومه».

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٣٣] قال الزمخشري: يروي

(١) ثورة الموطئون للمهدي ص ١٠.
(٢) سقوط إسرائيل: ص١٠٠.

عن أبي هريرة أنها لما نزلت ضرب رسول الله ﷺ بيده على ظهر سلمان وقال: «إنهم قوم هذا» يريد أبناء فارس.

وروى الزمخشري عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩] قال: «هم الفرس».

وقال الزمخشري في معنى توكيلهم بها: إنهم وفقوا للإيمان بها أو القيام بحقوقها، كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به، ويتعهده ويحافظ عليه.

وروي عن سعيد بن جبير في تفسير قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]، قال: «هم أبناء فارس».

فنجد في التاريخ أن العرب قد حققوا الشروط الموضوعية لقانون الاستبدال، وأهم ذلك أنهم تركوا ولاية الإمام علي عليه السلام، كما تركوا فريضة الجهاد فاستبدل بهم الفرس الذين حملوا راية الولاية لأئمة أهل البيت عليهم السلام والجهاد في سبيل الله تعالى(١).

(١) سقوط إسرائيل: ص١٠٠.

قانون السببية

خلق الله تعالى الكون على نظام الأسباب والمسببات، فما من شيء يجري في الوجود إلا وله سبب ظاهر أو خفي، ومادي أو غيبي، ومباشر أو غير مباشر، وقريب أو بعيد.

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «أبى الله أن يجري الأمور إلا بأسباب، فجعل لكل شيء سبباً وجعل لكل سببٍ شرحاً، وجعل لكل شرح علماً، وجعل لكل علم باباً ناطقاً، عرفه من عرفه وجهله من جهله، ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن»[(١)].

إنَّ الاعتقاد بوجود هذا القانون يجعلنا نقف على حقيقة مهمة وهي أنه لا وجود للصدفة والحظ والنصيب والفوضى، فكل شيء بسبب وبقدر، وكل عمل له نتيجة وجزاء.

قال أحد الحكماء: «ناموس العدل الإلهي يحكم عالمنا البشري، والناموس ليس مجموعة بنود ومواد كالقوانين الأرضية التي إن خُولفت استدعت العقاب، هو بالأحرى قانون سبب ونتيجة، قائم

---

(١) ميزان الحكمة مادة «سبب»..

على مبدأ واحد لا غير، يجسد الفعل وردة الفعل، وهو مثلما تزرع تحصد مهما تكن نوعية الزرع»[١].

وهذا القانون هو الذي يجعلنا نتساءل عن بعض الظواهر والأحداث التي تجري في حياتنا الشخصية أو الكونية، فمثلاً: لماذا يُصاب الإنسان بمرض في المعدة أو الرأس أو الظهر؟ ولماذا يُرزق بالإناث دون الذكور؟ ولماذا يموت ولده؟ إلى ما هنالك من التساؤلات في شتى المجالات.

وبالوقوف على الأسباب يستطيع الإنسان أن يتخلص من آثاره التي تحيط به كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وفي الواقع فإن الكثير من الناس لا يلتفتون إلى هذا القانون، وبالتالي فإنهم يصابون بالبلايا والأمراض وما أشبه، وهم يظنون أن سبب ذلك الأمور المادية الظاهرية، غافلين عن الأسباب الباطنية الغيبية والتي هي الأساس في ما يجري علينا.

أما أولياء الله تعالى - الذين ينظرون إلى حقائق الأشياء - فيعرفون من خلال التفكر والتدبر والمحاسبة والمراقبة الأسباب والنتائج، فعندما يرون تغييراً في حياتهم فإنهم يختلون مع أنفسهم ليحاسبوها ويعرفوا سر ما حصل لهم، وبالتالي ليغيروا ما جرى عليهم، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، والشواهد على ذلك كثيرة سنذكر بعضها في الكتاب إن شاء الله تعالى، ومن ذلك: ما حصل مع العالم العارف السيد علي بن طاووس عند قدوم

---

(١) رحلة في خفايا الذات ص ٦١٧.

العبد الصالح «عبد المحسن» عليه، وهو يحمل رسالة له من الإمام المهدي الحجة محمد بن الحسن (عج) فبعد أن استلم الرسالة منه وأوصاه أن يكتم الأمر، عرض عليه شيئاً فامتنع عبد المحسن مستغنياً، وبات عنده في مسكنه بـ «الحلة»، وعندما قام السيد لصلاة الليل، وقدّم له غلامه الإبريق حدثت حادثة غريبة ننقلها ملخصاً مما كتبه السيد، يقول رَحِمَهُ اللهُ -: «فمددت يدي ولزمت عروته - الإبريق - لأفرغ على كفي فأمسك ماسك فم الإبريق وأداره عني ومنعني من استعمال الماء في طهارة الصلاة، فقلت: لعل الماء نجس فأراد الله أن يصونني عنه، فإن الله جل جلاله علي عوائد كثيرة، أحدها مثل هذا وأعرفها، فناديت إلى فتح (اسم غلامه)، فقلت: من أين ملأت الإبريق؟ قال: من المسيبة، فقلت: هذا لعله نجس، فاقلبه واشطفه، واملأ من الشط، فمضى وقلبه وأنا أسمع صوت الإبريق وشطفه وملأه من الشط، وجاء به فلزمت عروته وشرعت أقلب منه على كفي، فأمسك ماسك فم الإبريق، وأداره عني ومنعني منه، فعدت صبرتُ ودعوت بدعوات وعاودت الإبريق فجرى مثل ذلك، فعرفت أن هذا منعٌ لي من صلاة الليل في تلك الليلة، قلت في خاطري: لعل الله يريد أن يجري علي حكماً وابتلاءً غداً، ولا يريد أن أدعو الليلة بالسلامة من ذلك، وجلست لا يخطر بقلبي غير ذلك، فنمت وأنا جالس، وإذا برجل يقول لي: هذا - يعني عبد المحسن - الذي جاء بالرسالة كان ينبغي أن تمشي بين يديه، فاستيقظت، ووقع في خاطري أني قد قصّرت في احترامه وإكرامه فتبت إلى الله جل جلاله، واعتمدت ما يعتمد التائب من مثل ذلك، وشرعت في الطهارة فلم

يمسك أحدٌ الإبريق وتركت على عادتي، فتطهرت وصليت ركعتين، فطلع الفجر فقضيت صلاة الليل، وفهمت أنني ما قمت بحق هذه الرسالة، فنزلت إلى الشيخ عبد المحسن وتلقيته وأكرمته... ومشيت بين يديه كما أُمرت في المنام إلى ظاهر الدار وأوصيته بالكتمان والحمد لله».

كما ان ما جرى بين النبي موسى عليه السلام والخضر عليه السلام يبين لنا أن لكل نتيجة سبب وأن في الحياة أسراراً قد لا يدركها حتى الأولياء.

قد يقال: إن ما نراه من بعض الحوادث الكونية والطبيعية مردة إلى أسباب مادية معروفة كسبب الأمراض والزلازل ولا دخل للأسباب بالمعنوية؟

الجواب: إننا لا ننكر وجود الأسباب المادية، وإنما نريد أن نلفت النظر إلى أن وراء الأسباب المادية أسباباً معنوية، والعمل هو سبب معنوي فوق السبب المادي، وهو ما يخفى على أكثر الناس، ونقرب ذلك للأذهان بما يجري على الإنسان من أمراض جسدية، فقد يراها البعض أسباباً مادية إلا أن أهل الاختصاص يرون ذلك أسباباً نفسية خفية في العقل الباطن، وهكذا فإن أطباء الروح يعرفون الأسباب الغيبية التي تؤثر والأسباب المادية.

قانون تحمل المسؤولية

يوجد في قانون الحياة المادية قاعدة وهي أن «كل فعل له رد فعل»، وفي قانون الحياة المعنوية أن كل عمل يقوم به الإنسان يعود إلى نفسه ويرتد عليه.

قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٢٣].

فما يجري على الإنسان من تغيير من الأحسن إلى الأسوأ أو العكس إنما هو من ذاته، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣].

ومن هذا المنطلق فإن كل إنسان يتحمل مسؤولية عمله، ففي هذا

القانون لن يذهب شيء هدراً - في جميع العوالم التي مر بها - فقد جاء في الروايات الشريفة أن الإنسان خلق قبل هذا العالم الدنيوي في عالم آخر يُسمى بـ«عالم الذر» وهناك عاش فترة من الاختبار والامتحان ثم نزل إلى الدنيا ليكمل الاختيار، وما يجري عليه في هذا العالم هو إنعكاس لذلك العالم.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣].

وقد جاء في بعض التفاسير المستفادة من الروايات أن الله تعالى أخرج جميع البشر من صلب آدم بهيئة الذر، ثم أشهدها على نفسها لتشهد على الله تعالى.

سئل الإمام الصادق عليه السلام عن تفسير قول الله تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النجم: ٥٦].

فقال عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى لما ذرأ الخلق في الذر الأولى فأقامهم صفوفاً قدامه بعث الله محمداً فآمن به قوم وأنكره قوم»[(١)].

وفي زيارة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام: «السلام عليك يا ممتحنة، امتحنك الذي خلقك قبل أن يخلقك فوجدك لما امتحنك به صابرة»[(٢)].

---

(١) بحار الأنوار: ج٥، ص٢٣٥.

(٢) مفاتيح الجنان: ص١٠١.

وبعد عالم الذر ينتقل الإنسان إلى «عالم الأرحام» فتحل الروح في الجسد ليخرج بعد ذلك إلى عالم الدنيا.

عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: «إنَّ الله عزّ وجلّ إذا أراد أن يخلق النطفة التي مما أخذ عليه الميثاق في صلب آدم أو ما يبدو له فيه ويجعلها في الرحم، حرّك الرجل للجماع وأوحى إلى الرحم أن افتحي بابك حتى يلج فيك خلقي وقضائي النافذ وقدري، فتفتح الرحم بابها فتصل النطفة إلى الرحم فتردد فيه أربعين يوماً، ثم تصير علقة أربعين يوماً، ثم تصير مضغة أربعين يوماً، ثم تصير لحماً تجري فيه عروق مشتبكة، ثم يبعث الله ملكين خلاّقين يخلقان في الأرحام ما يشاء الله فيقتحمان في بطن المرأة من فم المرأة فيصلان إلى الرحم، وفيها الروح القديمة المنقولة في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فينفخان فيها روح الحياة والبقاء، ويشقان له السمع والبصر وجميع الجوارح وجميع ما في البطن بإذن الله تعالى. ثم يوحي الله إلى الملكين: اكتبا عليه قضائي وقدري ونافذ أمري، واشترطا لي البداء في ما تكتبان، فيقولان: يا رب ما نكتب؟ فيوحي الله إليهما أن ارفعا رؤوسكما إلى رأس أمه، فيرفعان رؤوسهما فإذا اللوح يقرع جبهة أمه، فينظران ما فيه فيجدان في اللوح صورته وزينته وأجله وميثاقه شقياً أو سعيداً وجميع شأنه، قال: فيملي أحدهما على صاحبه فيكتبان جميع ما في اللوح، ويشترطان البداء في ما يكتبان»[1].

---

(١) فروع الكافي ج ٦ ص ١٤.

قال السيد حسن الشيرازي رحمه الله:

«فالإنسان لم يخلق يوم ولادته، ولا ينتهي يوم وفاته، وإنما هو خلق كان - قبل هذا العالم - في عوالم سابقة، وسيبقى - بعد هذا العالم - في عوالم لاحقة.

والعوالم السابقة عوالم عمل كهذا العالم - باختلاف في نوعية العمل - وهكذا عالم البرزخ وعالم القيامة، ولو بالنسبة إلى من لم يكملوا دورة تكاملهم - على الأقل -.

فالذي كانت أعماله في العوالم السابقة إيجابية، تنعكس عليه في هذا العالم إيجابياً، ومن كانت أعماله في العوالم السابقة سلبية، تنعكس عليه في هذا العالم سلبياً.

ومن عمل لنفسه في العوامل السابقة فعمله ينعكس عليه في هذا العالم مواهب ومقدرات، ومن عمل لغيره في العوالم السابقة فعمله ينعكس عليه في هذا العالم مذمات أو تراث يأتيه من الآخرين.

تماماً، كما أن من حمل شعاع أهل البيت إلى غيره في هذا العالم ينعكس هذا العمل عليه شفاعة يوم القيامة، ومن أطبق ظلم الطواغيت على غيره في هذا العالم ينعكس هذا العمل عليه ظلمات يوم القيامة.

وهكذا ينتقل كل فرد حصيلة عمله من عالم إلى عالم، فتكون حصيلة العمل في كل عالم سابق أرضية العمل في العالم اللاحق، فقد يولد فرد وعليه ركام من شقاء العوالم السابقة، بينما فرد آخر يولد وحوله هالة سعادة من العوالم السابقة.

وقد سجل هذا الواقع في الحديث المعروف: «السعيد سعيد في بطن أمه والشقي شقي في بطن أمه».

ولا بد من التنويه إلى أن الأعمال في العوالم مختلفة تؤدي نتائج متناسبة معها، فهنالك أعمال إيجابية من النوع السفلي فتكون نتائجها سفلية في هذا العالم كالثروة والشهرة والمنصب والنساء والأولاد حسب تلك الأعمال، وإلى جانبها أعمال إيجابية من النوع العلوي، تكون نتائجها علوية في هذا العالم، كالتقوى والعلم والإمامة والنبوة حسب تلك الأعمال. لأن كل عمل يؤدي إلى نتيجة متشابهة كما أن كل شجرة تثمر ثمرة مشابهة، وكما أن كل شتلة تتفتح عن وردة أو شوكة بحسب تركيبها. ولذلك ثبت عن الرسول الأكرم ﷺ أنه قال: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» كما ثبت أنه لعن أناساً قبل أن يولدوا.

فكل ما في هذا العالم تستقي جذوره من روافد العوالم السابقة، وكل روافد هذا العالم يستقي جذورها في العوالم اللاحقة أو لم يقل الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الحج: ٥٨] أوليس في الحديث الشريف: (الدنيا مزرعة الآخرة»؟

فما يسمى (حظاً) في عرف الناس ليس إلا حصيلة الأعمال السابقة إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وهذا هو الذي يُعبر عنه في المصطلح الديني بالرزق.

ولعل الشاعر أشار إلى هذه الحقيقة بقوله:

فلأمر ما وسرّ غامض ... تسعد النطفة ويشقى الجنين
فوليد تسجد الدنيا له ... ووليد في زوايا المهملين

والأبناء والآباء موجودون في عالم سابق في طريقهم إلى هذا

العالم إلى جانب بقية الموجودات من الثروة والشهرة والمنصب والعلم وغيرها. ويوزع الله الآباء والأبناء كما يوزع بقية الموجودات، أي يأتي بهذا الابن أو ذاك إلى الدنيا عن طريق هذا الأب أو ذاك.

وقد يكون تسلسل الناس في هذا العالم مختلفاً عن تسلسلهم في عالم آخر وقد يشهد لذلك تقرير النبي عن ابنته فاطمة بـ (أم أبيها) وقول الإمام علي: «محمد ابني من صلب أبي بكر».

ومن الأعمال في العوالم السابقة ما يؤدي إلى السقم في الدنيا، ومنها ما يؤدي إلى الإنجاب، فإذا كان ذلك العمل صالحاً انقلب في الدنيا ولداً صالحاً وإذا كان فاسداً انتقل ولداً فاسداً.

كما أن من الأعمال ما ينتقل إلى الآباء، فإن كان صالحاً انقلب آباءً صالحين وإن كان فاسداً انقلب آباءً فاسدين»[1].

(١) كلمة الإمام المهدي عليه السلام ص ٥١٩.

قانون الرجوع والإنعكاس

ومعناه أن كل عمل يرجع على صاحبه خيراً كان أو شهراً، فمن دعا على أخيه وكانت الدعوة في غير محلها رجعت على صاحبها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣].

فعن رسول الله ﷺ: «من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت عليه اللعنة»[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إن اللعنة إذا خرجت من فم صاحبها ترددت، فإن وجدت مساغاً وإلا رجعت على صاحبها»[٢].

وورد: «لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك»[٣].

وقانون الإنعكاس يطلق عليه أيضاً قانون العلة والمعلول، قانون الفعل ورد الفعل و. . كل هذه التسميات تحمل نفس المفهوم. فكل ما يصدر عنا من أعمال ومهما أضمرنا من نوايا ولكل فعل منا إشعاع

---

(١) خطايا اللسان ص ٣٦.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) الوصايا: ص١٠١.

ينطلق من باطننا نحو الخارج، يتولد إثره رد إشعاع يخترق وجودنا ليستقر في باطننا.

أمعن في الطبيعة، فالأرض تتلقى ضوء الشمس وأشعتها التي تنعكس نحو أعيننا وبواسطتها تتمكن من رؤية الأرض. إذاً، لكل شيء مردود وانعكاس، عندما ترفع صوتك منادياً بالقرب من الجبال، يرتطم صوتك بالجبل ليعود إليك صداه بعد ذلك.

إعلم أن لجميع نواياك وجميع أعمالك، انعكاسات تنطلق نحو الخارج، نيتك تبعث بإشعاع نحو الخارج وعملك هكذا، ولكن بفاعلية أضعف من النية، فالنوايا هي دوماً أقوى من الأعمال، فلكل من أعمالك ونواياك انعكاسات تعود إليك دون أدنى شك، فإن كل ما يصدر منك من أعمال إيجابية، أي كانت إشعاعاتك إيجابية، تتطبع انعكاساتها (رد الاشعاعات) بالإيجابية، وإن كانت أعمالك سلبية، أي سلبية الاشعاع، تكون إنعكاساتها أيضاً سلبية، فجميع أعمالنا ونوايانا تعود إلينا أي (ما تزرع تحصد)[١].

---

(١) كل شيء ممكن مع الله ص ١٠١.

قانون تجسم الأعمال

ثبت في علم الفيزياء أن كل شيء موجود في الكون لا يفنى وإنما يتغير ويتبدل من صورة إلى أخرى، فالخشب عندما يحترق لا يفنى وإنما يتغير إلى صورة الفحم والرماد، وهذا ما يعرف بقانون بقاء المادة والطاقة.

وهكذا نستطيع القول إن أعمال الإنسان لا تفنى وإنما تتحول إلى نتائج إيجابية أو سلبية، وتظهر هذه النتائج في الدنيا من خلال ما يجري على الإنسان في مستقبل حياته كالرزق والزواج أو الطلاق وغير ذلك، وتظهر في الآخرة بتجسم الأعمال.

جاء في كتاب العلاج بالقرآن الكريم: «إن فعل الحرام - كالرشوة - يجعل موجات الذبذبة الموجودة في طاقة الملك تسجل على الفاعل المرتشي فعلته عبر أضعاف تلك الموجة مقابل تقوية الموجات السالبة، أي أن أمر الرشوة وتأثيرها يوزع ويُقسم على كافة خلايا الجسد بحيث تصبح كل خلية تعاني من أحمال وأوزار الرشوة... وبعد ذلك سيستخدم المرتشي المال في طعامه وشرابه ليدخل في قواعد الخلايا فتضعف وتصاب بالأمراض...».

تجسّم الأعمال

إنَّ أعمال الإنسان على صورتين:

الأول: دنيوية فانية.

والثانية: أخروية باقية، فما يفعله الإنسان من خير أو شر في عالم الدنيا يتغير ويتبدل من صورة إلى أخرى. فلا يبقى له من عمله إلا الصورة، وباستطاعة الانسان أن يستعيد صورة العمل في أي وقت شاء من خلال شريط الفيديو والسيدي.

هذا في عالم الدنيا وأما في عالم الآخرة فلا تحضر صورة العمل - كما يتوهم بعض الناس من عرض شريط الأعمال في الآخرة - وإنما حقيقة العمل بما فيه من خير أو شر.

فللصلاة في الدنيا صورة وظاهر من الركوع والسجود، يشترك فيها كل المصلين، إلا أن حقيقة هذه الصورة تظهر في الآخرة؛ فصلاة عمر ابن سعد - لعنه الله - في ظاهرها تشبه صلاة الإمام الحسين عليه السلام، ولكن في باطنها وحقيقتها هي عذاب لعمر بن سعد، بينماهي معراج وقُرب للإمام الحسين عليه السلام.

وقراءة القرآن من الخوارج تشبه قراءة القرآن في ظاهرها من اصحاب الإمام علي عليه السلام لكن باطنها عند الخوارج هي لعنة وعذاب. فكم من قارىء للقرآن والقرآن يلعنه.

وأكل مال اليتيم عن طريق الظلم والعدوان فيه لذة وسرور بحسب الظاهر، ولكنه في عالم الآخرة هو أكل للنار، قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

والذهب والفضة التي يكتنزها الإنسان، ويمنع منها حق الفقراء والمحتاجين، تتحول في القيامة إلى عذاب وجحيم. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤ - ٣٥].

فباطن الأعمال تتخذ في الآخرة عدة أشكال، فقد يكون نوراً وثماراً وجناناً وحور عين وروحاً وريحاناً... وقد يكون نيراناً وحيات وعقارب. كل ذلك بحسب العمل الذي قام به الإنسان في الدنيا.

ويدل عليه من الآيات قوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩]، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عمران: ٣٠]، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على حضور نفس العمل لا صورة العمل وجزاء العمل.

وأما الدليل على تجسم الأعمال من الروايات، فهي ما روي:

عن قيس بن عاصم قال: «وفدت مع جماعة من بني تميم إلى النبي ﷺ فدخلت وعنده الصلصال بن الدلهمس، فقلت: يا نبي الله، عظنا موعظة، فإنا قوم نعبرُ في البرية، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ مع العزّ ذلاً، وإن مع الحياة موتاً، وإن مع الدنيا آخرة، وإنَّ لكل

شيء حسيباً، وعلى كل شيء رقيباً، وإنَّ لكل حسنة ثواباً، ولكل سيئة عقاباً، ولكل أجل كتاباً. إنه لا بُدَّ لك يا قيس من قرين يدفن معك وهو حي، وتُدفنُ معه وأنت ميت. فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لئيماً أسلمك. ثم لا يُحشر إلا معك ولا تُبعث إلا معه ولا تُسأل إلا عنه، فلا تجعله إلا صالحاً؛ فإنّه، إن صلح أنست به، وإن فسد لا تستوحش إلا منه، وهو فعلك.

فقال: يا نبي الله، أُحب أن يكون هذا الكلام في أبيات من الشعر نفخر به على مقابلينا من العرب، وندخره. فأمر النبي ﷺ من يأتيه بحسان ابن ثابت. قال: فأقبلت أفكر في ما أشبه هذه العظة من الشعر فاستتب لي القول قبل مجيء حسان فقلت: يا رسول الله، قد حضرتني أبيات أحسبها توافق ما تريد، فقلت:

تخيّر خليطاً من فعالك إنما ... قرين الفتى في القبر ما كان يفعل
ولا بد بعد الموت من أن تعده ... ليوم ينادي المرء فيه فيقبل
فإن كنت مشغولاً بشيءٍ فلا تكن ... بغير الذي يرضى به الله تشغل
فلن يصحب الإنسان من بعد موته ... ومن قبله إلا الذي كان يعمل
ألا إنما الإنسان ضيف لأهله ... يقيم قليلاً بينهم ثم يرحل[1]

عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «إنَّ ابن آدم، إذا كان في آخر يوم من الدنيا، وأول يوم من الاخرة، مُثّل له ماله وولده وعمله. فيلتفت إلى ماله فيقول: والله، إني كنت عليك لحريصاً، فما لي عندك؟ فيقول: خذ مني كفنك! فيلتفت إلى ولده فيقول: والله، إني كنت لكم

(١) أسرار جزاء الاعمال ص ٣٠.

لمحباً، وعليكم لمحامياً، فماذا لي عندكم؟ فيقولون: نؤديك إلى حفرتك، نواريك فيها! فيلتفت إلى عمله فيقول: والله، إني كنت فيك زاهداً، وإن كنت عليَّ لثقيلاً، فماذا لي عندك؟ فيقول: أنا قرينك في قبرك، ويوم نشرك، حتى أعرض أنا وأنت على ربك...»(١).

قصص تجسّم الأعمال

من القصص الدالة على تجسم الأعمال في العالم الآخر، ما ذكر عن الشيخ البهائي أنه قال: «كان لي أحد الأصدقاء في مقبرة أصفهان، حيث كان مشغولاً في العبادة بين تلك المقابر، وكان الشيخ يذهب لزيارته بين فترة وأخرى. وفي أحد الأيام سأله الشيخ: ماذا رأيت من عجائب هذه القبور؟ فقال:

بالأمس جاءوا بجنازة إلى هذه المقبرة، ودفنوها في هذه الزاوية، وغادروا المقبرة بعد ذلك، وعندما جاء وقت المغرب هبت رائحة كريهة جداً، وأزعجتني كثيراً إذ لم أشم مثل تلك الرائحة طيلة عمري. وفجأة، رأيت هيكلاً مخيفاً يشبه الكلب، وقد كانت الرائحة الكريهة تنبعث منه، فأخذ يقترب حتى وصل إلى القبر واختفى عنده، فمرت دقائق حتى هبت رائحة عطرة لم أشمّ مثلها طيلة عمري، ثم ظهرت صورة جميلة جداً، وجاءت حتى اختفت عند ذلك القبر - وهذا عجائب عالم الملكوت حيث تظهر على هذه الصور - ومضت فترة من الزمان، ورأيت تلك الصورة الجميلة، وقد خرجت من

---

(١) أسرار جزاء الاعمال ص ٣٠.

القبر، وهي مصابة بالجراح وملوثة بالدماء، فقلت: إلهي، فقهني في الأمور التي شاهدتها. فأعلمني بأنَّ هذه الصورة الجميلة، هي أعماله الحسنة. وأما ذلك الهيكل المخيف فهو أعماله القبيحة؛ وبما أن أفعاله السيئة كانت أكثر من الحسنة، فسوف تكون هي القرين له في قبره، حتى يطهر من الذنوب، وتصل التوبة إلى الصورة الجميلة».

وينقل السيد عبد الحسين دستغيب عن حادثة جرت مع أحد المؤمنين في كربلاء يقول:

رأيت يوماً جماعة يحملون جنازة يتجهون بها نحو حرم سيد الشهداء عليه السلام، بقصد التبرك والزيارة، فمشيت معهم، وفجأة، رأيت فوق التابوت كلباً أسود، قبيح المنظر، فتحيرت مما رأيت وتساءلت:

هل أحدٌ غيري يرى ما أرى؟ أم أنني وحدي من يرى هذا الأمر الغريب؟

فالتفتُّ إلى من كان يمشي إلى يميني وسألته:

ما نوع القماش الذي يغطي التابوت؟

فأجاب: شال كشميري، فقلت: هل ترى فوق الشال شيئاً؟

فأجاب: لا.

ثم أعدت نفس السؤال على من يسير إلى يساري، فسمعت منه الجواب نفسه، حينها عرفت أنَّ أحداً غيري لا يرى ما أرى.

وما أن وصلنا إلى باب الصحن الشريف، حتى انفصل الكلب فجأة عن الجنازة، وبعد خروج المشيعين من الحرم المطهَّر والصحن الشريف، رأيت الكلب ثانية مع الجنازة، رافقتهم إلى المقبرة لأرى

ما الذي سيحدث، وكانت النتيجة أنَّ الكلب بقي مرافقاً للجنازة في المغسل، وما بعده حتى الدفن، حيث اختفى عن نظري بعد ذلك».

فلسفة تجسّم الأعمال

لكي تتضح مسألة تجسم الأعمال نذكر المراحل التي تمر بها الأعمال وهي على النحو التالي:

المرحلة الأولى (الحال): ونعني بها حصول حالة معينة لدى الإنسان بعد قيامه بعمل ما، ولكن هذه الحالة سرعان ما تزول بزوال المؤثر، وهي من قبيل صفرة الخوف وحمرة الخجل، ومن قبيل أن يسمع الإنسان موعظة في مسجد ما وتحصل لديه حالة نفسية معينة كحبٍّ للإنفاق أو رغبةٍ في الجهاد أو خوف من الموت، ولكن هذه الحالة سرعان ما تزول بمجرد أن يخرج من المسجد وتمرّ على الموعظة فترة زمنية قصيرة.

المرحلة الثانية (الملكة): ونعني بها اشتداد الحالة السابقة وقوّتها في وجود الإنسان بحيث يتعذّر ويتعسّر زوالها كملكة الشجاعة في الشجاع وملكلة العدالة في العادل، وإذا زالت هذه الملكات فإنّها سرعان ما تعود.

المرحلة الثالثة (الاتحاد): وهي المرحلة التي تكون فيها الملكة جزءاً من وجود الإنسان بحيث لا يمكن زوالها منه، وهي أول درجات العصمة، ولذا لا يمكن تصوّر صدور المعصية - مثلاً - من المعصوم عليه السلام لأنّ ملكة العدالة قد اشتدت فيه حتى صارت جزءاً من وجوده المبارك.

ويمكن تقريب هذه المراحل الثلاث من خلال مثال يضربه علماؤنا في هذا المقام، فلو أخذنا فحمة سوداء ووضعناها على النار، لمرّت هذه الفحمة بمراحل ثلاث، الأولى أن تصبح حارة مع بقائها فحمة سوداء ولو زالت النار عنها فسرعان ما ترجع إلى ما كانت عليه، وهذه هي مرحلة «الحال»، ثم يتحول ظاهر الفحمة إلى نار مع بقاء باطنها فحمة سوداء، ولو زالت النار عنها فإن رجوعها إلى حالتها الأولى متعسر بطيء، وهذه هي مرحلة «الملكة»، ثم لو بقيت تلك الفحمة على النار لتحولت إلى جمرة من نار حيث لا يمكن بعدها زوال النارية عنها ولو زالت النار عنها لما رجعت إلى طبيعتها الفحمية الأولى، وهذه هي مرحلة «الاتحاد».

إذاً، تبيّن أن ارتباط الإنسان بعمله يمرّ بمراحل ثلاث، صالحاً كان العمل أم طالحاً، فالعمل الصالح كالصلاة أو الصوم أو إصلاح ذات البين أو الإنفاق في سبيل الله له ظاهر وله باطن، كما بيّنا سابقاً، وباطنه هو الجنة والروح والريحان، فإذا اتحد العمل مع الإنسان كان الإنسان هو الجنة لا أنه يدخل الجنة ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة: ٨٨ - ٨٩].

وورد «إن الجنة لأشوق إلى سلمان من سلمان إلى الجنة»[1].

وورد «يا علي أنا مدينة الحكمة - وهي الجنة - وأنت يا علي بابها» وورد عن الصادق عليه السلام أنه قال: «ولا يتناهى الجنة»[2].

---

(١) أسرار جزاء الاعمال ص ٣٠.

(٢) المصدر السابق.

كل هذا بشرط أن يكون هناك اتحاد بين العامل وعمله وبين الإنسان وملكاته ليكون هو الجنة، ومن هنا كانت فاطمة عليها السلام جنة، حتى ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: «فإذا اشتقت إلى الجنة شممت رائحة فاطمة»[1] فهي عليها السلام جنة، وله صلى الله عليه وآله من الشم الباطني ما يستطيع به شمّ رائحة الجنة.

وهكذا إذا صار الإنسان عالماً حقيقياً، كان النظر إلى وجهه عبادة لأنه يكون حينئذٍ نظراً إلى الجنة، ومنظره يذكّر بالله سبحانه وتعالى ورائحته تفوح منها رائحة الجنة لمن يستطيع أن يشمّ.

ومثل هذا ما ينقل عن بعض أولياء الله الذي يرون الناس على صور مختلفة، وما هذا في واقعه إلا رؤية لأعمال أولئك الناس التي اتحدت معهم فصارت تلك الملكات حقيقة لهم.

ومثل هذا الأمر جارٍ في العمل الطالح الذي له ظاهر وباطن أيضاً، فأكل مال اليتيم طيب لذيذ في ظاهره ولكن باطنه نار موقدة. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

وإذا افترضنا هذا الجزاء صار جزءاً من وجود الإنسان فإنّ الإنسان سيكون هو قطعة من نار وسيدخل النار: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ [الهمزة: ٦ - ٧] إذ تحرق الباطن لتخرج إلى الظاهر عكس حالها في الدنيا، وقد ورد أن بعض المجرمين الذين هم من

---

(١) أسرار جزاء الاعمال ص ٣٠.

أهل التابوت عندما يفتح الغطاء عنهم يئن أهل جهنم من حرارة ذلك التابوت لأنهم هم قطعة من النار وأُدخلوا النار أيضاً.

مما تقدم نستنتج:

١ - إنَّ حقيقة الجنة والنار هي أعمال الإنسان، فالعمل الصالح يصنع الجنة، والعمل الطالح يصنع النار.

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥] والمعنى أن ما يرزقونه من ثمار في الآخرة هي حصاد أعمالهم في الدنيا وهي متشابهة في العالمين.

٢ - إنَّ الجنة والنار موجودتان حالياً في الدنيا، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩] فالآية تقول إن نار جهنم موجودة ومحيطة بالكافرين في هذا العالم، لا أنها سوف تحيط بهم بعد ذلك، ومثل ذاك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠] أي أنهم يأكلون النار الآن.

٣ - إن الإنسان يجازى بعمله في الدنيا، إلا أن ظهور حقيقة الجزاء في عالم الآخرة، ولذا يعبّر عن ذلك اليوم بيوم انكشاف الحقائق، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ

﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الزمر: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النساء: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ [النجم: ٤٠].

عن النبي محمد ﷺ: «فإذا أخرجوا من قبورهم خرج مع كل إنسان عمله الذي كان عمله في دار الدنيا لأن عمل كل إنسان يصحبه في قبره»[1].

٤ - إنَّ ما يظنه الإنسان من خير قد يكون شراً في العالم الآخر والعكس كذلك، فقد يجد لذة في شرب الخمر أو أكل مال اليتيم، إلا أن ذلك سيتحول إلى عذاب في العالم الآخر، وقد يجد ألماً وتعباً في الذهاب إلى الحج والجهاد ولكن ذلك سيتحول إلى نعيم في الجنة. قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

---

(١) الروح: ص٩٥.

قانون التطور والتقهقر

إنَّ الحياة المثالية قائمة على قانون التطور العام في كل شيء، فالطفل يتطور جسدياً وعقلياً، والشاب يتطور في النجاح المهني والأسري، والعابد يتطور في المعرفة والصفاء... وكل شيء له تطوره الخاص، بل أن الكون يتطور تبعاً لتطور الإنسان.

والهدف من هذا التطور هو الوصول إلى الكمال في الدنيا والآخرة ولتحقيق هذا الهدف لا بد من أمور:

١ - التطور في الإيمان.

٢ - التطور في الوعي.

٣ - التطور في العمل الصالح.

وسيتجلى هذا التطور في آخر الزمان على يد الإمام المهدي عليه السلام حيث سيصل العالم إلى قمة التطور العلمي والأخلاقي والإنساني.

ويقابل التطور «التقهقر» وهو الإرتداد والإنسلاخ والتراجع... وهذا من أسوأ ما يُصاب به الإنسان.

فقد ورد أنَّ: «من كان غده أسوأ من أمسه فهو ملعون» وذلك لأن التقهقر الروحي يؤدي إلى المسخ الباطني والانحطاط الأخلاقي وأخيراً إلى العدول من الإيمان إلى الكفر كما حصل مع «بلعم بن باعوراء».

قانون المسخ الباطني

وهو من قوانين عالم الروح، وهو تحول في باطن الإنسان فقد جاء في الروايات الشريفة أن الله تعالى عاقب أقواماً في الزمن السابق على أعمالهم السيئة بأن حوّلهم إلى حيوانات، ومنهم الجماعة الذين اعتدوا في السبت، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٦٥ - ٦٦].

وقد ارتفعت هذه العقوبة في الأمة الإسلامية إكراماً لمن بعثه الله رحمة للعالمين، فلم يحصل انقلاب في الناس إلى قردة وخنازير.

إلا أن هناك عقوبة أخرى شبيهة بتلك العقوبة، وهي المسخ في النفوس، وذلك بأن يتحول باطن الإنسان إلى حيوان نتيجة أعماله السيئة، ولا يطّلع على الحقيقة الداخلية للإنسان إلا من أعطاه الله تعالى بصيرة وكشفاً عن بواطن الناس، ومنهم المعصومين عليهم السلام والعرفاء.

عن أبي بصير أنه قال للإمام محمد الباقر عليه السلام: ما أكثر الحجيج وأعظم الضجيج؟! فقال عليه السلام: «بل ما أكثر الضجيج وأقل

الحجيج، أتحب أن تعلم صدق ما أقوله وتراه عياناً:؟ ثم مسح بيده على عينيه ودعا بدعوات وقال له: انظر إلى الحجيج، فنظر فإذا أكثر الناس قردة وخنازير والمؤمن بينهم كالكوكب اللامع في الظلماء».

والمسخ هو من أخطر العقوبات لأن الإنسان - إن بقي كذلك ولم يتب إلى ربه - فإنه سيُحشر على هيئة الحيوانات المناسبة لأعماله وإليه تشير هذه الرواية:

سُئل النبي محمد ﷺ عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: ١٨].

فقال: «يُحشر عشرة أصناف من أُمتي أشتاتاً، قد ميزهم الله من المسلمين وبدّل صورهم، فبعضهم على صورة القردة، وبعضهم على صورة الخنازير، وبعضهم منكوسون أرجلهم من فوق ووجوههم من تحت، ثم يسحبون عليها، وبعضهم عُمي يترددون، وبعضهم صم بكم لا يعقلون، وبعضهم يمضغون ألسنتهم، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلبون على جذوع من نار، وبعضهم أشد نتناً من الجيف، وبعضهم يلبسون جباباً سابغة من قطران لازقة بجلودهم.

فأمّا الذين على صورة القردة، فالقتات من الناس، وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت، وأما المنكوسون على رؤوسهم، فآكلة الربا، والعمى الجائرون في الحكم، والصم البكم المعجبون بأعمالهم، والذين يمضغون ألسنتهم العلماء والقضاة الذين خالف أعمالهم أقوالهم، والمقطعة أيديهم وأرجلهم الذين يؤذون الجيران، والمصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان، والذين

هم أشد نتناً من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات ويمنعون حق الله في أموالهم. والذين هم يلبسون الجباب فأهل الفخر والخيلاء»[١].

الرجال الذين تحوّلوا إلى نساء!

نقل الدكتور الحاج حسن توكّلي قائلاً: خرجت في أحد الأيام من عيادة تركيب الأسنان التي أعمل بها لأذهب إلى مكان ما، وركبت في الحافلة. وعندما وصلت إلى ميدان فردوسي أو قبله بقليل توقفت الحافلة وركبت مجموعة من الركاب. فلاحظت أن السائق امرأةٌ، ونظرت إلى الركاب فرأيتهم جميعهم نساءً بشكل واحد وزي واحد! ولاحظت أن التي تجلس إلى جانبي امرأة؛ فتنحيت عنها وظننتُ أن هذه الحافلة خاصة بالموظفات وأنني قد ركبتها خطأً. وبعد هنيهة توقفت الحافلة ونزلت منها إمرأة، وما إن نزلت تلك المرأة، أصبح الركاب كلهم رجالاً!

ومع أنني لم أكن عازماً في بداية الأمر على الذهاب إلى دار الشيخ رجب، ولكنني عندما نزلت من الحافلة ذهبت إلى منزل الشيخ. وقبل أن أتحدث بشيء بادرني بالقول:

«أرأيت جميع الرجال قد تحولوا إلى نساء! سبب ذلك هو أنهم نظروا كلهم إلى تلك المرأة»[٢].

---

(١) الخصال.

(٢) كيمياء المحبة: ص١٧٥.

ما تلك الطاولة؟

قال الدكتور ثباتي: «كان هناك إسكافيٌ اسمه السيد جعفر - وقد توفي - حكى لي في أحد الأيام قائلاً: كانت عندي في البيت طاولة كبيرة لم يكن هناك مكان مناسب لأضعها فيه، وبقيت أفكر في مكانها. وبعدما حل المساء ذهبت إلى مجلس الشيخ رجب، ولما رآني قال لي بكل هدوء وهو يشير إلى قلبي: «ما تلك الطاولة التي وضعتها هنا»؟

انتبه الإسكافي فجأة، وضحك وقال: حضرة الشيخ! ليس لدي مكان مناسب لها، لذا فقد وضعتها هنا»[1].

جزاء كلمة «يا حمار»

قال أحد تلاميذ الشيخ رجب: «كنا نسير ذات يوم برفقة الشيخ في زقاق «إمام زاده يحيى»، وفجأة اصطدم شخص يركب دراجة هوائية بأحد المارة، فأهان الشخص المار راكب الدراجة الهوائية قائلاً له: «يا حمار»!.

قال سماحة الشيخ: «تحول باطنة [راكب الدراجة] إلى حمار رأساً».

(١) كيمياء المحبة: ص١٧٥.

الدينونة

عندما نتحدث عن الديون يتبادر إلى الأذهان أنها ديون مالية، ولكننا عند التدبر في معاني الديون ومصاديقها نجد أنها تشمل الديون المعنوية، وهي الديون التي تصير على عاتق الإنسان تجاه الآخرين، في عدة حالات، منها:

١ - إذا أسدى إليه معروفاً، فإن هذا المعروف دين في رقبته تجاه الفاعل، فالإنسان مدين لمن علّمه أو نصحه أو أرشده.

ويدخل في ذلك ما يشاع بين الناس من التهادي والتعازي في المناسبات فإن كل ذلك «دين ووفاء» كما يقال في المثل الشعبي، «الهدية دين».

مثلاً: كم كتاباً قرأت حتى الآن؟ لا بد أنك قرأت ولو كتاباً واحداً يحتوي على موضوع إيجابي واحد على الأقل. هل فكرت أن تتقدم بالشكر لمؤلفه أو مترجمه أو حتى ناشره الذي تجد عنوانه وصندوق بريده أو هاتفه في الكتاب نفسه؟ بوسعك أن تقوم بذلك الآن. خذ قلماً وخط به ولو عبارة شكر واحدة، أشكره على ما بذله لك من فكرة أو تصورات مطلوبة، إثن عليه لأنه أجاد عليك بمعلومات مفيدة قدمها إليك.

إعرابك عن الشكر يوسع نطاق حيويتك وطاقتك، يمنحك معنويات إيجابية ويرفع مستوى المعنويات الإيجابية للطرف الآخر ويزيد من دوافعه، والشكر من أكثر الأمور مجلبة لرضا الله سبحانه وتعالى وهي من الصدقات المطلوبة للغاية.

قال د. كريمي خلال زيارة قمت بها لمنزل أحد أصدقائي لاحظت أحد الأطفال ترك مائدة الفطور وانصرف دون أن ينبس ببنت شفه، قلت: هل نسيت الشكر.

قال: وعلام؟

قلت: على ما تناولت من شاي، على فطورك.

قال متهكماً ساخراً: ما بالك؟ وهل قليل من الجبن والخبز مع كوب شاي حلو يستحق الشكر؟

- ولم لا؟ لماذا لا يستحق الشكر؟ لماذا نغفل عن تنمية طابع الشكر في أنفسنا وفي أنفس أبنائنا؟»

عليك أن لا تكف قط عن الإعراب عن شكرك للمحيطين بك:

- أشكر البائع الذي باعك سلعة مفيدة.

- اشكر كل من يدلك على شيء ما.

- اشكر زوجتك. اشكرها لا لشيء سوى لوجودها إلى جانبك.

فشكر الناس أفضل أنواع الشكر، وحتى شكر الله وحمده لا يضاهيه مرتبة بل يأتي في الدرجة الثانية.

فأكثر الناس أداءً لحق الشكر عند الله هو من يشكر الناس.

ضع في قائمة أعمالك اليومية أن تسأل نفسك وأنت تخرج من

الدار: هل أديت حق الكائنات اليوم؟ هل يمكنني أن أبذل شيئاً مما أملك في حياتي؟ أو أن أقدم ولو جزءاً منه[1]؟».

٢ - إذا أساء إلى إنسان بغيبة أو ظلم أو أذية فهو مدين له، وعليه أن يسدّد هذا الدين بالإستغفار والتسامح...

متى يسدّد الدين؟

إنَّ تسديد الديون المعنوية ينبغي أن يكون في عالم الدنيا، وإلا كان في يوم «الدينونة» وهو يوم القيامة، حيث يوم العدل والاقتصاص... فيؤخذ من حسنات الظالم لتعطى إلى المظلوم، فإن لم يكن للظالم حسنات حمل المظلوم سيئاته على الظالم كما هو مفاد الأحاديث الشريفة.

لمن نحن مدينون؟

قال أحد الحكماء «حياتنا سلسلة طويلة من الديون»، ومعنى ذلك أن الإنسان مدين لكل من حوله، فهو مدين للأبوين، وللأساتذة، وللأصدقاء، حتى ذهب بعض الحكماء إلى القول بأن الإنسان مدين للملائكة الذين يحمونه من الأخطار ويحرسونه بالليل والنهار، ومدين للطبيعة التي تعطيه الطعام والشراب... وتسديد هذه الديون بالإمتنان والشكر والمحبة...

---

(١) كل شيء ممكن مع الله ص ٤٩.

قانون الزرع والحصاد

يعيش الإنسان في مزرعة كبيرة اسمها الدنيا ففي الحديث الشريف: «الدنيا مزرعة الآخرة» وفي هذه المزرعة قانون هو «كما تزرع تحصد». فمن زرع نباتاً حصد نباتاً ومن زرع ورداً حصد ورداً... ومن زرع نطفة حصد ولداً... ومن زرع الثقة والمحبة بين الناس حصد محبتهم ومودتهم واحترامهم له... ومن زرع الإيمان والصلاة والصوم حصده في عالم الآخرة ثواباً وأجراً.

ففي عالم الماديات والمعنويات هناك زرع وحصاد.

وهكذا في عالم الأعمال يوجد زرع وحصاد، فكل فكرة أو قول أو عمل هو في الحقيقة زرع يضعه الإنسان في أرض الحياة ليجد نتيجته في حياته عاجلاً أو آجلاً. لذلك على الإنسان أن يختار أفضل المزروعات ويضعه في أرض طيبة لئلا يندم يوم الحصاد، قال الشاعر:

كما يدين الفتى يوماً يُدان به ... من يزرع الثوم لا يقلعه ريحانا

قانون العطاء

العطاء سنة الحياة

الحياة قائمة على قانون العطاء، فكل شيء في الوجود يعطي بلا مقابل، فالشمس تعطي أشعتها لكل الموجودات بلا مقابل، والسماء تعطي المطر، والعصفور يعطي الصوت الجميل، والبقر يعطي الحليب، والنبات يعطي الورد وهكذا. . .

وإنما تعظم قيمة الموجودات بما تعطيه للآخرين، فالمصباح الذي لا يضيء لا قيمة له، وهكذا الحال في الإنسان كما عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «قيمة كل امرىء بما يحسنه».

كتب أهالي مدينة «جنوه» على ضريح أحد حكامهم: وُلد سنة ١٨٧٠م وتوفي سنة ١٩٢٠م وله من العمر عام واحد وهو العام الذي انتفعت الناس بعطائه.

الأخذ والعطاء

ومن السنن الإلهية أن من يعطي يأخذ، كالبحر الذي يعطي السحاب الماء، ثم يأخذه مطراً، فمن أعطى العلم إزداد علماً، فمن

الواضح أن العلم «يزكو على الاتفاق» كما قال الإمام علي عليه السلام، فكلما نشر العالم علمه وجد أن العلم ينقدح في ذهنه من حيث لا يدري ومن أعطى المال - كالزكاة والخمس والصدقة - فإنه يعود إليه أضعافاً مضاعفة كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

ومن هنا نلاحظ أن بعض الآيات تشير إلى أن ما يعطيه الإنسان يعود لنفسه ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [المزمل: ٢٠].

فمن أعطى - وهو مريض - يعود إليه المال شفاءً وعافية.

ومن أعطى - وهو مُبتلى - يعود إليه المال برفع البلاء.

وزيادة على ذلك فإنه يعود إليه في الآخرة بما لا عين رأت ولا أذن سمعت.

فمن آمن بوجود قانون العطاء فإنه يُعطى بلا خوف ولا قلق كما قال الإمام علي عليه السلام: «من أيقن بالخلف جاء بالعطية».

وأما من لم يؤمن بقانون العطاء ورفع شعار «لا آخذ ولا أعطى» فهو محروم من ثمرات العطاء، ويدخل تحت عنوان «البخلاء» فعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «الرجال أربعة: سخي، وكريم، وبخيل، ولئيم، فالسخي الذي يأكل ويعطي، والكريم الذي لا يأكل ويعطي، والبخيل الذي يأكل ولا يعطي، واللئيم الذي لا يأكل ولا يعطي»[1].

---

(١) ميزان الحكمة مادة «البخل».

ونتيجة البخل وعدم العطاء هو «الحرمان» فمن لم يعط العلم وهو قادر عليه حرمه الله تعالى إياه، بمعنى أن علمه لا ينفعه، ومن لم يعط أولاده الحنان لن يحصل عليه عند كبره، ومن لم يعط الفقراء من حقوق الزكاة والخمس فلا يتوقع الثواب والأجر في الآخرة.

وهكذا يتحول البخل عن العطاء إلى بخل بحق النفس كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد: ٣٦ - ٣٨].

«الإغاثة تعني أن تبذل وتجود، أن لا تمسك الأشياء عندك: المال، العلم، الكتب، الكلام المطلوب، الأفكار البديعة، الرأفة والحب وبالإجمال: كل شيء تملكه.

فعلى سبيل المثال تعتبر المكتبات أحد الأشياء العجيبة التي تتواجد في البيوت دون أية ضرورة لتواجدها. فالمكتبات العامة أماكن يمكن للجميع أن يلجأوا إليها للمطالعة ولكن امتلاك مكتبة شخصية لا يحق لأي شخص آخر الاستفادة منها، أمر مرفوض لا معنى أو دليل له. فقانون الجود ينص على: حذاري أن تملك مكتبة لم ينل أحد فائدة منها منذ عامين، فإن كنت مستغنياً عن كتاب ما، أي أنه لا ينضم إلى قائمة الكتب التي تحتاج لمراجعتها يومياً لتستوحي منها بعض الأمور أو تستند إليها في بعض الشؤون. فما الداعي لاحتفاظك به؟!

ربما ترد بالقول: إنه من الكتب النادرة أو اشتريته بثمن باهظ.

حسناً جداً، ولكنك لم تستفد منه منذ عامين، من جهة أخرى كن واثقاً أن هنالك في عالم الوجود شخصاً ما يتقصى اللحظة عما يحتويه هذا الكتاب من معلومات، ولكنه لا يجد الكتاب في الأسواق أو لا يملك المال الكافي لشرائه.

قانون الجود يقول: حذاري أن يحتوي خزان ملابسك ألبسة لم تلبسها منذ أشهر. فإن كانت بالية ألحقها بالنفايات وأفرغ الخزان منها لتفسح فيه مجالاً لتلقي نعم إلهية أكثر، وإن كانت جديدة يمكن ارتداؤها، جُد بها وقدمها لمن يستفيد منها، إعلم أن هنالك دون شك من يحتاج إليها.

تعالوا نفرز اليوم كل ما في دورنا من أشياء مهملة ولكن يمكن الإفادة منها لنقدمها إلى الآخرين فوراً. نعم في نفس هذا اليوم: أفرز ما في خزان ملابسك من ألبسة لا تستعملها، ما في مكتبتك من كتب لا تطالعها، و...

ولكن بالطبع يجب أن لا تتصور أنك سوف تحصل بالضرورة على كتاب أو ملبس جديد بمجرد أن تجود بكتاب أو ملبس. عليك أن تجود بنية خالصة تطبيقاً لقانون الجود فقط. صحيح إنك قد تحصل على أكثر مما بذلت باحتمال قوي، وقد وعد الله عباده مراراً بمثل هذا في الكتاب الكريم ولكن شرط أن تتخذ مثل هذه المبادرات إرضاءاً لله وبعيداً عن المراءات والتظاهر. والجود والعطاء يجلبان مشاعر الرضا وفراغ البال قبل كل شيء. ويمنحانك الارتياح

والاستقرار النفسي والابتهاج. لا شك أنك اختبرت إلى الآن أو تختبر حالياً مثل هذه المشاعر.

جودوا وتلقوا في المقابل، سوف تتلقون من حيث لا تحسبون له حساباً أبداً، لأن الله يغدق بعطائه على من يحب من عباده من حيث لا يخطر على بالهم. هذا ما تنص عليه بالتحديد الآيات القرآنية وكذلك الأحاديث والروايات.

كن واثقاً أنك بعد إفراغ خزان كتبك أو ملابسك تتلقى الرحمة في مجال آخر، فقد يكون لديك عمل إداري معوق. عندما تجود بكتب مكتبتك مثلاً فإنك تحدث فراغاً في حياتك يجتذب قدراً أكبر من النعم الإلهية. وربما كان الجواب الذي تتلقاه في المقابل من الطبيعة هو تيسير عملك الإداري المذكور.

فأينما تعثرت بعراقيل وموانع ولدت إنسداداً في مسيرة حياتك الإيجابية، إلتمس الجود وإيجاد الفراغ وسيلة للإنفراج، إفسح في حياتك مجالاً لنزول رحمة إلهية تنتشلك من ضيقك وتنحي عن دربك ما تواجهه من عراقيل تحدث إنسداداً في طريقك. جودوا بأموالكم (تصدقوا)، إبذلوا عطاءكم، لا تغفلوا عن الصدقة بجميع مفاهيمها المتعمقة، فبإمكانك أن تجود بأي شيء كان: الكلام الطيب، صدقة بحد ذاته، الأخلاق الحميدة صدقة بحد ذاتها، التبسم عند لقاء الأم ونظرات الأب الزاخرة بمشاعر الرأفة والحب هي صدقة.

ذلك ما تؤكده مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة.

من العراقيل الحائلة دون إحراز النجاح في مسيرة الحياة هي المخازن. ففي كل منزل مخزن خاص يزخر بكل ما لا يمكن الإفادة

منه أو قلما يستفاد منه، وأنا أصف هذه المخازن بأنها: عراقيل درب النجاح في الحياة، فلماذا نحتفظ بمثل هذه الأشياء؟ يمكننا أن نسمي هذه المخازن «مراتع المخاوف» فهي أماكن نختزن فيها كل ما نخاف من الحاجة إليه في المستقبل. وتحتوي بعض المخازن حتى أشياء عجيبة فتجد البعض مثلاً ينتقلون خلال سنين عديدة من دار إلى دار، ثمانية عشر عاماً قضوها يستبدلوها محل إقامتهم وهم ينقلون معهم أسياخ شواء متصدئة أو عروة موقد غازي يدوي، الموقد نفسه غير موجود ولكنهم يحتفظون بعروته اليدوية. إنهم لا يستثقلون نقل كرة مثقوبة لا يمكن الإفادة منها أو مقود دراجة أو. . .

افرزوا كل ما عطب وتعذرت الإفادة منه وألحقوه بالنفايات، أفرغوا مخازنكم المنزلية من كل ما لا يستفاد منه، أوجدوا فيها الفراغ، فإن كان من غير المقدور الإفادة منه بالنسبة لكم ولكنه قد يفيد غيركم، جودوا به، إن كان منزلكم مزود بتدفئة مركزية أو بأنابيب توصيل الغاز، وهنالك مدفئة نفطية تتراكم عليها الأتربة منذ أعوام في ركن من المخزن دون أن تتم الاستفادة منها وهنالك من يحتاج إليها لتأمين التدفئة، جودوا بها وقدموها له.

شخصية المعطي

إنَّ للإنسان المعطاء شخصية سوية طيبة - كما الشجر الطيب لا يثمر إلا الطيب - فالعطاء نابع من شخصية يكمن في أعماقها الحب، فبالمحبة يعطي الإنسان الآخرين.

كما أن العطاء في مرحلة الشباب أكثر من مرحلة الشيخوخة،

فمن طبيعة الشيخوخة الحرص والإمتلاك، ومن طبيعة الشباب التضحية والعطاء، ومن ثم كان الشباب أكثر سخاءً من غيرهم.

أقسام العطاء

إنَّ عطاء الإنسان للإنسان لا حدود له فهو شامل لكل الأمور المعنوية والمادية وأبرزها:

١ - عطاء العلم.

٢ - عطاء النصيحة.

٣ - عطاء المحبة.

٤ - عطاء المال، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «إنما أعطاكم الله هذه الفضول من الأموال لتوجهوها حيث وجهها الله ولم يعطكموها لتكنزوها»(١).

ومن هذه الأقسام إعطاء الثقة لبعض الناس خصوصاً في الأمور الدينية أو إعطاء الصوت الإنتخابي في الانتخابات النيابية والبلدية.

من يُعطي؟

إنَّ العطاء لا حدود له، فكما أن الله تعالى يعطي البرّ والفاجر، والمسلم والكافر بلا حدود، كما قال الله تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠]. فعلى العبد الذي يريد أن يتخلق بأخلاق الله تعالى أن يكون كذلك.

---

(١) خدمة الناس..

نعم ينبغي الإهتمام بإعطاء الأقرب فالأقرب، فالوالدان قد أعطيا الولد ما عندهما فينبغي أن يرد لهما الجميل بالعطاء.

عن رسول الله ﷺ إنه قال: «الصدقة على خمسة أجزاء:

- جزءٌ، الصدقة فيه بعشرة وهي الصدقة على العامة،
- وجزءٌ، الصدقة فيه بسبعين وهي الصدقة على ذوي العاهات،
- وجزءٌ، الصدقة بسبعمائة، وهي الصدقة على ذوي الأرحام،
- وجزءٌ، الصدقة فيه بسبعة آلاف وهي الصدقة على العلماء،
- وجزءٌ، الصدقة فيه بسبعين ألف وهي الصدقة على الموتى»[1].

وورد: «إبدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل شيء عن أهلك فلذي قرابتك فإن فضل عن ذي قرابتك شيء هكذا وهكذا إبدأ بمن تعول».

شروط وآداب العطاء

إنَّ العطاء الذي يثمر عطاءً مقابلاً لا يكون بلا حدود، وكيفما كان بل لا بد من قيود وآداب منها:

١ - التقوى: قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ [الليل: ٥].

٢ - الإخلاص: فإنَّ «العطية على قدر النيَّة» كما عن الإمام علي عليه السلام، ومن أروع صور الإخلاص ما روي عن شطيطة النيسابورية، فقد اجتمع الشيعة بنيسابور ليرسلوا الأموال الشرعية

(١) عوالي اللئالي ج ١ ص ٣٥٤.

للإمام موسى الكاظم عليه السلام فجاءت شطيطة - وهي عجوز فقيرة - بدرهم وقماشة وأعطته لحامل الأموال وقالت: إنَّ الله لا يستحي من الحق.

وأخذ الرجل الأموال وأوصلها للإمام عليه السلام فأمره الإمام عليه السلام برد الأموال إلى أصحابها إلا درهم شطيطة فقد أخذه الإمام وقال: إنَّ الله لا يستحي من الحق، ثم قال لحامل الأموال: أبلغ شطيطة سلامي وأعطها هذه الصرة وكانت تحوي أربعين درهماً، وأهديت لها شقة من أكفاني... وقل لها: ستعيشين تسعة عشر يوماً... وأنا أتولى الصلاة عليك...[1].

٣ - عدم الاستهانة بالأمور الصغيرة:

٤ - أن يكون بحكمة: أي لا بد للمعطي أن يكون حكيماً في إعطائه، فيعطي من يستحق العطاء، وإلا كان عطاؤه مفسدة، كمن يعطي الولد ذهباً ليلعب به، ويُعطي بمقدار معين كذلك، فمثلاً: إنَّ إعطاء الكسالى يدفعهم للبطالة، فهذا عطاء يفسد ولا يصلح، ومن ثَمّ نجد أن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن يعطي كل الناس كيفما كان بل كان يدفع بعضهم للعمل، كذاك الرجل الذي جاءه طالباً المال. فقال الرسول صلى الله عليه وآله: «من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله».

ومن الطريف ما يحكى أن رجلاً كان يوشك على الغرق، فاقترب الناس يتصايحون ويقولون له: «أعطنا يدك، وهو يرفض فجاء رجل

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٤١٠.

حكيم وقال له: خذ يدي فأعطاه يده وخرج من الماء، فهذا رجل قد تعوّد في حياته على الأخذ دون العطاء».

تجربة مهمة:

قال د. مجتبى حوراني: «ذات مرة قررت أن أتصدق بجميع ألبستي الجديدة التي لم أرتدها منذ مدة طويلة، كنت قد استغنيت عنها. جمعتها في كيس وضعته جانباً لأقدمها إلى مثل هؤلاء الأشخاص وأنا بانتظار الحصول على ملبس جديد آخر ولكن مرت عدة أيام ولم يحدث مثل هذا الشيء، تساءلت مع نفسي أين يكمن خطأي؟

إجعل هذه القضية نصب عينيك دوماً، وهي إنك عندما تفشل في تنفيذ قاعدة عامة يتم تطبيقها بدقة واستحصال نتائجها المطلوبة من قبل مجموعة كبيرة، لا بد لك من تقصي إشكاليات طريقتك في تطبيقها وإلا لما كان الآخرون ينجحون في هذا المضمار.

أنا بدوري عندما رأيت أن الرأفة الإلهية لم تشملني في ذلك اليوم فكرت مع نفسي: ما الذي عرقل خطوتي بالرأفة الإلهية في هذا الشأن؟ وتنبهت تباعاً لبعض الأمور: أولها إنني جمعت ألبستي في كيس لأجود بها ولكنني لم أفعل ذلك بعد. أوجه كلامي هذا لمن يجود بشيء ما ولكنه يبخل به ذهنياً، سواء كان هذا الجود، مساعدة أم هدية، إعانة مالية أو... مثل من يتساءل: هل استحسنت هديتي التي قدمتها لك في العام الفائت؟ و...

مثل هؤلاء الأشخاص قد يجودون بالفعل بشيء ما ولكنهم

يبخلون به ذهنياً، فهم يتذكرون دوماً كل ما أجادوا به ويذكرون أنفسهم والمحيطين بهم أو الطرف الآخر بما أجادوا به.

وفريق آخر يتصدقون بدافع الخوف وتفادي الشر: الخوف من الوقائع السماوية، الخوف من ٧٠ بلاء وبلاء، الخوف من إصابة العين، الخوف من. . .

إننا لا ننعت هذه الأفكار بأنها خاطئة، أبداً. فالرأفة الإلهية لمن السعة واللا محدودية بحيث أنها لا تبخل بالرد حتى على الجود بهدف تفادي الشر وكبح الهواجس. ولكن لا يغيب عن بالنا أن المكافأة التي خصها ربنا الكريم سبحانه وتعالى وقانون الطبيعة لكل من الحسنات تأتي على قدر وبحسب ما يضمر الفاعل من نية باطنية.

ولكن هنالك فريق يؤدون الصدقات بدافع الحب، وهو أسمى أنواع العطاء. إنهم يجودون دون تحفظ، دون هاجس، دون توقع ودون مقابل.

فالجود والعطاء يشعرهم باللذة والابتهاج، يولد لديهم الحماس، يشحنهم بأمثل المشاعر، يرسم البسمة على شفاههم ويمنحهم الحيوية والنشاط. والصدقة الحقيقية تتمثل بمثل هذه الصدقة، الصدقة بدافع الحب.

جودوا وابذلوا العطاء بدافع الحب، وبمثل هذا الجود والعطاء بثوا مشاعر التحمس واللهفة في نفوسكم.

ظهرت في كتب صدرت مؤخراً عن مؤلفين غربيين مصطلح «العُشر». والعشر هو عزل عشر أي (١٠٪) من كل ما نحصل عليه من دخل بشكل متواصل وبذله والجود به عن حب وفي سبيل الله.

يخيل للبعض أن العشر أي الجود المتواصل بـ(١٠٪) من مجمل الدخل هو نوع من أنواع الخمس أو الزكاة، ولكنه ليس هكذا، فالخمس والزكاة واجبان و«تكليفان إلهيان»، بينما العشر «صدقة مستحبة»، صدقة منتظمة، إنه نذر وعهد يُعقد مع ربنا الرؤوف بأن: إلهي بما أنني أعلم يقيناً أنك أنت الرزاق، أتعاهد معك بأن أجود بعُشر ما تهبني وأبذله في سبيلك. فالصدقة والعُشر منحات إلهية ننالها إن كنا جديرين باجتذاب مزيد من النعم الإلهية، إن إهمالنا لمثل هذه القضايا إنما يعني فرض الحرمان من مثل هذه النعم الإلهية على أنفسنا[1].

(١) كل شيء ممكن مع الله ص ٥٢.

قانون التعويض

مبدأ التعويض

من القوانين المتعارف عليها بين الشعوب هو «التعويض» بمعنى أن الإنسان إذا خسر شيئاً في بعض الحالات الخاصة كالحروب والحرائق والزلازل، فإن الدولة أو المؤسسة التي يعمل فيها أو مؤسسة التأمين تعوّض عليه خسارته بنسبة معينة.

وهذا القانون يجري في الأمور المعنوية، فإذا أصيب الإنسان ببلاء أو خسارة فإن الله تعالى يعوّض عليه في الدنيا أو الآخرة، ومن ذلك:

١ - من أصيب ببلاء كفقد الولد أو الزوج فإن الله تعالى يعوضه عن ذلك.

قالت أم سلمة: أتاني أبو سلمة يوماً من عند رسول الله ﷺ فقال: سمعت من رسول الله ﷺ قولاً سررت به، قال: «لا يصيب أحداً من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول: اللهمَّ آجرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها، إلا فعل ذلك به». قالت أمّ سلمة: فحفظت ذلك منه، فلما توفي أبو سلمة استرجعت وقلت:

اللهم آجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منه، ثم رجعت إلى نفسي فقلت: من أين لي خير من أبي سلمة: فلما انقضت عدتي استأذن عليَّ رسول الله ﷺ وأنا أدبغ إهاباً، فغسلت يدي من القرظ وأذنت له، فوضعت له وسادة أدم حشوها ليف فقعد عليها، فخطبني إلى نفسي ﷺ.

فلما فرغ من مقالته قلت: يا رسول الله، ما بي أن لا يكون بك الرغبة، ولكني امرأة فيَّ غيرة شديدة، فأخاف أن ترى منِّي شيئاً يعذِّبني الله به، وأنا امرأة قد دخلت في السنّ، وأنا ذات عيال.

فقال رسول الله ﷺ: «أما ما ذكرت من السنّ فقد أصابني مثل الذي أصابك، وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالي» قالت: فقد سلمت نفسي لرسول الله، فتزوجها رسول الله ﷺ، فقالت أمّ سلمة: فقد أبدلني الله عزّ وجلّ بأبي سلمة خيراً منه: النبي ﷺ».

٢ - من أصيب بمرض أو فقد سمعه أو بصره.

عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال فيمن فقد حواسه: «.... ثم للذين تنزل بهم هذه البلايا من الثواب بعد الموت - إن شكروا وأنابوا - ما يستصغرون معه ما ينالهم منها حتى أنَّهم لو خيروا بعد الموت لاختاروا أن يردوا إلى البلايا ليزدادوا من الثواب»[1].

عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ رجلاً مكفوف البصر أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ادع الله أن يردَّ علي بصري، قال: فدعا الله فرد عليه بصره، ثم أتاه آخر، فقال: يا رسول الله ادع الله أن

---

(١) توحيد المفضل: ص٢٤.

يرد عليَّ بصري، فقال: الجنَّة أحب إليك أو يرد عليك بصرك، قال: يا رسول الله وأنَّ ثوابها الجنَّة؟ قال ﷺ: الله أكرم من أن يبتلي عبده المؤمن بذهاب بصره ثم لا يثيبه الجنَّة»[1].

ومن الأمثلة على ذلك: «أيوب» عليه السلام فقد صبر على بلاء فقد الأولاد فعوّضه الله تعالى وآتاه مثلهم.

ومن ذلك الإمام الحسين عليه السلام فقد قدّم نفسه لله تعالى فعوضه الله تعالى بأمور ثلاثة كما في الحديث: «إنَّ الله عوض الحسين عليه السلام بثلاث: جعل الأئمة من ذريته، واستجابة الدعاء تحت قبته، والشفاء في تربته».

وبالتدبر أكثر في قانون التعويض نجد أن كل من يفقد شيئاً في الدنيا يعوّض عنه بآخر، فمثلاً: طه حسين فقد بصره فعوّض بقوة الفكر...

الإنسان والتعويض

إنَّ هذا القانون يجري على الإنسان في تعامله مع غيره، بمعنى أن من ظلم مؤمناً أو سرق منه أو غشّه أو أخذ شيئاً من حقوقه فعليه أن يعوّض عليه بالمثل أو القيمة، وإلا جرى عليه قانون «جزاء الأعمال».

من هنا ورد: «من كسر مؤمناً فعليه جبره».

---

(١) سفينة البحار مادة «بصر».

قانون الشكر

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

إنَّ هذه الآية المباركة تصرح بأحد القوانين الإلهية وهو الشكر، فمن شكر النعم فإن الله تعالى يزيده من فضله... فتعود فائدة الشكر إلى الإنسان نفسه، فإن الله تعالى لا ينتفع بشكر أحد فهو القائل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢].

عن معمر بن خلاد قال الإمام الرضا عليه السلام: «إتقوا الله وعليكم بالتواضع والشكر والحمد، إنّه كان في بني إسرائيل رجل فأتاه في منامه من قال له: إنَّ لك نصف عمرك سعة، فاختر أي النصفين شئت، فقال: إنَّ لي شريكاً، فلما أصبح الرجل قال لزوجته، قد أتاني في هذه الليلة رجل فأخبرني إن نصف عمري لي سعة فاختر أي النصفين شئت؟ فقالت له زوجته: اختر النصف الأول، فقال: لك ذاك.

فأقبلت عليه الدنيا فكان كلّما كانت نعمة قالت زوجته: جارك

فلان محتاج فصله، وتقول: قرابتك فلان فتعطيه، وكانوا كذلك كلما جاءتهم نعمة أعطوا وتصدَّقوا وشكروا، فلما كان ليلة من الليالي أتاه الرجل فقال: يا هذا إنَّ النصف قد انقضى فما رأيك؟ قال: لي شريك فلما أصبح قال لزوجته: أتاني الرجل فأعلمني أنَّ النصف قد انقضى، فقالت له زوجته: قد أنعم الله علينا فشكرنا والله أولى بالوفاء، قال: فإن لك تمام عمرك»[1].

فمن أراد أن يزداد علماً أو مالاً أو جاهاً فليشكر الله تعالى على ذلك... ويتحقق الشكر بالعطاء والبذل للآخرين.

عن أبي بصير قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: هل للشكر حد إذا فعله العبد كان شاكراً؟ قال: نعم، قلت: ما هو؟ قال: «يحمد الله على كل نعمة عليه في أهل ومال، وإن كان في ما أنعم من ماله حق، أداه»[2].

وعن الإمام الرضا عليه السلام: «إنَّ صاحب النعمة على خطر، إنَّه يجب عليه حقوق الله فيها، والله إنه ليكون عليَّ النعم من الله عزّ وجلّ فما أزال منها على وجل - وحرَّك يده - حتى إخراج من الحقوق التي تجب لله علي فيها»[3].

فعن الإمام الرضا عليه السلام: «من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عزّ وجلّ»[4].

---

(١) في رحاب الله: ص٢٥٩.

(٢) التشريع الإسلامي: ج٤، ص٢٨٥.

(٣) ميزان الحكمة: مادة «النعمة».

(٤) ميزان الحكمة: مادة «الشكر».

وأولى الناس بالشكر هم الوالدين فإنَّ الله تعالى قرن شكره بشكرهم فقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

ففي مناجاة الإمام زين العابدين عليه السلام: «... فكيف لي بتحصيل الشكر، وشكري إياك يحتاج إلى شكر، فكلما قلت: لك الحمد، وجب عليَّ لذلك أن أقول لك الحمد..».

الفهرس

الموضوع | الصفحة

الكتاب الأول: «علم البصيرة»

الفصل الأول: الهدف من علم البصيرة

الفصل الثاني: أين موقع البصيرة

الفصل الثالث: خطوات لفتح البصيرة

الفصل الرابع: قصص الذين فتحت بصيرتهم

الكتاب الثاني:
كيف تبني شخصيتك الروحية خلال أربعين يوماً

الفصل الأول: تاثير الأعداد

الفصل الثاني: البرنامج العملي

الفصل الثالث: إضاءات على الطريق

الكتاب الثالث: القوانين الإلهية

الفصل الأول: كيف نعرف القوانين الإلهية؟

الفصل الثاني: القوانين الإلهية

تم بحمد ٱلله

T K